

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة علي لونيسي - البلدية 02-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

الصفة المفردة الظاهرة في القرآن الكريم

مقاربة معجمية - نحوية - دلالية

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية

إشراف الأستاذ الدكتور:

إعداد الطالبة:

عمار ساسي

وهيبة قاني

رئيسا

أمام اللجنة المشكلة من

عضواً مناقشا

أستاذ التعليم العالي جامعة البلدية 2

د- نصر الدين بوحساين

مشرفاً ومقرراً

أستاذ التعليم العالي جامعة البلدية 2

د- عمار ساسي

عضواً مناقشا

أستاذ محاضراً جامعة البلدية 2

د- جميلة قوجيل

عضواً مناقشا

أستاذ التعليم العالي جامعة البلدية 2

د- عماد بن عامر

عضواً مناقشا

أستاذ محاضراً جامعة خروبة

د- لخضر حداد

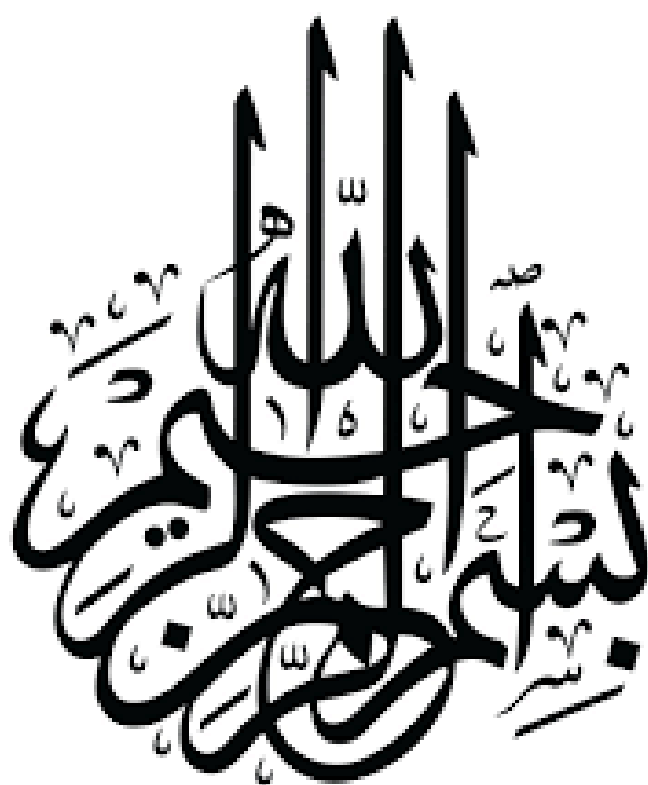
عضواً مناقشا

أستاذ التعليم العالي جامعة خروبة

د- كمال بوزيدي

السنة الجامعية:

2022-2021



إهداء

إِلَيْكَ يَا اللَّهُ

رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَمَا فِيهِمَا وَمَنْ فِيهِمَا ،
بِضَاعَةِ تَبَغْيِي الرِّصُولِ إِلَى رِضَاكَ وَالْقَرَبِ مِنْ سَنَّاكَ ..
نَمَّ

إِلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ

مَنْ صَعِدَ إِلَى «الْأَفْقِ الْأَعْلَى» نَمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَتْ قَابُ قَوْسَيْنِ أَوْ
أَدْنَى ، بِضَاعَةِ مَرْجَاةٍ ، وَشَفَاعَةِ مَنْكَ مَرْجَاةٍ ، وَالْقَبُولِ مِنْ رَبَّنَا
أَسْمَى غَايَةِ مَرْجَاةٍ ..
لَكُمْ ضَعْفَاتُ الدَّمِ الْمُؤْمَنِ الَّذِي مَاتَ ، يَوْمَ تَنَزَّلَ الْقُرْآنُ حَبًّا وَعِلْمًا ، أَبَاءُ
وَأُمَّهَاتٍ وَأَخْوَةَ وَأَخْوَاتٍ ، جُذُورًا قَوِيَّةً وَأُورَاقًا هَمِيلَةً نَدِيَّةً
لَكُمْ سَيِّدِي مَوَدَّةٌ وَرَحْمَةٌ ... وَمِيتَانَا غُلِيظًا ... وَعِبَادَةٌ .. وَمَلَكْتَنَا ..
وَمَصْهَفٌ تَدْرِيرٌ ... وَهَيْئَةٌ عَلَى قَدَرِ طَارِقٍ ,, كَالْتَجَمِ النَّاقِبِ .
لَكُمْ شَيْخِي الْعَهْلِيلُ الْمَرْيِي ... الشَّيْخُ بْنُ يُوسُفَ نَزِيرٌ ..

شكر

لكم،، أستاذي ... عالما

مؤمنا،، الأستاذ الدكتور

عمار ساسي...

لك الشكر والامتنان.

لك من دعا لي وشدّ

عضدي ورجا لي الخير

...

الملخص:

مثل البحث المعجمي في الكلمة القرآنية عصب علوم القرآن و العربية ، و المقاربة تتناول منه الكلمة الصفة بأبعادها الثلاثة (المعجمية و النحوي و الدلالية) في تواشج و ترابط ، قيّدت بها بعض موصوفات أفق السماء ، و هي ما شكّل فصول هذا البحث ؛ حيث تعلّق الفصل الأول بالصفات المفردة الظاهرة للموصوفين السماء و السماوات، و اهتمّ الثاني بالمنوطة منها بالشّهب والنّجوم ، في حين اشتغل الفصل الثالث بالصفّتين المفردتين للسّراج (الشّمس) و القمر .

وقد دارت المقاربة حول إشكالية تجدد دلالة الكلمة المعربة صفة في القرآن الكريم ، و استعانت بالمنهج الوصفي في ذلك دون الاستغناء عن بقيّة المناهج الخادمة للموضوع ، و أفضت إلى نتائج تحترم عطاء العلماء السابقين و تضيف اجتهادات المعاصرين منهم ، وقدمت مقترحات ترنو إلى عمل معجمي متكامل الأركان اللسانية ، يحفظ للكلمة القرآنية قداستها و لا يغمطها حقّ التجدد الدلالي في سياقاتها عبر العصور .

مقدمة

مقدمة

الحمد لله الذي جعل اختلاف الألسنة من آياته، واختار للقرآن الحكيم عربيّة مبينة، تنزّلت وحيا لا ينطق عن الهوى على قلب نبيّه، الخاتم لشرائعه، خير الصّلاة وأفضل التّسليم عليه وعلى آله، تاج الحكماء وسيّد العلماء، وأفصح البلغاء، أمّا بعد:

فمن جميل الأقدار، ومنة العزيز الغفّار، أن يكون القرآن خليلي في حياتي، وعلمًا لا يغيب عن خطّ دراستي، تستهلّ به أبكاري، وتدور في فلكه اجتهاداتي العلميّة، وها هي ذي مرحلة الدّكتوراه تشرف بأن تستظلّ سماءه، وقد سبقتها مرحلتا اللّيسانس التي انطلقت فيها رحلة المعرفة والمتعة تحت راية الوحي وعلومه بمذكرة تخرّج اختارت الموضوع: "من التّجليّ الأسلوبيّ في خطاب القرآن الكريم للمرأة"، ثمّ الماجستير التي سمّعت لبعض «من جماليّات الوقف والقلب في خطاب القرآن الكريم للمرأة في مقاربة صوتيّة - دلاليّة»، ممّا عودني على النّظر في الأفق الواسع وتتبع نفحات الوحي النّازل منه حتّى صرت لا أحسن القراءة في غيره و لا البحث في سواه من العلم..

وعليه، فبين الموضوعيّة الصّرفة، والوجدانيّة المترعة بحبّ كتاب الله عز وجل-تقع هذه المقاربة، وإنّ تلبّست جهدًا بلباس الموضوعيّة الأكاديميّة، ذلك أنّ القرآن الكريم بحضوره النّابض، جمع الاثنين وكلّ منهما يرجو الحظّ بالنّصيب الأوفر منه!

مرّ موضوع " الصّفة المفردة الطّاهرة في القرآن الكريم " بأطوار تخلّق كثيرة، حيث اتّسم بادئ الأمر بعموم المساحة التي كان سيشغلها من المصحف الشّريف ، غير أنّه وبعد تنمّة عمليّة الإحصاء، أيقن أن لا طاقة له وحده باحتواء النّور المبين، وقد عظم عليه عدد الموصوفات وكثرة صفاتها،

فغَضَّ من طرفه واكتفى ببعض الصِّفات لموصوفات الآفاق في سعي مؤلم بسبب إرجاء ما تنازل عنه - إلى أجل قريب بحول الله - ممَّا أبدعته يد الخالق - ﷻ - وسَخَّر للإنسان تكريماً وتشريفاً ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [سورة الإسراء: 70]، ولولا كراهة التَّعديل ومشقَّة ما يتبعها من إجراءات تقضي بالبحث إلى هرم مبكَّر لظَهَر بعنوان أقلَّ فضفضة ممَّا هو عليه.

أسباب اختيار الموضوع:

قبل التَّخَلُّق الخطِّي للبحث، كان تكوُّنه في عالميِّ الوجدانيِّ والفكريِّ، فاجتمعت عوامل عديدة جعلته حقيقة مقروءة بعد أن تغدَّى من هواي التَّابع للكتاب الخالد أولاً ثمَّ من قراءتي المنوطة بالقرآن الكريم أيضاً!! وثانياً، سبق انتمائي إلى قطاع التَّربية والتَّعليم، فقد وجدت في نفسي ما يجده المتقلُّ بحال اللسان العربيِّ الَّذي يشكو العوج بين المتعلِّمين، بل والمعلِّمين - للأسف الشديد -! مقابل عقيدة تسكنني بأن لا مناص من القرآنيَّة في اختيار الشَّاهد النَّحويِّ المقَدَّم للمتعلِّمين لتحقيق الغايات التَّفاعليَّة السَّليمة بالعربيَّة الفصحى لديهم.

كانت هذه أسباباً ذاتيَّة للإقبال على هذا الموضوع، أمَّا الموضوعيَّة منها فتوزَّعها غياب مرجع للشَّاهد القرآنيِّ المنوط بالصِّفة المفردة الظَّاهرة في القرآن الحكيم، فلا يقع الخلاف بين ما يعرب صفة أو خبراً أو بدلاً، تيسيراً للدَّرس النَّحويِّ وحصرها لمواضع هذا النَّوع من الصِّفة في القرآن الكريم، يضاف إلى ذلك، فقر المعاجم اللِّسانيَّة المتداولة إلى الدَّلالات الجديدة للكلمات القرآنيَّة الواقعة صفات وخاصَّة منها ما يتعلَّق بالموصوفات الكونيَّة، ومعلوم ما طرأ عليها من تغيُّر دلاليِّ تحت مسمي الإعجاز العلميِّ.

كما أنّ المبادرة إلى جمع الصفات المفردة الظاهرة في القرآن الكريم لصفات أفق السماء و ترتيبها في وريقات، ابتغت نيل شرف تأسيسها معجماً مفهرساً خاصاً بها، خدمة لدرس الصفة في مادة النحو العربيّ يمثل ضرورة يستقيم بها حال اللسان العربيّ في الوسط التربويّ، و ليس تقليلاً من شأن بقيّة الشواهد بقدر ما هو محاولة منحه حقّه المهضوم في أولويّته بينها لخصوصيّة ذات الأبعاد الكثيرة ممّا ترنو المقاربة إلى استجلائه و تقريره، وهو ما تمّ بحمد الله -ﷻ- والمعجم تحت الطبع .

هذا، ولا يربأ البحث بالكلمة الصفة أن يحتفظ لها بدلالاتها المعجميّة التي أصل لها السابقون، ولكنه في الوقت ذاته يؤمن بأنّها - وهي كلمة الوحي العجب ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ سورة الجنّ : 01]- ذات دلالات متجدّدة، لا تخطئ ما توصل إليه السادة العلماء و إنّما تضيف إلى أقوالهم جديد البحوث في علم الدلالة من مستويات وفي العلوم الكونيّة من كشوفات، فالصفة لها من الكفاءة الخاصّة ما يقدّمها في سياقاتها القرآنيّة شاهداً أولاً قبل كلّ شاهد يعرّف بموضوع الصفة المفردة الظاهرة نحويّاً، ويمنحها حقّ الاختصاص بمعجم مفهرس مستقلّ يتناول كلماتها ويقترّب من معانيها وفق مداخل مرنة ترتّب وفق المعاني أو بالكلمات، ولكن لا يرى لها مرادفات ،، وذلك لخصوصيّة النظم الذي وردت فيه، بل تخطو نحوها مقارنة لا تبتغي أكثر ، ومن هنا يُعرّب عن خطّة البحث :

فالموضوع محلّ البحث موسوم بـ : "الصفة المفردة الظاهرة في القرآن الكريم : مقارنة معجميّة - نحويّة - دلاليّة" مستهدٍ بضياء من إشكاليّة مفادها :

للصفات المفردة الظاهرة في القرآن الكريم دلالات جديدة يمكن أن يضمّها معجم مختصّ؟

تفرّعت عنها أقباس من الأسئلة الفرعيّة الآتية:

- ما الغاية من الحضور المختلف للصفة المفردة الظاهرة في القرآن الكريم من حيث أنواع الاسم (ضميرا أو اسما صريحا أو اسما موصولا) والصيغة الصرفية (اسم فاعل أو مفعول أو صفة مشبهة أو صيغة مبالغة)، ومن حيث الإضافة وعدمها؟

- الصفة المفردة الظاهرة في القرآن الكريم نمطية أم عشوائية الحلول في مواطنها؟

- ما الأبعاد الدلالية للصفة المفردة الظاهرة في القرآن الكريم لموصوفات الآفاق؟

- هل تحوز للصفة المفردة الظاهرة في القرآن الكريم، من حيث العدد قدرة حجمية لإنشاء معجم قرآني مختص بموصوفات الآفاق؟

- ما الجديد الممكن إضافته إلى دلالات للصفة المفردة الظاهرة في القرآن الكريم التي حوتها بطون معاجم اللسان العربي الأصلية وكتب التفسير لموصوفات أفق السماء؟

وقد سعى البحث إلى التماس بعض الأجوبة متبنيا خطة شملت:

تمهيدا: عرضت فيه العتبات التعريفية والاصطلاحية للكلمات المفتاحية ذات الصلة بالموضوع: المعجم، والصفة المفردة الظاهرة في عرفي النحو وعلوم القرآن، والدلالة بين علوم القرآن وفقه اللسان العربي -قديمه وحديثه -، والآفاق في الرؤية القرآنية وبمنظار العلم الحديث ..

تلتته ثلاثة فصول، وقد وُسم الفصل الأول منه بـ: " الصفات المفردة الظاهرة للسماء و السماوات، محاولا الاقتراب بمبحثين اثنين : 1-الصفات المفردة الظاهرة للسماء -2 الصفات المفردة الظاهرة للسماوات.

أما الفصل الثاني فوُسم بالصفات المفردة الظاهرة للشَّهَب و النُّجُوم"، عرضته مباحث ثلاثة:

1- الصفات المفردة الظاهرة للشَّهَب -2 - الصفات المفردة الظاهرة للنَّجْم.

في حين ناقش الفصل الثالث، الموسوم بـ " الصّفتان المفردتان الظّاهرتان للسّراج و القمر مبحثان : : 1- الصّفة المفردة الظّاهرة للسّراج - 2- الصّفة المفردة الظّاهرة للقمر؛ ليمسك البحث عن المزيد من المقاربة مجبرا تحت سلطة المنهجية بخاتمة جامعة لأجوبة الأسئلة التي انطوت عليها الإشكالية، وكذا ملاحظات ونتائج ومقترحات، ينمو بها الموضوع في رحاب المشروع المنتمي إليه قابل الأيām.

هذا، وقد حوى البحث ملحقات يتصدّرها مقترح نواة لجدول مفهرس للآيات التي ذكرت فيها الصّفات المفردة لما في أفق السّماء، تلتها فهارس الجداول و الصّور و الأشكال الدّاعمة له ثمّ فهرسا تحليليا لما جاء فيه.

ولم يكن للبحث أن يشتدّ على سوقه، لولا التزامه المنهج الوصفيّ التحليليّ وهو يقبّل الصّفات المفردة الظّاهرة في القرآن الكريم لموصوفات بعض القرآن المنظور، إذ يُعدّ أكثر المناهج مرونة وشمولية مع دقّة في المعالجة والوصف - في حدود الإمكان والجهد -، إضافة إلى قابليّته التّعاون مع بقيّة المناهج المقاربة الغاية البحثيّة خاصّة المنهجان الإحصائيّ و المقارن، وهذا ما حدث مع موضوع المقاربة، حيث كانت العينة شاملة لكلّ الصّفات المفردة الظّاهرة لما في أفق السّماء ، وتعدّدت أدوات إجراءاته: الإحصاء والملاحظة والوصف والمقابلة والاختبار، ثمّ التّحليل والتّعليق، ومن ثمّ الخروج بنتائج تهفو إلى العلميّة والموضوعيّة في إعجام تلك الصّفات نحويا ودلاليا.

وعلى عتبة التّقديم، لا يسع البحث أن يتناسى جهد السّابقين ممّن طرّقوا باب القرآن الكريم فيما له علاقة بموضوعه، إذ لا بدّ من الإشارة إلى أهمّ ما اعتمده وأكثر ما تردّد على صفحاته من مصادر ومراجع، يعلوها بسناه: القرآن المبين برواية (حفص عن عاصم) لأنّها الأقرب إلى الرّسم الإملائيّ والأشهر والأكثر انتشارا في العالم الإسلاميّ.

ثانيا: كتب التفسير: يتقدمها "تفسير القرآن العظيم" (لحافظ بن كثير الدمشقي)، والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل " (لأبي القاسم جار الله الزمخشري)، وكل من "البحر المحيط" (لأبي حيان الأندلسي) و "التحرير والتنوير" ل (طاهر بن عاشور، و " في ظلال القرآن " ل (سيد قطب) و " الجواهر " للشيخ (طنطاوي جوهري)، وقد انتظم حضورها في البحث وفق معيار الأسبقية والشمولية، ثم لمدى الاقتراب من البلاغة والجمالية أو طرق ساحات العلوم الكونية في كتاب الله - ﷻ - ، كما استعملت تفاسير أخرى في مواضع دعتها الحاجة أو لغياب تفسير آية في المصادر المذكورة آنفا.

ثالثا: المعاجم: تصدرها معجم "مقاييس اللغة" (لأحمد بن فارس) ثم " تاج اللغة وصحاح العربية " (للجوهري)، و " القاموس المحيط " (للفيروز آبادي)، و " لسان العرب " (لابن منظور)؛ ومن معاجم القرآن: " المفردات في غريب القرآن " (للأصفهاني) و " قاموس القرآن المسمى الوجوه والنظائر " (للدمغاني)، " ما اتفق لفظه و اختلف معناه في القرآن " (للمبرد) ومعاجم وقواميس العلوم الحديثة ك " معجم المصطلحات الجغرافية " ل (البيار جورج) .

رابعا: كتب النحو والصرف وعلم الأصوات: ومنها: " الكتاب " (للسيبويه)، " التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل " (لأبي حيان الأندلسي "، " المفصل في علم العربية " (للزمخشري) "، دقائق التصريف " ل (محمد بن سعيد المؤدب أبي القاسم)، " الأزهية في علم الحروف " ل (أبي إسماعيل الهروي)، "معاني النحو " ل (فاضل صالح السامرائي) .

خامسا: كتب علوم القرآن: وأكثرها حضورا: " الإتيان في علوم القرآن " ل (جلال الدين السيوطي)، و " البرهان في علوم القرآن " ل (بدر الدين الزركشي)،

و" الإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي)، و" نظم الدرر في تناسب الآيات والسور " لـ (البرهان الدين البقاعي).

كما توّكأ البحث في كلّ جزئياته على جديد الكشف العلميّة، وهي تصل متأخّرة إلى تجلّيات بعض صفات القرآن المنظور - أفق السّماء -، من خلال كتب ما اصطلح عليه بالإعجاز العلميّ، خاصّة مؤلّفات (زغلول النّجار) في سلسلتيّ: " تفسير الآيات الكونيّة " و" من آيات الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم " ومنشورات الدّكتور عبد الدّائم الكحيل.

أمّا الدّراسات الأكاديميّة للموضوع قيد البحث ، فلم يوافق أثناء إنجازهِ أيّ رسالة دكتوراه تحوم حوله، في حين عثر على رسالة ماجستير مطبوعة موسومة بـ " الخلاف التّصريفيّ وأثره الدّلاليّ في القرآن الكريم " لـ (فريد بن عبد العزيز الزّامل السّليم) بجامعة القصيم، وأخرى غير مطبوعة، عنوانها " الصّفات المفردة في القرآن الكريم " - دراسة نحويّة دلاليّة في صفات العاقل " لـ (خالد حسين أحمد عبد الله) من جامعة النّجاح الوطنيّة الفلسطينيّة، كما استند على الكثير من الأفكار والمنهجية التي ضمّتها مؤلّفات الدّكتور (عمّار ساسي)، خاصّة منها رسالته في الماجستير " الإعجاز البيانيّ في آيات الأحكام ".

ولئن كان من سنن مقدّمات البحوث الجامعيّة ذكر ما اعترضها من صعوبات، فإنّ هذا البحث - كسابقه في المسار العلميّ لصاحبه - يفضّل الانزياح عنها، فهي أقلّ ما يبذل في سبيل فهم أعمق وأصحّ لحبل الوصل بين الأرض والسّماء، -كتاب الله العظيم -، وهو يعترف أنّه لم يعطه حقّه من الجدّ ما يليق به، رغم اجتهاده في سبيل ذلك، غير أنّه جهد المقلّ وإن كثر!

وبين يدي هذه المقدّمة ، لا يليق إلّا الاعتراف بأنّ إخراجهِ لم يكن ليتمّ إلّا بفضل الله - ﷻ - ، ثمّ بشراكة جليّة مثّلها الإضافات العلميّة الجادّة والتّوجيهات المنهجية والمعرفيّة من قبل

المشرف الحكيم (أ/ د عمار ساسي) الذي وردت أفكاره وتحليلاته بنصّها كما ذكرها مبنى ومعنى خلال تعليقاته على المنجز قبل نهايته وبعدها ، وليس يتردد البحث في وصف اليد التي رعته منذ كان علقه في مرحلة اللّيسانس إلى تاريخ مناقشته بالعالم المؤمن، و قد منحه من عمره ليالي وأياما وأفجارا، فله خالص التقدير وجميل الشكر، كذاك شأن اليد الطولى التي آوت وريقات البحث وصاحبته في رحاب الطهر والتّجلي، بزاوية (الشيخ بلعموري) لتحفيظ القرآن الكريم بالبويرة، علّمها العالم والمربّي الجليل سيّدي (الشيخ بن يوسف نذير) الذي فتح مكتبتها ليلا ونهارا تيسيرا منه وحبّا للعلم وخدمة غير مشروطة لكتاب الله العزيز، على نحو يسوّغ القول أنّ ما نسبته تسعين (90%) من المصادر والمراجع تعود إلى رفوفها المعبّقة بالمصاحف المتوّجة رفوف تخصصات العلوم الفلكيّة والجغرافيّة والطّبيّة ناهيك عن المصادر الجمّة في علوم التّفسير والشّريعة عموما وغيرها ممّا غدّى الموضوع قليلا أو كثيرا، ثمّ لم يتوقّف عطاؤه إلى أن تمّت طباعة البحث كاملة وإخراجه على هيئته النّهائيّة برعاية اليد الأمانة لشركة الأجواد للطباعة و النّشر ممثلة في مديرها الدّكتور طارق معارك ، فبارك الله فيهم وأدامهم منارات للعلم و أركاننا حضاريّة شديدة للأرواح والعقول الباحثة عن الحقّ.

وفي الأخير، لا يدّعي البحث الكمال، و لكن حسبه أنّه لم يأل جهدا في سبيل تقصّي الغاية وتحصيل المطلوب، فما كان صوابا فمن الله - ﷻ - وحده وما كان غير ذلك فمن نفسي والشّيطان، وفي الحاليين يطمع راجيا أجر الاجتهاد، والله وحده المسؤول السّداد والقبول ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ سورة هود : 88 ، وصلى الله وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وآله وصحبه تسليما كثيرا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين..

مهاد تأسيسى

مهاده تأسيسيّ: مصطلحات و مفاهيم البحث

- 1- كلمات القرآن الكريم لا ألفاظ البشر أو الجنّ.
- 2- المعجم و المعجم القرآنيّ المتخصّص.
- 3- الصّفة في النّحو القرآنيّ.
- 4- الآفاق في القرآن الكريم سبيل إلى التّبيان لا الإعجاز.
- 5- دلالة الكلمة القرآنيّة و الآفاق كوّنان: كون متلوّ وآخر مجلوّ.

1- كلمات القرآن الكريم لا ألفاظ البشر أو الجن.

أنزل القرآن الكريم على قلب النبي محمد - ﷺ - ليتجاوزه إلى قلوب من أرسل إليهم، وكانت أول الأوعية من هؤلاء أهل الذين يجاورونه في بيته، وقومه الذين يقاسمونه هواء بلده، و يتبادلون معه حروف اللسان الذي يتخاطبون به، فغدا أوضح برهان على صدق نبوته وسلطان رسالته أن يعلمهم دينهم بلسانهم فلا يستطيعون القول مثل قوله، وهم فطاحلة العربيّة وأفصح العرب بين القبائل، ولا يكتفي بهذا بل يذهب بهم - بعد إيمانهم - إلى حدّ تصويب أخطائهم المعجميّة، ويعلمهم أنّ لبعض ألفاظهم بلسانهم دلالات جديدة في عرف الإسلام، فما هو ذا يخاطبهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة : 104، لما في " راعنا " من تشبّه بالكافرين واليهود الذين كانوا يستعملونها سخرية من رسول الله - ﷺ - تحت غطاء التورية عن "الرّعونّة"، ونظير ذلك : التصويب المعجمي الذي كان يمارسه - ﷺ - مع أصحابه الكرام - ﷺ - نحو قوله : « لا تقولوا للعنب: الكرم ، ولكن قولوا الحبلة، ولا تقولوا : عبدي، ولكن قولوا : فتاي »¹، إيدانا بحلول معجم لسانيّ أحقّ بالتواصل عن طريق كلماته من المعجم الجاهليّ، دون إسفاف بلسان العرب ولكن تجديدا بما يتوافق والدّين الجديد، والدّلالات المتجدّدة المنبعثة من الكتاب الخالد الذي أوحى به إلى الرّسول الأكرم - ﷺ - .

وبين يدي القرآن الحكيم، تشهد الآيات الكريمة على التّمايز الكائن بين عربيّة العرب وعربيّة القرآن المبين و الجدول الآتي بيّن هذا :

¹ - فضلا: ينظر: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدّمشقيّ: تفسير القرآن العظيم، دار الإمام مالك، ط:02، 2009، الجزائر - الجزائر، ج:01، ص: 236.

الجدول رقم (01): مواضع صفات القرآن الكريم فيه

الرقم	السورة والآية	الآية الشاهد
01	يوسف: 01	الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ
02	يوسف: 02	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ
03	الرعد: 37	وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ
04	الحجر: 01	الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ
05	النحل: 103	وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ
06	طه: 113	وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا
07	الشعراء: 195	بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ
08	النمل: 01	طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ
09	الزمر: 28	قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
10	فصلت: 03	كِتَابٍ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
11	فصلت: 44	وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ
12	الشورى: 07	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ
13	الزخرف:	إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

	03	
14	الدخان: 58	فَاتِمًا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ
15	الأحقاف: 12	وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشِّرَى الْمُحْسِنِينَ
16	يس: 69	وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ

يعرب الجدول عن حضور الوصف بـ " مبین " و " غیر ذي عوج " للقرآن الكريم في مقام التعريف بالتعظيم لحسن العربية التي جاء بها هذا الكتاب الآية، ويكتفي بوصفه " عربياً " في سياقات لفت الانتباه على أنّ قوته في مجيئه بلسان العرب ذوي الفصاحة التي طالما فخروا بها ومثلت عزهم وعرضهم، ولكنه هون من بلاغتها إزاء بلاغته، وكسر كبرياءهم بها، فإذا « الأسواق انفضت إلا منه، وإذا الأندية قد صفرت، إلا عنه، فما قدر أحد منهم أن يباريه أو يجاريه، أو يقترح فيه إبدال كلمة بكلمة، أو حذف كلمة أو زيادة كلمة، أو تقديم واحدة أو تأخير أخرى»¹.

وبهذه القناعة، استلهم البحث أثناء إجرائياته توظيف " الكلمة " فيما نطق به القرآن الكريم مسلماً بأحكام القرآن الحكيم في حين وظّف " المفردة " أو " اللفظة " فيما استعمله اللسان العربي ، و لأنّ القرآن الحكيم عبّر عن الوحي الكريم بـ " كلمة " أو " كلمات "، فهذا جدول يحصي مواضع الكلمتين فيه :

¹ محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، دار الثقافة، ط: 01، 1985، الدوحة، قطر، ص: 84.

الجدول رقم (02): مواضع " كلمة " و " كلمات " في القرآن الكريم

الترقم	السورة والآية	الآية الشاهد
01	البقرة: 37	فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ
02	البقرة: 124	وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ
03	آل عمران: 39	فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ
04	آل عمران: 45	إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ
05	الأنعام: 34	وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَاِ الْمُرْسَلِينَ
06	الأنعام: 115	وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
07	الأعراف: 137	وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ
08	الأعراف: 158	قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
09	الأنفال: 07	وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ

		بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ
10	التوبة: 40	إِلَّا تَتَصَرَّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
11	التوبة: 74	يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ هُمَا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَعْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ
12	يونس: 19	وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
13	يونس: 33	كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
14	يونس: 64	لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
15	يونس: 82	وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ
16	يونس: 96	إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
17	هود: 110	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُزِيغٍ
18	هود: 119	إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
19	إبراهيم: 24	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ
20	إبراهيم: 26	وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ

21	الكهف: 05	مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا
22	الكهف: 27	وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا
23	الكهف: 109	قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا
24	طه: 129	وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى
25	لقمان: 27	وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
26	الزمر: 19	أَقِمْنَ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتِ تُنْفَذِينَ فِي النَّارِ
27	الزمر: 71	وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ
28	غافر: 06	وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ
29	فصلت: 45	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ
30	الشورى: 14	وَمَا تَقْرَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ
31	الشورى: 21	أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
32	الشورى: 24	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ

		بِذَاتِ الصُّدُورِ
33	الزخرف: 28	وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
34	الفتح: 26	إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا
35	التحریم: 12	وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ وَهُدًى وَبُحْرَانٌ

فكلمات الله بكلّ تغيراتها الدلالية من أحكام وآيات عجب هي كلمات، ولم يذكر القرآن الحكيم أيّ كلمة أخرى تدلّ عليها، في حين عبّر عن أداة التّواصل الإنسانيّ بالكلمة تارة و باللفظ تارة أخرى، في قوله - سبحانه - : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ سورة ق: 18، وهو ما سوّغ للبحث استعمال " كلمة " أو لفظ" للتعبير عن التّواصل اللّسانيّ العربيّ، و عدم تجاوز " كلمة" في جنب الوحي الإلهيّ، إضافة إلى التزامه توظيف كلمة " لسان" ونأيه عن لفظة " لغة " لما تلّبسها من معاني الإبهام وعدم الفهم وما لا طائل منه في القرآن المبين .

الجدول رقم (03) : مواضع كلمة " لغو " في القرآن الكريم

الرقم	السورة والآية	الآية الشاهد
01	البقرة: 225	لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ
02	المائدة: 89	لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
03	مريم: 62	لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا
04	المؤمنون: 03	وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ
05	الفرقان: 72	وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا
06	القصص: 55	وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ
07	فصلت: 26	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ
08	الطور: 23	يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ
09	الواقعة: 25	لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا
10	النبا: 35	لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا

ومنه، فإنَّ العرب لم تَرَهُ بُلْغَةً ولكن بلسان، زادها زهوا وشرفا اللسان العربي المبين الذي جاء

به القرآن العظيم.

و إذا كان البحث-محلّ المقاربة - يقوم على المستوى المعجمي ابتداءً، فإنّه يتناول الصّفة المفردة الظّاهرة في القرآن الكريم لموصوفات الآفاق على أساس حضورها في هيئات نحويّة معيّنة - موقعا ونظما - وفي سياقات بلاغيّة ذات دلالات خاصّة، وهذه الغاية في ملامسة كتاب الله - ﷻ - مبنية على عقيدة راسخة بأنّ الكلمات القرآنيّة وحدها الأجدر في التعبير عن كلمة قرآنيّة أخرى و لأن لم تصلح أن تحلّ محلّها فيه، والوصف القرآني لموصوف قرآني لا يعدله وصف لسانی آخر، والتّرادف ظاهرة قد تصحّ - بهذا الاعتقاد - في عموم اللّسان العربيّ، أمّا فيما يحوم حول القرآن، فلا أبلغ من القرآن في الكلام عن القرآن، أو ما ورد فيه، ما دامت « قد اختيرت كلّ كلمة فيه بحكمة إلهيّة، فلا يقوم غيرها في مقامها »¹، و لو حُيِّل إلى النّاظر فيها أنّها تكرّرت بحروفها وبالمحلّ الإعرابيّ ذاته، إلّا أنّها ليست ذاتها في سياقين مختلفين و« لو أنّ مفردة القرآن الكريم ثبتت صيغة ومحتوى لما عكست إعجازيّتها المتمثّلة في الثّابت والمتحرّك، ولا انسجام حينئذٍ للمحتوى الثّابت مع حركيّة الحياة، بينما مفردات الإنسان متحرّكة صيغة ومحتوى »²، حيث لا يد للإنسان فيه و لا اجتهد ، وما لم يكن للإنسان فيه سبب ليس له فيه حقّ التّسمية ولا اقتراح اللفظ المساوي له.

¹ محمّد نور الدّين المنجد: التّرادف في القرآن الكريم، دار الفكر، ط: 01، 1997، دمشق، سورّيّة، ص: 254.

² عمّار ساسي: قضايا اللّسانيّات العربيّة الزّاهنة من الوصف إلى الفحص، عالم الكتب الحديث، ط: 01، 2017، إربد، الأردن، ص: 72.

2- المعجم و المعجم القرآني المتخصص

وبما أنّ البحث يمدّ عينيه إلى الصّفة المفردة الظّاهرة في القرآن الكريم بمقاربة معجميّة، فإنّه لا يتقصّد الغور في تاريخ المعجم ولا في أعلامه ولا أنواعه، بل سيقصّر اهتمامه على أهميّة المعجم في فهم القرآن الحكيم، وأبرز المعاجم التي خدمته، ومع ذلك لا مناص له من تناول كلمة "معجم" تأصيلاً واصطلاحاً..

(عجم): « العين و الجيم و الميم ثلاثة أصول: أحدها يدلّ على سكوت وصمت، والآخر على صلابة وشدّة، والآخر على عضّ ومذاقة، فالأوّل: الرّجل الذي لا يفصح، هو أعجم والمرأة عجماء بيّنة العُجمة، (..) ويقال للصّبيّ ما دام لا يتكلّم ولا يفصح: صبيّ أعجم، (..) وقولهم " العجم " الذين ليسوا من العرب، فهذا من القياس، كأنّهم لما لم يفهموا عنهم سمّوهم عجماء..»¹ ومن الباب: «المُعجم»: حروف الهجاء المقطّعة لأنّها أعجميّة، و" تعجيم " الكتاب: تنقيطه كي تستبين عجمته و يصحّ..»² وعند (الجوهريّ): « "الأعجم" أيضا : الذي لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان من العرب (..) و "الأعجم " أيضا: الذي في لسانه عجمة وإن أفصح بالعجميّة و " العَجْمُ " التّقطُّ بالسّود، مثل التاء عليه نقطتان، يقال :

¹ أحمد بن فارس: مقاييس العربيّة، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط: 02 1972، القاهرة، مصر ج: 04، ص: 240.

² الخليل بن أحمد الفراهيديّ: العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائيّ، دار ومكتبة الهلال، (د - ط)، ج: 01، ص: 237 - 238.

" أَعْجَمْتُ " الحرف و " التعجيم " و مثله () ومنه حروف المعجم ¹، فإذا أدخلت الهمزة على " عجم " نحو: « " أعجم " فلان الكلام: ذهب به إلى العجمة، و " أعجم " الكتاب: نَقَطَهُ » ²، ممّا يُخرج العُجمة إلى الإفصاح..

وفي الاصطلاح: « المعاجم اللّغويّة *: هي التي تحصر ألفاظ اللّغة وترتّبها ترتيباً خاصّاً يساعد على التّعريف على اللفظة بشرح مدلولها » ³، وقد عرّف المعجم الكامل بأنّه ما « يضمّ كلّ كلمة في اللّغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها، وشواهد تبين مواضع استعمالها » ⁴، وليس شططا من القول ولا من مجاوزة الموضوعيّة ذكر المنّة القرآنيّة في تأسيس المعاجم العربيّة، شأنها شأن كلّ العلوم اللّسانيّة عند العرب، وأوّل بواكيرها كتب غريب القرآن مع كثير من أمثال

(أبي محمّد يحيى بن المبارك اليزيديّ ت : 202 هـ) و (أبي عبيدة معمر بن المثنّى، ت : 210 هـ) في مجاز القرآن) و (أبي عبيد القاسم بن سلام، ت : 224 هـ) و (ابن قتيبة ، ت : 267 هـ)

و (أبي جعفر الطّبريّ، ت : 310 هـ) و (ابن الجوزيّ : 508 – 568 هـ)، و (أبي حيّان النّحويّ 654 – 745 هـ)، ليرتقي الدّرس المعجميّ بعد ذلك من حيث نظام تركيبه ودرجة تبسيطه مع الرّاغب الأصفهانيّ (284 هـ – 356 هـ) ثمّ معاجم ألفاظ * القرآن الكريم إلى يومنا هذا، وهي

¹ إسماعيل بن محمّد ، الجوهريّ: تاج اللّغة وصحاح العربيّة، دار المعرفة، ط: 04، 2012، بيروت ، لبنان، ص 676.

² مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، رتبة ووثيقة: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط: 05، 2011، بيروت ، لبنان، ص 844.

* تذكر المقاربة بعدم اعتمادها مصطلح المعاجم اللّغويّة و مضيقها في استعمال مصطلح معاجم اللّسان العربيّ.
³ فوزي يوسف الهابط: المعاجم العربيّة موضوعات وألفاظ، الولاء للطّبع والنّوزيع، ط: 01، 1992، المنوفيّة، مصر، ص: 05.

⁴ عبد الحميد محمّد أبو سكين: المعاجم العربيّة مدارسها ومناهجها، الفاروق الحديثة للطّباعة والنّشر، ط: 01، 1981، القاهرة، مصر، ص: 08.

* تؤكّد المقاربة بأنّ كلمات القرآن ليست ألفاظا.

مدينة له بسبق التأليف فيها على منهج حصيف، ومنها: "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ" لـ (أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسّمين الحلبيّ، (ت: 756 هـ)، حقّقه: محمّد باسل عيون السّود، و نشرته دار الكتب العلمية وأكثرها استعمالاً "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن" لـ (محمّد فؤاد بن عبد الباقي)، وقد طبع عام 1364هـ بدار الكتب المصريّة، واعتمده هذا البحث مرجعاً أساساً في اقتفاء مواضع الموادّ المعجميّة ذات الصّلة بالموضوع، يليه "معجم ألفاظ القرآن" الذي أصدره مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة خلال الفترة (1953 - 1970) و"معجم الألفاظ و الأعلام القرآنيّة" لـ (محمّد إسماعيل بن إبراهيم) بطباعة من دار الفكر العربيّ عام 1961.

أمّا المعاجم القرآنيّة المختصّة، فمنها ما اهتمّ بقصص القرآن ولواء السّبق فيها حازه (الحافظ بن كثير الدمشقيّ) في كتابه "قصص القرآن من القرآن والأثر و"الأعلام في القرآن" لصاحبه (الفريق يحيى عبد الله المعلميّ)، أخرجته دار المعلميّ للنّشر بالرياض عام 1994، وأطلس القرآن لـ (شوقيّ أبي خليل) من دار الفكر المعاصر، دمشق، 2003، كذلك "معجم الألفاظ والموضوعات في القرآن الكريم" لـ (عبد الصّبور مرزوق) بطباعة من دار الشّروق ببيروت، عام 1995، و"المعجم الموضوعيّ لآيات القرآن" لـ (صبحي عبد الرّؤوف عصر) من دار الفكر للنّشر والتّوزيع والتّصدير، بالقاهرة 1990 و "معجم آيات القرآن لمؤلّفه (حسين نصار) ونشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1385 هـ - 1965 م،

و"المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم" لـ (دار الفكر محمّد بسّام رشدي الزّين) بطباعة من المعاصر ببيروت، عام 1995.

وأما ما يتعلّق بالمعاجم اللّسانية المختصّة في القرآن الكريم فلم يقع بين يدي البحث منها إلاّ " معجم الأوزان الصّرفيّة لكلمات القرآن " لـ (حمدي بدر الدّين إبراهيم) نشرته مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، و" معجم الأفعال النّاسخة في القرآن الكريم " لـ (فاطمة الرّاجحي)، أصدرته الدّار المصريّة السّعوديّة للطّباعة والنّشر عام 2007، و" معجم الأفعال الّتي حذف مفعولها غير الصّريح في القرآن الكريم " لـ (عبد الفتّاح الحمّوز) من طباعة دار عمّار للنّشر والتّوزيع 1986، وقد شكّل حضورها في البحث - وإن كان متأخراً - إضافة لما ورد فيه على مستويي النّحو والدّلالة، وعيّنة يحتذى مثالها في مقترح نواة معجم " الصّفة المفردة الظّاهرة في القرآن المبين " يضاف إليها مؤلّف (محمّد عبد الخالق عضيمة) " دراسات لأسلوب القرآن الكريم " الّذي يقوم على استقراء الأساليب النّحويّة في القرآن الكريم في جميع رواياته وقد ضمّه جزءان، من إخراج دار الحديث بالقاهرة عام 1972 م، حيث رصد التّراكيب النّحويّة القرآنيّة و بيّن توجيهاتها اللّسانيّة ورجّح الأفصح فيها، كما رتّب موادّها ألفبائيّاً، ثمّ ختم كتابه بمعجم صرفيّ للقرآن الكريم .

كانت هذه أهمّ العناوين المعجميّة الّتي ساهمت في تخلّق البحث وقد حامت حول حماه دون أن تقع فيه، إذ ليس بينها ما يتعلّق بالصّفة من قريب، فأغلبها يورد الكلمة القرآنيّة ويشرحها دون تمييز لها عن بقيّة مفردات اللّسان العربيّ، وإن ذكرت الشّاهد المتضمّن إيّاها، فمن دون إشارة إلى اختصاصه بها وصلاحيتها فيه دون غيره تركيباً ومقصداً، ممّا يحثّ عليه الدّرس اللّسانيّ الحديث السّاعي « إلى وضع أسس تتّصل باللّغة، وبالأخصّ بمفرداتها ومفاهيمها الّتي ترتبط ارتباطاً متيناً بعلوم لسانية شتّى، منها علم الدّلالة والنّحو والصّرف وضروب الأدب من نثر وشعر»¹؛ وهو ديدن البحوث المعجميّة المعاصرة، حيث « ارتفعت الأصوات مطالبة بدمج علم

¹ محمّد رشاد الحمزاويّ: من قضايا المعجم العربيّ قديماً وحديثاً، دار الغرب الإسلاميّ، ط: 01، 1986، بيروت - لبنان، ص: 05.

الدلالة في النظرية اللغوية، وهذا ما أعطى الصناعة المعجمية زخماً جديداً وقربها من مركز الثقل
¹ «توجّه يباركه البحث - على صغر شأنه - إيماناً راسخاً فيه، بأن الكلمة القرآنية آية في حدّ ذاتها، وفي تركيبها، وآية في أبعادها الدلالية التي تفصح عنها بلاغته العالية .

لهذا؛ يؤمن البحث بأن كلّ خطوة تغزو السّعي نحو إنشاء معجم متّصل بالقرآن الكريم لا
 مناص لها من مراعاة هذه المستويات مجتمعة، لأنّ الكلمة القرآنية طاقة صوتية وطاقة إفرادية
 وطاقة في تركيبها، وفي سياقها وبأسلوبها البلاغيّ الذي صدرت به، وهو ما يسمى بالسياق
 الصرفي الذي يعمل «على تحديد المعنى المراد من الصيغة المزينة، أو الوحدات الصرفية التي
 تلحق بالصيغ المجردة»² والاهتمام بـ «الخطّ الأفقيّ الشّموليّ كثيراً، يضعف صرفها عمودياً
 والمعرفة بقدر ما تطلب السّطح تلخّ في طلبها على العمق، وقد يكون في كثير من الأحيان للعمق
 قيمة وشأن أبلغ من نظيره الأفق»³ بل يذهب في أهمية إلى مساهمته أن يتخذ من «تعدد المعنى
 بالنسبة بالنسبة للمبنى الصرفي الواحد دليلاً قوياً على جدوى مراعاة السياق وما يحمله من قرائن
 لفظية أو معنوية أو حالية للوقوف على الدلالة الدقيقة»⁴ خاصة تلك التي «تستنبط منها الأحكام
 الشرعية أو يستدل بها في مسائل العقيدة»⁵

¹ عليّ القاسمي: علم اللغة وصناعة المعجم، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض - المملكة العربية السعودية -، ط: 02، 1991، ص: 34.

² مروة عباس حسن علي: اثر السياق في دلالة الصيغة الصرفية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة ديالى 2013 بالعراق. ص: 19.

³ عمّار ساسي: صناعة المصطلح في اللسان العربيّ، عالم الكتب الحديث، ط: 01، إربد - عمّان، 2012، ص: 226.

⁴ سليمان بن علي: المظاهر الصرفية وأثرها في البيان مقاصد التنزيل، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد 08، ص، السنة الرابعة، العراق، (دس-ن)، ص 128.

⁵ فريد بن عبد العزيز السليم، الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم، دكتوراه مطبوعة دار ابن الجوزي، ط: 01 1427هـ، الدمام - السعودية، ص: 431.

3- الصّفة في النّحو القرآنيّ

إن كان المعجم وسيلة إيضاح المعاني والتقديم الدلالات الكامنة في الكلمة، فإنّ النّحو ضابطها ومحدّدها، و إذا كان تفسير القرآن الكريم معين العلوم العربيّة، فإنّ النّحو أجلى مظهر للعبريّة العربيّة وقد تدثّرت بدثار الإسلام، ذلك أنّ العلم بدلالة الكلمة القرآنيّة لا يتمّ إلاّ إذا أسكنت بأوديتها التّركيبية ذات النّخيل الصّنوان وغير الصّنوان من النّظم الذي لم ولن نظم إنس ولا جان؛ وعليه، فإنّ النّحو القرآنيّ ذو خصائص لا يشاركه فيها النّحو العامّ، وهو بكلّ مواضعه إن على مستوى الكلمة أو الجملة يفرض وسائل خاصّة في ابتغاء الدّلالة، ومن بين تلك المواضع التي لم تستوف حقّها من الدّراسات " التّوابع " والصّفة واحدة منها، رغم ما نالته من اهتمام في سائر مصادر علوم اللّسان العربيّ.

الصّفة والنّعت في ميزان المعجم:

" الصّفة " من (وصف) حيث «الواو والصّاد والفاء أصل واحد هو تحلية الشّيء (..)»
والصّفة: الأمانة للأمر للشيء، كما يقال: وزنته زنة¹، ومُرأد
« وصفه يصفه وصفا وصفة: نعته »²، وكذلك المعنى عند (ابن منظور) يرادف بين الصّفة والنّعت.

و " النّعت " من « النّون و العين و التّاء : كلمة واحدة وهي النّعت، وهو وصفك الشّيء بما فيه من حسن، كذا قال الخليل، إلاّ أن يتكلّف متكلّف فيقول : ذا نعتٌ سوءٍ، قال : وكلّ شيء جيّد بالغ نعت.»¹ ويقول صاحب اللّسان:

¹ أحمد بن فارس: مقاييس اللّغة، ج: 06، ص: 115.

² الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص: 1402.

« النَّعْتُ: وصفك الشيء تنعته بما فيه وتبالغ في وصفه (..) والنَّعْتُ من كل شيء جيده (..) قال ابن الأعرابي: أُنْعِتَ إذا حسن وجهه حتى يُنْعَت، وفي صفته - ﷺ - يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله، قال ابن الأثير: النَّعْتُ: وصف الشيء»² فالنَّعْتُ مفردة تدلّ على ما في المنعوت من معالم الجمال إذا بلغ منتهاه، وتطلق في مقام المدح فقط، ولم ترد قطّ في كتاب الله -تعالى -، أمّا الصّفة فأعمّ وتطلق على النَّعْتُ ولا يصحّ العكس، هذا في الاستعمال اللّسانيّ العربيّ، أمّا في نظر القرآن المبين فقد ذكرت مادّة (وصف) في مواطن عديدة يضمّها الجدول أدناه:

الجدول رقم: (04): مواضع (وصف) في القرآن الكريم

الرقم	السورة والآية	الآية الشاهد
01	الأنعام: 100	وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ
02	الأنعام: 139	وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِنْتَهُ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ
03	يوسف: 18	وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ
04	يوسف: 77	قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ
05	النحل: 62	وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ

¹ احمد بن فارس: مقاييس اللغة، ج: 05، ص: 448.

² جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور: لسان العرب، اعتناء: خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث، ط: 01، 2008، الجزائر - الجزائر، مج: 08، ج: 14، ص 188.

06	النحل: 116	وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ
07	الأنبياء: 18	بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ
08	الأنبياء: 22	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ
09	الأنبياء: 112	قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ
10	المؤمنون: 91	مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ
11	المؤمنون: 96	ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ
12	الصافات: 159	سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ
13	الصافات: 180	سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ
14	الزخرف: 82	سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ

يبين الجدول أن (وصف) بمشتقاتها، قد ذكرت في كتاب اللّ الحكيم، إمّا في سياق نفي الشّرك عن الله - ﷻ - وتنزيهه عن الولد والزّوج، وإمّا نفيًا للافتراءات عمّا نهى وأحلّ في كتابه، أو تفنيّدًا للأكاذيب التي جاءت على ألسنة إخوة يوسف - عليه السلام -، أي أنّ الصّفة في القرآن الكريم تعلّقت بالمساوئ؛ ومع ذلك، فإنّ البحث يرجّح استعمالها دون (نعت) كونها تنتمي إلى معجم الذّكر الحكيم، ولأنّ اللّسان العربيّ أعطاهَا اتّساعًا دلاليًّا لا تملؤه (نعت)، ثمّ لأنّ مدرسة البصرة

- التي يميل البحث إلى مصطلحاتها - وعلى رأسها (سيبويه)، تعبر عن التابع الأول من حيث الترتيب¹ باسم (الوصف) في حين التزم أئمة الكوفة مصطلح (النعت)².

وللوظيفة الدلالية التي تتمتع بها الصفة في كشفها خصائص الموصوف، فقد اختيرت لتكون مناط تقصي البحث قيد المقاربة، فيسلط عليها أدواته الإجرائية مُحصيا الصفات المفردة الظاهرة في القرآن، ومُركزا على موصوفات الآفاق ليختار منها عينات مقسمة إلى مجموعات ثلاث - كما سلف ذكرها في مقدمته - وصبّ عنايته على الصفة المفردة ليُخرج الصفة الجملة، ثم اختص بالظاهرة ليخرج المحذوفة المقدّرة، نحو قوله - تعالى - : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ سورة الكهف : 79، وقد حذفت منها الصفة " المذكورة " للموصوف " السفينة "؛ وكان اختيار العينة انتقائيا مبنيا على تنوع الهيئات التي وردت عليها الصفة في القرآن الكريم (اسما صريحا، اسم فاعل أو فعول، صفة مشبهة أو صيغة مبالغة) ليحفظ جمالية التنوع ويستقرئ غاياتها الدلالية كلاً على حدة، دون إغفال التركيب القرآني الذي اشتمل عليها لإيمانه بأنه يتوجب « على الناظر في كتاب الله، الكاشف عن أسراره، النظر في هيئة الكلمة وصيغتها ومحلّها وكونها مبتدأً أو خبراً، أو فاعلة أو مفعولة أو في مبادئ الكلام أو في الجواب، إلى غير ذلك من تعريف وتكثير أو جمع قلة إلى غير

¹يرد ترتيب التّوابع في مصادر النّحو العربيّ هكذا: الصّفة، التّوكيد، العطف، البدل؛ فضلا: ينظر: سيبويه: الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان ابن قنبر: الكتاب، تحقيق و شرح: عبد السلام هارون، ط: 03، 1988، مكتبة الخانجيء القاهرة، مصر ج: "02، ص: 188، 189، 190 إلى 193، وقد استعمل مصطلح (النّعت) في ج: 01 ص: 421 إلى 424، وأيضا: أبو بكر محمّد بن سهل بن السّراج: الأصول في النّحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرّسالة، بيروت - لبنان، ط: 01، 1985، ج: 01، ص: 26.

²فضلا: ينظر: أحمد بن فارس: الصّاحبيّ في فقه اللّغة وسرّ العربيّة، تحقيق: مصطفى الشّويحي، مؤسسة بدران، بيروت - لبنان، ط: 01، 1963، ص: 88.

ذلك.¹، إضافة إلى مقارنة الحكمة من تقييد موصوف بصفة واحدة وآخر بصفات متعددة وسواء أكان هذا التعدد بعطف أم بغيره نحو قوله -ﷺ- : «وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا» سورة المرسلات: 27 وقوله كذلك : «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ» سورة فاطر: 27 مضافة أو غير مضافة .

وليس الموقع الإعرابي وحده كفيلا بإدراك دلالة الصفة المفردة الظاهرة في القرآن الكريم، بل لا مناص من ملاحظة النظم الذي قدّمت فيه، من حيث ورودها قبل الموصوف أو بعده، وأثر ما قبلها وما بعدها من كلمات وآيات في سبك دلالاتها، وما تصطبغ به من صبغة الأساليب خبرا أو إنشاء، قسما أو توكيدا، استفهاما أو تعجبا، وجميعها قدّمتها القرآن العظيم تقديمًا « بلاغيا وجماليًا على كلّ المستويات اللغوية متّصلة بغاياتها الإبلاغية والبلاغية، وبوظائفها الجمالية متخطية حدود الاستعمال اللغوي المألوف إلى حدود إبلاغية قارة لا يستطيع الاستعمال العادي للغة أن يقولها بطاقتها الإيحائية التي تكون لها في السياق المعين دون غيره »².

وحمادى القول، أنّ البحث ينهج في اقتفاء الصفة المفردة الظاهرة في كتاب الله - تعالى - منهج الحفاظ على أمشاجها المعجمية والنحوية والبلاغية، من أجل التعرف على بعض أثرها المعجمي و تبين دلالاته المتعلقة بها، لا سيما وقد طغت عليها الغاية النعجيبة أو ما اشتهر باسم الإعجاز الكوني في القرآن الكريم ..

¹ محمد بن بهادر الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد متولي منصور، مكتبة دار التراث، ط: 1957، 01، القاهرة، مصر، ص: 319.381.

² هادي نهر: النحو القرآني الدلالي، عالم الكتب الحديث، ط: 01، 2018، إربد-الأردن، ص: 34.

4-الآفاق في القرآن الكريم سبيل إلى التّبيان لا الإعجاز.

تواشجت في البحث معطيات الدّرس اللّسانيّ مع الكشف العلميّة وآراء المفسّرين والباحثين في علوم القرآن الكريم فيما استصفاه من صفات مفردة ظاهرة لبعض موصوفات الآفاق، وهو ما يُلزمه التّناول المعجميّ أيضاً للفظ الإعجاز وبعض من تاريخه، ومن ثمّ ملاحظة مدى توافقه مع الغرض الدّلالّيّ منه، والبدائية من حضوره في الكتاب المبين .

الجدول رقم: (05): مواضع (عجز) في القرآن الكريم

الآية الشّاهد	السّورة والآية	الرقم
" فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ "	المائدة: 31	01
" إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ "	الأنعام: 134	02
" وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ "	الأنفال: 59	03
" فَسِخُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ "	التوبة: 02	04
" وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ "	التوبة: 03	05
" وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ "	يونس: 53	06
" أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ "	هود: 20	07
"قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ "	هود: 33	08

	هود: 72	" قَالَتْ يُوتِلْتِي ءَالِدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ "
09	النحل: 46	" أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ "
10	الحج: 51	" وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ "
10	النور: 57	" لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ
11	الشعراء: 171	النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ "
		" إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ "
12	العنكبوت: 22	وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ
13	سبأ: 05	مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ
		" وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن
14	سبأ: 38	رَجْزٍ أَلِيمٍ "
		" وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ
		مُحْضَرُونَ "
15	فاطر: 44	" أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
	الصافات: 135	الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ
		مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا
		قَدِيرًا "
		"إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ"
16	الزمر: 51	فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ
		سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ
17	الشورى: 31	وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
		وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ
18	الأحقاف: 32	وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ
		وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
19	الجن: 12	" وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ "
20	الجن: 12	" وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا "

21	الذاريات: 29	" فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ "
22	القمر: 20	" تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ "
23	الحاقة: 07	" سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثُمْنِيَّةَ أَيَّامٍ فَهُمْ لَا يَسْتَفِيدُونَ " فِيهَا صَرَغِي كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ "

الجدول رقم (06): سياقات (عجز) في القرآن الكريم

الرقم	السياق	التكرار
01	الإنسان (مؤمنا وكافرا)	07
02	الجنّ	02
03	أعجاز النخل المنقعر	02

إن تأمل السياقات القرآنية التي احتوت (عجز) ومشتقاتها يرتد إلى معنى واحد، هو تحقير العاجز، المحكوم عليه بفشل محاولته الظهور مظهر القوي على اختلاف المتحدين، فالإنسان مؤمنا أو كافرا فالإنسان مؤمنا أو كافرا هو من خلق الله -ﷻ، عاجز عن المعرفة الطاقة بأسرار كينونته، و الجنّ خلق آخر، ورغم ما أتان الله سبحانه من قدرات تفوق الإنس إلا أنه أضعف ما يكون أمام قدرة من أوجده، وأعجاز النخل الخاوية في هشاشتها مضرب مثل هشاشة مآل من حل بهم العذاب بعد أن حسبوا أن قوتهم لا تجارى فعتوا دعاء قوم هود - ﷻ، ومقابل كل هذه السياقات المتنوعة تنوع ما خلق الله من إنس وجن ونبات، ينفي القرآن الكريم (العجز) عن الذات الإلهية في عليائها، بخبر تقريره في اثنتي عشر (12) موضعا ليقر في نفس المتلقي للآيات الكريم هذه القدرة المطلقة للعلي التقدير الذي أحال عجز السيدة " سارة " من " عجز عقيم " إلى "

زوج " تقرر بها عين زوجها النبي إبراهيم -عليه السلام- بولده النبي إسحاق -عليه السلام- فحدث الاستثناء بكرامة تربط سياق " عجز " في الآية 29 من سورة الذاريات بالبعد الحجاجي على كمال الإرادة الإلهية وفي قلب المعطيات المألوفة بما يدل على ألوهية الله -جل جلاله-.

وفي معاجم اللسان العربيّ ينبجس من (عجم) «أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على الضّعف، والآخر على مؤخّر الشّيء فالأول: " عجز " عن الشّيء يعجز عجزاً فهو عاجز أي ضعيف (..) ويقال: " أعجزني " فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه (..) ومن الباب: " العجوز ": المرأة الشّيخة، (..) ويقال: فلان "عاجز" فلانا، إذا ذهب فلم يوصل إليه..¹ كذلك: « " العَجْزُ ": الضعفُ التّعجيز: التثبيط، (..) والمعجزة: واحدة معجزات ²»، والقول: « أعجزه " الشّيء: فاته، و"المعجزة" بفتح الجيم وكسرهما " مَفْعَلَة " من " العَجْز ": عدم القدرة، أو يقال: فلان " يعاجز " عن الحق إلى الباطل أي يلجأ إليه (..) وأعجز " فلانا: وجده عاجزاً وصيّره عاجزاً³، فالتعجيز غاية يكون فيها تهوين وتحقير للعاجز.

أمّا في الاصطلاح: فإنّ " الإعجاز " *: « إخبار القرآن الكريم أو السنّة النبويّة بحقيقة أثبتتها العلم التجريبيّ، و بينّ عدم إمكانيّة إدراكها بالوسائل البشريّة في زمن الرّسول - ﷺ - ممّا يظهر صدقه فيما أخبر به عن ربّه - ﷻ - وهو باب من أبواب الإعجاز الغيبيّ ⁴»، تعريف لا يسلم - في رأي البحث - من بعض النّقد، فهل يؤيّد المولى - ﷺ - نبيّه بآية تُعجز معاصريه ولا تعجز من يأتي بعده ؟ في حين أنّ عصا موسى أو النّار التي استحالت حرارتها برداً وسلاماً على

¹ أحمد بن فارس: مقاييس اللّغة، ج: 04، ص: 232.

² الجوهري: تاج اللّغة وصحاح العربيّة، ص: 673.

³ ابن منظور: لسان العرب، ج م: 08، ص: 54-55-بتصرف

*تحديداً ما سمّي بالإعجاز العلميّ.

⁴ عبد الله بن عبد العزيز المصلح وعبد الجواد الصّاوي: الإعجاز العلميّ في القرآن والسنّة، مؤسّسة العالميّة للثقافة والعلوم، ط: 01، 2013، الرّياض- المملكة العربيّة السّعوديّة ص: 28.

إبراهيم - عليهما السلام - وغيرها من براهين الأنبياء الكرام لا يمكن خرقها على مرّ العصور؟ وهل يسمّى الغيب غيباً ما يكون مؤقتاً؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ سورة لقمان: 34.

فإذا احتكّم إلى اللسان العربيّ المبين الذي أنزل به القرآن الحكيم آيةً أيد بها الله - ﷻ - نبيّه المصطفى - ﷺ -، وقد شهدت العرب بتفوّقه على فصاحتها وتعجيزه بلاغتها لم يُر للكلمتين " معجزة " ولا " إعجاز " أو " كتاب معجز " حضور فيه، سواء أكان هذا متعلّقاً بالنبيّ الخاتم - ﷺ - أم بالأنبياء - عليهم السلام - قبله من آيات أثبتت لهم النبوة والرّسالة؛ إضافة إلى أنّ هذه الكلمة ظهرت اجتهداً قال به « (محمد بن يزيد الواسطيّ ت : 306هـ) مطلع القرن الرابع للهجرة، (..) ثم أخذت كلمات " آية " و " برهان " و " سلطان " تقلّ بعد ذلك »¹، وإن كان هذا الاجتهاد يهدف إلى تخصيص البراهين الخارقة لقوانين الله في الأفاق، فإنّه يظلّ قاصراً - في رأي البحث - عن الإلمام بهذا المفهوم، ذلك أنّ الانتصار لغاية التعجيز من الله - ﷻ - للنّاس، وتحديّهم إيّاهم - وفق السّادة العلماء - بكلّ آية - وحيّا أم كونا منظورا - يبعث على المواجهة بين طرفين كلّ منهما يبتغي استحقاقه أمراً ما وإلزام خصمه الحُجّة، والتّحدّي ذاته يعزى إلى الأصل « "حداً" : الحاء والدال والحرف المعتلّ أصل واحد، وهو السّوق، يقال: حدوثه على كذا أي سُقته وبعثته عليه (..) وقولهم فلان يتحدّى فلانا إذا كان يباريه و ينازعه الغلبة وهو من هذا الأصل، لأنّه إذا فعل ذلك فكأنّه يحدوه على الأمر .. »².

¹نعيم الحمصي: فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرّسالة ، ط: 02، 1980، دمشق - سورّيّة ص: 08.

²احمد بن فارس: مقاييس اللغة، ج: 02، ص: 35.

وإنعام النظر في المفهوم المعجمي لـ "لَتَحْدِي" الذي انعدم حضوره لفظاً في القرآن الكريم يكشف ما فيه من شبهة التكافؤ بين طرفيه، حيث لا يناع القوي الضعيف إلا وقد قضى حاجته منه، ولا غاية له في ذلك إلا إلزامه حدّه بإبراز سلطانه وقوّته عليه، مع ما يكتنف الفعل من معاني التحقير والإذلال، لقبول الطّرف الثاني وقوفه في التّحدّي؛ ولكنّ الله - ﷻ - لم يتحدّ عباده - مؤمنين وكافرين - بما بسط لهم من آيات الوحي وبراهين الكون وسلطان أيّد به رسله الكرام، بل فهم ذلك من آيات محدّدة في القرآن الكريم أريد بها درء شبهة أن يكون القرآن العظيم من عند غير الله - ﷻ - وليس من عنده، ولا هو سحر أو شعر، أو محض افتراء من الصادق الأمين - ﷺ - ومنها قوله - ﷻ - :

﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ سورة الإسراء: 86-88

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مِنْ اسْتَعْطُمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ سورة هود: 13

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ سورة البقرة: 23 - 24.

إنّ طلب الله - ﷻ - من الكفّار المرتابين في مصدر القرآن الكريم أن يأتوا بقرآن مثله أو عشر سور كسوره، أو سورة كإحدى سوره إنّما ورد في سياق الردّ على مزاعمهم الطّاعنة في نسبته إليه، ولم يكن أبداً تحدّياً منه بغرض المباراة البلاغية أو العلميّة، وهو - جلّ شأنه - خالق

الخالق، لا يقبل العقل السليم أن يباري مخلوقاته، بل له أن يحكم ولا سبيل إلى الطعن في أحكامه لأنه أعلى من ذلك، أما السفیه الذي خُلِق من عجل ، فقد تجرأ منه من تجرأ متحدياً مبارياً - وهو الجهول بخالقه - : ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (32) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ سورة الأنفال : 31 - 33.

لقد أدت جاهلية الكفار بهم إلى طلب التحدي بشئ الأساليب، ولكن الله - ﷻ - أكبر وأحلم بعباده من أن يتحداهم وهم الضعفاء بجهلهم المفضي إلى العذاب أو إلى الاستغفار إن آمنوا، وليس يعوزهم - حاشاه - إثبات قوته بتعجيزه إياهم وإنما يعلن أحكامه الثابتة، ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ سورة البقرة: 02.

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ سورة آل عمران: 03

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ سورة النساء 105

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ سورة المائدة : 48.

ومن أسباب نزول القرآن الكريم يذكر - ﷻ - : ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ

الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سورة النحل: 64

ولم يكن أبداً ليعجزهم، و أبلغ من ذلك، هاهو ذا - ﷺ - يخبر نبيه - ﷺ - عن البعد الدلالي
 لآيات الخلق والكون : «سُنُّرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنََّّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ
 بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» سورة فصلت: 53... بلى يا رب. «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا
 آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ» سورة ص: 29.

تأسيساً على هذه الآيات البينات - وليست إلاً غيضاً من فيض - فإن القرآن الكريم وما
 وجّه إليه من آيات الخلق في الإنسان والكون بكلّ تفاصيله، لم ينزل تعجيزاً للناس ولكنه آية بيّنة
 في ذاتها تُبَيِّنُ أنه وجميع ما ذكر فيه إنما هو سبيل هداية ومبعث فقه وتنوير عقل، وأما التعجيز
 والإهانة للعاجز أصلاً، فيدحضه قوله - ﷺ - : «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
 وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً» سورة الإسراء : 70.

وهو ما حدا بالبحث إلى تجنّب مصطلح " الإعجاز " قناعة منه بعدم مناسبته لما وضع له،
 ولا اتّفاقه مع مقصد الوحي الكريم حين قدّم آيات الكون ...

الدلالة:

يتغيّا البحث في تقيّته كلمات القرآن المجيد الواقعة صفات لبعض موصوفات الآفاق البعد
 الدلاليّ باعتباره مستوى يسري سريان الروح في الكلام، غير أنّ زاوية الرؤية لنوع الدلالة المقصودة
 ليس مجرد ما جاءت به بحوث علم الدلالة الذي قولبته مناهج البحث اللسانيّ الحديث، بل هي تراه
 بعين اللسان العربيّ المبين وما حام حوله من جهود العلماء المسلمين، سواءً أكانوا معجميين أم
 مفسّرين أم من أهل البلاغة ، وإن سجّل حضور المصطلح الدلاليّ المعاصر " الدالّ " و " المدلول "
 و " الدلالة المركزيّة " و " الهامشيّة " فإنّما هو حضور لتماسّه مع المفاهيم العربيّة المبينة، وما هذا
 التوجّه لتقليل من شأن المعارف الوافدة ولا تقزيماً لها بقدر ما هو ترجيح للكلمة القرآنيّة عن غيرها

لقوله - ﷺ - : «أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا» سورة الفرقان : 45، و إعازا لجهود العرب المسلمين الذين أينعت علوم العربيّة على أيديهم، وأثمرت من كتبهم سبل اهتداء تتوسّل بها معاني القرآن المجيد، في مختلف مستويات الدلالة: المعجميّة والصّرفيّة والصّوتيّة والنّحويّة والسّياقيّة ..

وعلى سبيل التعريض لا التّعريض ما عمّر من كتب المعجميّين الأوائل الذين انقسموا إلى طائفتين، بين متخصصين في معاجم الموضوعات وآخرين في معاجم الألفاظ*، النّحاة، وعلى رأسهم "سيبويه" (ت: 180 هـ) في أثره التّقيديّ للسان العربيّ "الكتاب" الذي بيّن فيه الغاية الدّلالية للظواهر النّحويّة مثل: التّقديم والتّأخير والحذف، ودلالة الصّفة المشبّهة والاتّساع في الأفعال و المصادر.¹

ومن أوائل البلاغيّين الذي جمعوها البلاغة إلى الدّلالة (أبو عثمان الجاحظ ت: 255هـ) صاحب "البيان والتّبيين" و"الحيوان" إذ وصل مفهوم الدّلالة بالبيان الذي ألقى «الله - ﷻ - بمدحه و يدعو إليه و يحثّ عليه، بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف العجم»² ثمّ جاء (ابن جنّي ت: 392) بنظريّة التّقليبات اللفظيّة وما تنتجها من دلالات، وقد جعلها ثلاثة في باب الدّلالة اللفظيّة والصّناعيّة والمعنويّة³ ثمّ تلاه (عبد القاهر الجرجاني، ت:

*من أعلام صناعة معاجم الموضوعات: أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الغريب المصنّف، والتّعالبيّ في كتابه فقه اللّغة و سرّ العربيّة، ومن أعلام صناعة معاجم الألفاظ الخليل بن أحمد الفراهيديّ من خلال معجم العين، الفيروز آبادي في القاموس المحيط، وابن منظور بمعجمه لسان العرب.. إلخ .

¹ سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، ص: 28.

² أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتّبيين، دار ومكتبة الهلال، ط: 01، 1423 هـ، بيروت-لبنان، ج: 01، ص: 81 - 82.

³ فضلا: ينظر: أبو الفتح عثمان بن جنّي: الخصائص، تحقيق: محمّد عليّ النّجّار، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط: 01، ج: 01، (دس-ن)، ص: 13 و98.

471هـ) بنظريّة النّظم، ولا تزال محلّ مدارس إلى يومنا هذا، بتقديمه «الصّيغة الفنّيّة التي خلص إليها في شأن الدّلالة، وهو بهذا يمثّل خلاصة جهد البلاغيّين في تناولهم لمباحث اللفظ والمعنى، والحقيقة والمجاز، والتّقديم والتّأخير، عند كلامه عن الدّلالة»¹.

أمّا (الشّريف الجرجانيّ، ت: 816 هـ) فيرى «الدّلالة كون الشّيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشّيء الأوّل هو الدّالّ والثّاني هو المدلول، وكيفيّة دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محورة في عبارة النّص وإشارة النّص ودلالة النّص، واقتضاء النّص، ووجه ضبطه أنّ الحكم المستفاد من النّظم إمّا أن يكون ثابتاً بنفس النّظم أو لا (..) فدلالة النّص عبارة عمّا ثبت بمعنى النّص لغة لا اجتهداً²»، فكانت رؤية لسانيّة دقيقة النّظر في تفاصيل النّص وما تؤدّيّه تلك التفاصيل من مهامّ دلاليّة.

وأما الدّلالة السّياقيّة * فمثّلت - ولا تزال - محلّ التّفسير الواعي للقرآن الكريم، من خلال معرفة أسباب التّزول ومكانه وزمنه، وحال المخاطب لتبيان معنى الآية الواحدة وتناسبها مع ما قبلها وما بعدها، وكذلك المقطع من السّورة والسّورة برمتها، ومن ثمّ الوصول إلى الدّلالة العامّة للذكر الحكيم، باعتباره آية محكمة الاتّساق واضحة الدّلالة.

وممن أشار إلى فضل السّياق (الرّكشيّ ت: 794 هـ) بقوله أنّه «يرشد إلى تبين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العامّ، وتقييد المطلق وتنويع الدّلالة، وهو من أعظم

¹ عقيد خالد العزّاويّ و حمّاد بن خليفة البعقوبيّ: الدّلالة والمعنى - دراسة تطبيقية -، دار العصماء، ط: 01، 2014، دمشق - سورّيّة، ص: 49.

² عليّ بن محمّد السّيد الشّريف الجرجانيّ: معجم التّعريفات، تحقيق محمّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنّشر والتّوزيع والتّصدير، ط: 01، 2004، الجزائر - الجزائر، ص: 91.

* ما يسمّى بالمقام وسياق الحال في علم اللّغة الحديث.

القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره و غلط في مناظراته «¹ مما جعل كتب التفسير تضم الكثير من أنواع الساق ودلالاته، إيماناً من المفسرين بأهمية « النظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله - أي القرآن الكريم - من أعظم ما يعين على معرفة وفهم المراد منه . »².

وفي العصر الحالي، يزداد البحث الدلالي في القرآن الكريم اتساعاً، بما ينقض المقولة على السنة المرجفين في الدرس اللساني - النحو خاصة - بأن علوم العربية نضجت واحترقت، ويرد ما يتوارد عليه من اجتهادات لا تنفصم عنه ولا تكاد تهدأ، فالكلمة مادته والنظم تركيبه، والدلالة غايته، والبلاغة العالية تجليته، فإن ضرب عليه سراق التّعيد في زمن، فإن وقود انبعاشه الأبدى تلك الصلة بينها وبين المصدر الذي انطلق منه وهو كتاب الله الخالد، فمن البيان اللساني الذي ينطق به إلى البيان الكوني الذي يتمظهر فيه للأبصار وتصل به جواهر البصائر، إلى تجليات الحق ﴿سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ سورة فصلت : 53 .

إن الدلالة القرآنية لتجدل أصوات الكلمة و الكلمات والآية والسورة، فتتحقق بها معاني النفس والتركيب والتركيب والبلاغة، ذلك أن صوت النفس يجري « مجرى الإرادة، ويذهب المذهب، وينزل منزلة العلم الباعث على كليتهما، فإن البيان لا يؤلف أصواتاً لرياضة الصدر بها،

¹ محمد بن بهادر الزركشي: البرهان في علوم القرآن ، ج: 02، ص: 200-201.

² عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، اعتناء: سعيد بن فوز الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية، ط: 01، (دس-ن)، ج: 01، ص: 04.

وصلاية الحلق عليها، ولكنّه صور نفسيّة في الطّبيعة وصور طبيعّة في النّفس¹ وممّا لا يجيده إلّا القرآن المبين، وهو أبين ما يكون في الآيات النّاطقة عن الكون الصّامت لسانا الفصيح دلّائل ومشاهد تتوالى عجائبها وتظّل مثار الدّهشة غير المنقطعة في منظرها، ومعقد البلاغة العالية في كلمات الذّكر الحكيم وتراكيبه ذات الدّلالات المتجدّدة .

هكذا اقترب البحث من الصّفات المفردة الظّاهرة لأفق السّماء في القرآن الكريم، بيانا من الوحي عن البيان الكوني، ودلالة متضافرة المستويات من بلاغتي القرآن المبين والأفق المبين، ولا يفوت البحث بين يدي هذا المهاد الإشارة إلى أنّ اختياره لبعض صفات ما في الأفق عيّنة ليس من باب البرهان العلميّ على صدق ما أنبأ به القرآن العظيم - حاشاه -، بل الضّدّ هو الصّحيح في اعتقاده ويقينه، أي أنّ المستجدّات العلميّة حول البراهين الكونيّة متغيّرة و أحكامها آنيّة في حدود العصور ، أمّا أخبار القرآن بشأن هذه المعطيات الكونيّة فعابرة للعصور عبور الوحي الشّريف لها ، ومثل هذه اللّطائف لا يحسن تأملها خير من البلاغيّ الحصيف الذي يجد في الكلمة لبنة أساسا في بناء صرح الدّلالة العامّة، اللّسانيّة والعلميّة على حدّ سواء.....

وعلى الله حسن التّوكّل..

¹مصطفى صادق الرّافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، مراجعة واعتناء: نجوى عبّاس، مؤسسة المختار للنّشر والتّوزيع، ط: 01، 2008، مدينة نصر-مصر ص: 173.

الفصل الأول: الصفات المفردة الظاهرة للسماء والسموات

المبحث الأول: الصفات المفردة الظاهرة للسماء:

- سقف محفوظ.

- الدنيا.

- ذات الحيك.

- ذات الرجع.

المبحث الثاني: الصفتان المفردتان الظاهرتان للسموات:

1. طباقا.

2. شدادا.

المبحث الأول: الصفات المفردة الظاهرة للسماء:

- سقف محفوظ.

- الدنيا.

- ذات الحبك.

- ذات الرجع.

توطئة

السَّماء والسَّمَاوَات

يرفع هذا البحث بصره بخجل إلى الأعلى، لينظر في كون السَّماء، فإذا به يرتدّ تعباً ونصباً،
لأنّه لم يجد للسَّماء الدُّنيا نهايةً تحتويها زاويته الضَّيِّقة، فكيف به وهو يؤمن بما فوقها من سماوات
سبع طباق شداد!!.

ومع ذلك يرجو طرق أبوابها، مسترشداً بما أحصاه لها من صفات مفردة، راجياً أن يحظى
بفتوح بعض الفهم، المؤدّي إلى معرفة خالقها العظيم -جلّ جلاله-...

الجدول رقم (07) : مواضع صفات السَّماء / السَّمَاوَات في القرآن الكريم

الرقم	السورة والآية	الرقم	السورة والآية
1	الأنبياء: 32	5	نوح: 15.
2	الصّافات: 06.	6	النّبا: 12.
3	الذّاريات: 07.	7	الطّارق: 11.
4	المملك: 05.		

وردت كلمة "السَّماء" في القرآن الكريم إفراداً وجمعا (سماوات) ثلاثمائة مرّة وازدادت
عشرًا (310)، وصفت منها في مواضع سبعة (07)، ستّ (06) صفات مفردة ظاهرة، وهي قوله -جلّ

من قائل-: ولا مناص للمقاربة من الإقرار بالعَجَب التَّعْبِيرِيّ للقرآن الكريم، حين وظّف الأفراد تارة بصفات مخصوصة، والجمع تارة أخرى بصفات مخصوصة أيضا، وتبقى البوابة إلى ذلك ممثلة في المعاجم اللغوية، حيث تكون السماء من « (سمو): السّين والميم والواو أصل يدلّ على العلوّ، يقال: سموت إذا علوت، وسما بصره: علا، وسما لي شخص: ارتفع حتّى استتبّه(..) والعرب تسمي السحاب سماء، والمطر سماء، فإذا أريد به المطر جُمع على سُمي، والسماء: الشخص، والسماء: سقف البيت، وكلّ عالٍ مُطِلّ سماءً(..) ويقال: إنّ أصل اسم سَمَوٍ، وهو من العلوّ، لأنّه تنويه ودلالة على المعنى»¹، وَ يَعْْمُ إطلاق "سماء" على « كلّ ما علاك فأظلك(..) والسمو: الارتفاع والعلوّ، تقول منه: سَمَوْتُ وَسَمَيْتُ(..) وتساموا أي تباروا(..)»² ومن ذلك الفعل « سما سموًا: ارتفع وسما به: أعلاه(..) وساماه: فاخره وباراه»³.

ولأنّ السماء/السموات عليّة مرتفعة، فقد أعلى القرآن العظيم من شأنها، وأحاطها أهل علومه بالناية والدّرس، فقال: « بعضهم: كلّ سماء بالإضافة إلى ما دونها فسماء، وبالإضافة إلى ما فوقها فأرض، إلّا السماء العليا، فإنّها سماء بلا أرض، وحمل على هذا قوله: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمُوتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» سورة الطّلاق: 12(..) والسماء: المقابل للأرض مؤنّث، وقد يذكّر، ويستعمل للواحد والجمع لقوله: «ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمُوتٍ» سورة البقرة: 29، وقد يقال في جمعها سماوات، قال: «خَلَقَ السَّمُوتِ» سورة الزّمر: 05»⁴.

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، ج: 03، ص: 99-100.

² - الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، ص: 510.

³ - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص: 643.

⁴ - الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ضبطه وراجعته: محمّد خليل عيتاني، دار المعرفة، ط: 06، 2010، بيروت- لبنان، ص: 28.

أمّا في الاصطلاح العلميّ فهي: « كلّ ما يحيط بالأرض من جميع أقطارها، ابتداءً من الغلاف الجوّيّ الذي يرتفع بنحو ثلاثمائة كيلومتر فوق سطح الأرض وكأنّه بحر من الهواء حول الكرة الأرضيّة، ثمّ إنّهُ بعد هذا الغلاف الجوّيّ يوجد فراغ كونيّ تسبح فيه ملايين الأجرام السماويّة(١) وهي تتجاذب فيما بينها وتتحرك في تماسك واتّزان في طبقة بعد طبقة، وكأنّها البناء المحكم، أو كأنّها السّقف المبنيّ فوق الأرض»¹؛ فالسّماء المنظورة عن قرب جزء من الغلاف الجوّيّ الملتصّ حول كوكب الأرض، وهي طبقة من طبقات سماويّة أخرى، أوردها الذّكر الحكيم باسم السّماوات لفروق دلاليّة، وحقائق غيبيّة أكثر من بعض مؤشّراتها العلميّة المتوصّل إليها!.

وهذه المباحثة تتناول الصّفات المفردة الظّاهرة لكلّ من السّماء والسّماوات

الجدول رقم (08): صفات السّماء / السّماوات في القرآن الكريم

الرّقم	الموصوف	الصّفة
الموصوف الأوّل	السماء	السّقف المحفوظ
		الدّنيا
		ذات حبك
		ذات الرّجع
الموصوف الثّاني	السّماوات	الطباق
		الشّداد

¹-زغلول النّجّار: السّماء في القرآن الكريم، دار المعرفة للطّباعة والنّشر والتّوزيع ، ط: 05، 2010م، بيروت - لبنان ص: 52.

سقف محفوظا

يقول-جل من قائل:- «وَمَنْ يُقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ»²⁹ أو لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا³⁰ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ³¹ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رُوسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ³² وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ» سورة الأنبياء: 29-32.

قصة بدء الخلق،، وحكاية تكوين الكون،، بعد توأمة بين الأرض والسَّمَاء اللتين تعرّضتا لما سماه العلم "انفجاراً عظيماً" أفرز "الدّخان الكوني"^{*}، أدّى إلى تحوّل فيهما، والسَّمَاء غير مُستثناة منه، بل جُعِلَتْ بقدرة العظيم-سبحانه- «سَقْفًا مَحْفُوظًا³³»؛ فأما (السَّقْف): فمن « السّين والقاف والفاء: أصل يدلّ على ارتفاع في إطلال وانحناء، من ذلك السَّقْف سقف البيت لأنّه عالٍ مطلّ، والسَّقِيفَة الصّفة، والسَّقِيفَة: كلّ لوح عريض في بناء إذا ظهر من حائط، والسَّمَاء سقف»¹، وليس مخفى علوّ السَّمَاء، ولا عرضها اللامتناهي، ومع ذلك يضيف (الفيروز آبادي) مؤشراً معنوياً آخر إلى مادّة (سقف) حين يذكر أنّ « "الأسَقَف": الرّجل الطّويل أو الغليظ العظام العظيمها»²، ووجه الغلظة في السَّمَاء شدة ترى وقوة ذكرها تعالى- في سورة النّبا، فالسَّقْف كلّ بناء مرتفع، محكّم غليظ المادّة مطلّ على ما دونه، ولكن ما كلّ سقف يكون "محفوظاً"، حفظ السَّمَاء التي لم تذكر صراحة في

* للمزيد: ينظر فضلاً: زغلول راغب النّجار: تفسير الآيات الكونيّة، ج: 02، ص: 109-118؛ مكتبة الشّروق الدّوليّة، ط: 01، 2007، و ماهر الصّوفي وآخرون: الموسوعة الكونيّة الكبرى، المكتبة المصرية، ط: 01، 2007، بيروت - لبنان ج: 01، ص: 79-128.

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللّغة، ج: 03، ص: 87.

² - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص: 623.

الآية الكريمة وإنّما بما يشّبه وصف آخر لها، فالسّماء الدّنيا سقف أما بقية السّموات فليست كذلك بالنسبة الى الأرض.

والله أعلم- تعزى الصّفة "محفوظا" إلى المشتقّ (حفظ) « وهو أصل يدلّ على مراعاة الشّيء(..) والغضب: الحفيظة، وذلك أنّ تلك الحال تدعو إلى مراعاة الشّيء(..) والتّحفّظ: قلة الغفلة والحفاظ: المحافظة على الأمور»¹ ومن معاني الحفظ:

« حفظت الشّيء حفظا أي حرسه، وحفظته أيضا بمعنى استظهرته، والحفظة: الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم، والمحافظة: المراقبة»² وأيضا: « رجل حافظ العين: لا يغلبه النّوم، والحفيظ: الموكّل بالشّيء، كالحافظ وفي الأسماء الحسنى: الذي لا يعزب عنه شيء في السّماوات ولا في الأرض-تعالى شأنه-، والحافظ: الطّريق البين المستقيم(..) والمحافظة: المواظبة(..) واحتفظ لنفسه: خصّها به...»³.

وبناء على ما حفظته المعاجم من دلالات للأصل (حفظ) فإنّه جذر لكلّ فروع العناية والرّعاية وما يتطلّبانه من رقابة وحراسة.

أمّا القرآن الكريم، فقد وظّف (حفظ) في سياقات مختلفة، منها ما كان « تارة لهيئة النّفس التي بها يثبت ما يؤدّي إليه الفهم، وتارة لضبط في النّفس ويضادّه النّسيان، وتارة لاستعمال تلك القوّة،

¹ أحمد بن فارس: مقاييس اللّغة: ج: 02، ص: 87.

² - الجوهري: تاج اللّغة وصاح العريّة، ص: 247.

³ - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص: 304-بتصرّف-.

فيقال: حفظت كذا حفظاً، ثم يستعمل في كلّ تفقّد وتعهّد ورعاية»¹، كما ذكره-سبحانه- في سياقات قرآنيّة كثيرة، « ستّة أوجه: العلم، الصّيانة، الحفظ بعينه، الشّفقة، الضّمان، الشّهادة»².

يستنتج أنّ (حفظ) يحمل دلالة « حياطة قويّة ضابطة للشّيء، فلا يضيع ولا يتقلّت»³، ما دام (مُراعىً) و (محروساً) و(مُراقباً)، وحتّى تُعرّف درجة التّوافق بين (محفوظاً) وهذه المعاني الخادمة، لا بدّ من متابعة أصولها المعجميّة في سياقاتها القرآنيّة، لتتجلّى إمكانيّة التّرادف من عدمها، والمستهلّ بالأصل(حفظ):

الجدول رقم (09): مواضع ذكر (حفظ) في القرآن الكريم

الرقم	السورة والآية	الرقم	السورة والآية
01	البقرة: 238	08	الأنعام: 61
02	البقرة: 255	09	الأنعام: 92
03	النساء: 34	10	الأنعام: 104
04	النساء: 34	11	التوبة: 112
05	النساء: 80	12	هود: 57
06	المائدة: 44	13	هود: 86
07	المائدة: 89	14	يوسف: 12

¹ - الأصفهاني المفردات في غريب القرآن ، ص: 131.

² - الحسين بن محمد الدامغاني ، إصلاح الوجوه و النظائر في القرآن الكريم، تحقيق وترتيب : عبد العزيز سيد الأهل دار العلم للملايين، ط: 02، 1977م، بيروت- لبنان إصلاح ص: 137-138.

³ - محمّد حسن حسن جبل : المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل لألفاظ القرآن، مكتبة الآداب، ط: 01 ، 2010، القاهرة - مصر ص: 165.

سبأ: 21	31	يوسف: 55	15
الصّافات: 07	32	يوسف: 63	16
فصلت: 12	33	يوسف: 64	17
الشّورى: 06	34	يوسف: 65	18
الشّورى: 48	35	يوسف: 81	19
ق: 04	36	الرعد: 11	20
ق: 32	37	الحجر: 09	21
المعارج: 29	38	الحجر: 17	22
المعارج: 34	39	الأنبياء: 32	23
الانفطار: 10	40	الأنبياء: 82	24
المطّفين: 33	41	المؤمنون: 05	25
البروج: 22	42	المؤمنون: 09	26
الطّارق: 04	43	النّور: 30	27
		النور: 31	28
		الأحزاب: 35	29
		الأحزاب: 35	30

الجدول رقم (10) : سياقات (حفظ) في القرآن الكريم

الرقم	السياق	التكرار
01	الصّالحون الحافظون	14
02	حفظ الله للسماء	05
03	حفظ الله للشياطين المسخرة لسليمان - عليه السلام	04
04	إخوة يوسف	04

بمتابعة ما ورد في الجدولين، تبدو مادّة (حفظ) ذات علاقة. بما يصطف من العباد أو المخلوقات، أو الخدم (إنس وشياطين).

الجدول رقم (11) موصوفات (حفظ) في القرآن الكريم

الرقم	الموصوف	التكرار
01	اللّوح المحفوظ(كتاب الغيب)	02
02	السماء	01
03	الأوابون	01

و يلاحظ شرف ما ارتبطت به هذه الصّفة من علوّ في السّماء التي تكفل الله الحفيظ بحفظها، كما تكفل بحفظ ما شرف من موصوفات أخرى نحو كتاب الغيب أي اللّوح المحفوظ ، و ما وعد به كلّ عبد أواب إليه .
أمّا الكلمة الأقرب -حسب المعجميّين- إلى (حفظ) فهي (رعى)، وهي

ذات أصلين: « أحدهما المراقبة والحفظ، والآخر: الرجوع، فالأول رعيت الشيء رقبته، ورعيتَه إذ لاحظته، والمُرَاعِي: الوالي(..) والإِرْعَاء: الإبقاء، وهو من ذاك الأصل لأنَّه يحافظ على ما يحافظ عليه»¹ وقد وردت عشر (10) مرّات في الذّكر الحكيم، بيّنها الجدول أدناه و بعده مثله يحصي سياقاتها فيه:

الجدول رقم (12): مواضع مادّة (رعى) في القرآن الكريم.

الرقم	السورة والآية	الرقم	السورة والآية
01	البقرة: 104	06	الحديد: 27
02	النساء: 46	07	الحديد: 27
03	طه: 54	08	المعارج: 32
04	المؤمنون: 08	09	النّازعات: 31
05	القصص: 23	10	الأعلى: 04

الجدول رقم (13) : سياقات (رعى) في القرآن الكريم

الرقم	السياق	التكرار
01	رعى الأنعام	06
02	رعاية الأمانة	02
03	القول المنهّي عنه	02

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، ج: 02، ص: 409.

لذلك فإن استعمالات هذا الأصل وإن كانت متنوّعة في الكتاب الله - العظيم - من دلالة على العناية أو النّهي عن سيّء الأخلاق، و لم يكن في متعلّقاتها أبدا ما يوحي برعاية الآفاق و ما فيها والسّماء تحديدا، فلا يبقى له منفذ للتّرادف مع (حفظ).

وأما المقترح الثّاني المقارب لـ (حفظ) فهو (حرس) و« الحاء والرّاء والسّين أصلا، أحدهما: الحفظ، والآخر زمان (..) والحرس: الحراس، وأما حريسة الجبل التي جاءت في الحديث فيقال: هي الشاة يدركها اللّيل قبل أوتيتها إلى مأواها فكأنّها حُرست هناك، وقال أبو عبيدة في حريسة الجبل: يجعلها بعضهم السرقة نفسها، يقال: حرس يحرس حرسا إذا استرق، وهذا إن صحّ فهو قريب من الباب، لأنّ السارق يرقب الشّيء كأنّه يحرسه حتّى يتمكّن منه، والأوّل أصحّ»¹، هذا فيما يجري مجرى الكلام البشريّ، ولمعرفة صحّة مجراه في السّياق القرآنيّ، يحصي الجدولان الآتيان مواطن (حرس) وما تعلّقت به لتثبيت التّرادف بينها وبين (حفظ) أو نفيه:

الجدول رقم (14): مواضع مادّة (حرس) في القرآن الكريم.

الرقم	السورة و الآية
01	الجن: 08

و الجدولان - أدناه - يحصيان مواضع و سياقات (رقب) في الذّكر الحكيم

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللّغة، ج: 02، ص: 38.

الجدول (رقم: 15) : مواضع (رقب) في القرآن الكريم

الرقم	السورة والآية	الرقم	السورة و الآية
01	التوبة: 08	04	القصص: 18
02	التوبة: 10	05	القصص: 21
03	طه: 94		

الجدول رقم (16) : سياقات رقب في القرآن الكريم

الرقم	السياق	التكرار
01	الرعاية الأخلاقية للذمة	02
02	رعاية الأمانة	02
03	حفظ العهد و القول	01

تجتمع الاستعمالات القرآنية .(رقب) حول معاني العناية الأخلاقية ولا موضع لها في سياق العناية الماديات، أو حضور لهذا الأصل في سياقات الآفاق .. أما كلمة (رعى) ومشتقاتها فقد ارتبطت بقول نُهي عنه المؤمنون "راعنا" وبأمانات لم تُرَعْ وعهود ما رعاها أهل الكتاب، أو دعي المؤمنون إلى رعايتها، والاسم "المرعى" نعمة إلهية، ومنة ربانية ذُكرت للعودة بالأفئدة إلى أحقّ معبود بالعبادة والعبودية-سبحانه-؛ فإذا وُصِفَت السماء بالسَّقْف "المرعى" وقع ذلك موقعا

سمجا في النَّفس قبل احتمال الإهمال الذي يمكن وقوعه كإهمال الأمانات،، احتمال ترفضه العقيدة السليمة، لأنه « سبحانه لمتكفل بحفظه وسقوطه على المكلفين»¹، وهل حافظ مثل الله-جل اسمه وعظمة قدرته-﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حُفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ سورة يوسف:64؛ وأمّا إحلال (محروس) محلّ (محفوظا) فيوهنه كون الحراسة مهمّة قد تنجح وقد لا تنجح، فتقع الاختراقات للمحروس وإن ندرت، وسواءً أكانت قليلة أم كثيرة، والسقف المحفوظ إنّما يحفظه الله-عزّ وجلّ- « أي محفوظا من أن يقع ويسقط على الأرض﴿وَيُمِسُّكَ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾سورة الحج: 62»²، فلا يد تطلّها بمحاولة هدم على حين غفلة من الحراس، فالحفظ أتمّ وأدوم، ممّا يدحض أيضا محاولة جعل (مُراقب) مكان (محفوظ)، لأنّ السياقات القرآنيّة لمادّة (رقب) توحى بالتوجّس والخيفة من المعصية أو الفتن أو أذى النَّاس.. مما يفضي إلى ملاحظات حول الكلمتين المفترضتين بدلا به " محفوظا " تتمثل في الآتي:

- الرعاية قد يعتريهما الإهمال.
- والحراسة أكثر ما تكون من الأعداد أو خشية حادث أو سوء ما.
- والرقابة يكتنفها توجس من تهديد أو خطر محقق أمّا الحفظ، ففيه رعاية دون إهمال وحراسة ورقابة لا يعتريهما توجس، وعناية لا يخترقها نقصان.
- وعليه، لا يسع أيّ كلمة شارحة للصّفة (محفوظا) أن تنال محلّها من التّركيب مع بقاء الدّلالة الّتي تتمتّع بها الصّفة (محفوظا) في هذا المقام.

¹ - الزاوي: التفسير الكبير، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، ط : 01 ، 1981 ، بيروت - لبنان ، مج: 06 ج: 11، ص:135.

² - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، ط:04 ، 2011 ، بيروت- لبنان.ج: 14، ص: 199.

أورد الذكر الحكيم هذه الصفة على وزن اسم المفعول إيماءً إلى القدرة الإلهية المطلقة، مع بتسخير ما أخبر به-سبحانه- أو لم يخبر به من حفظة للسقف السماوي له حراس شداد، فيه مطلق الحفظ هو، ومطلق الكيفية أوحى بهما التذكير في (محفوظا) إلى جانب التذكير الدال على انعدام حد الحفظ، ولعل سند هذه المعاني حضور الفعل "جعلنا" المتعلق بالإرادة العظيمة للقدرة الإلهية وهو ما ينص عليه سياق الآية الكريمة: ﴿أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رُوسًا أَنْ تَمِيذَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (31) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ سورة الأنبياء: 30-32، إنه الانتقال بقدرة القادر-تعالى- من وحدة الأصل إلى خصوصية المفتوقين (الأرض والسما) وجعل في كل منهما ما يؤدي إليه وحده إلها معبودا بالحق، فالأرض جعل فيها بعظيم شأن الجاعل-سبحانه- الرواسي والفجاج والسبل وجعلت كذلك السماء بعظيم شأن الجاعل-سبحانه- ﴿سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾.

يضاف إلى ذلك ما تنفتح عليه الصفة (محفوظا) من كثير المحفوظات في هذا السقف الذي يحفظ « بالشَّهْبِ عَنْ تَسْمَعِ الشَّيَاطِينِ عَلَى سَكَّانِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ »¹، كما ذكر عن قتادة: « حفظ من البلى والتغيير على طول الدهر، وقيل: حفظ من السقوط لإمساكه من غير علاقة وبلا عماد، وقيل: حفظ من الشرك والمعاصي »² لأن سكَّانِهِ الملائكة المعصومون من ذلك، ومذهب آخر لـ (البقاعي)-رحمه الله- يلفت إلى وجود علاقة نظم مخصوص بين (سقف) و (محفوظ) وما قبلها من الفعل والفاعل والمفعول به، يقول: « "وجعلنا" أي بعظمتنا "السماء" وأفردها بإرادة الجنس لأن

¹-أبو محمود جار الله الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، اعتناء وتحقيق : خليل مأمون شيا، حار المعرفة ، ط: 03 ، 2009 ، بيروت - لبنان ، ص: 678.

²- محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية، ط: 01 ، 1993 ، بيروت ، لبنان ج: 06، ص: 287.

أكثر النَّاس لا يشاهدون منها إِلَّا الدُّنْيَا، وَلَئِنْ الحَفْظَ لِلشَّيْءِ الْوَاحِدِ أَتَقَنَّ، "سَقْفًا" أَيِّ لِلْأَرْضِ(..)، وَلَمَّا كَانَ مَا يَعْرِفُونَ مِنَ السَّقُوفِ عَلَى صَغَرِهَا لَا تَتَبَثُ إِلَّا بِالْعَمْدِ وَيَتِمَكَّنُ مِنْهُ الْمَفْسُودُونَ، وَتَحْتَاجُ كُلَّ قَلِيلٍ إِلَى إِصْلَاحٍ وَتَعَهَّدَ، بَيَّنَّ أَنَّ هَذَا السَّقْفَ عَلَى سَعْتِهِ وَعُلُوِّهِ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَقَالَ: "مَحْفُوظًا" أَيُّ: عَنْ السَّقُوفِ بِالْقُدْرَةِ، وَعَنِ الشَّيَاطِينِ بِالشَّهْبِ»¹ فَيَكُونُ ذَلِكَ مَدْعَاةَ اهْتِمَامٍ وَتَبَصُّرٍ «أَوْ لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا» وَلَوْ كَانَ (مَرْعِيًّا) أَوْ (مَحْرُوسًا) أَوْ (مُرَاقِبًا) مَا تَوَافَقَ مَعَ تَرْكِيبِ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ.

ثُمَّ لَا تَرْضَى الصِّفَةُ "مَحْفُوظًا" إِلَّا أَنْ تَتَوَسَّعَ بِالْفَهْمِ أَكْثَرَ حِينَ تَحْفَظُهُ مِنْ قَبُولِ تَوَقُّعِ أَيِّ هَدْمٍ أَوْ انْحِلَالٍ أَوْ قَبُولِ أَيِّ عَامِلٍ يَتَسَبَّبُ فِي زَوَالِ سَقْفِ السَّمَاءِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ-سُبْحَانَهُ- أَشَارَ إِلَيْهِ السَّادَةُ الْمَفْسُورُونَ*، وَجَعَلَ "السَّمَاءَ" الْوَاحِدَةَ "سَقْفًا مَحْفُوظًا" عِنْدَهُمْ يَتَوَاشَجُ مَعَ مَكْتَشَفَاتِ الْأَبْحَاثِ الْفَضَائِيَّةِ، الَّتِي تَوَصَّلَتْ إِلَى أَنَّ «السَّمَاءَ بِلَا شَكٍّ هِيَ طَبَقَاتُ الْغُلَافِ الْغَازِيَةِ لِلْأَرْضِ، الَّتِي ثَبَتَ عِلْمِيًّا أَنَّهَا تَحْمِي الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةَ مِنْ أخطارٍ مُتَعَدِّدَةٍ قَادِمَةٍ مِنَ الْفَضَاءِ»² إِضَافَةً إِلَى مَا يُوَفِّرُهُ هَذَا الْغُلَافُ الَّذِي يَلْفُ كَوْكَبَنَا مِنْ أَسْبَابِ الْحَيَاةِ الصَّحِيَّةِ السَّلِيمَةِ، فِيهِ «تَنَارُ السَّحَبِ(..) وَمِنْهُ يَنْزِلُ الْمَطَرُ، وَفِيهِ تَسْرِي الْأَصْوَاتُ وَلَوْلَاهُ مَا سَمِعَ أَحَدُنَا الْآخَرَ(..) وَلَمَّا كَانَتْ لِحَاسَةُ السَّمْعِ أَيْةَ ضَرُورَةٍ(..) وَفِيهِ يَتَكَوَّنُ ضَوْءُ النَّهَارِ..³» وَقَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ هَذَا الَّذِي عَرَفَهُ الْعِلْمُ مِنْ أَفْضَالِ الْغُلَافِ الْجَوِّيِّ عَلَى الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا وَمِنْ فِيهَا، وَجَعَلَهُ لَهَا "سَقْفًا مَحْفُوظًا" لَا يَتَحَوَّلُ وَلَا يَبْرَحُ حَيْزَهُ الَّذِي

¹- برهان الدين أبو حسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، تحقيق: محمد عمران الأعظمي، دار الكتاب الإسلامي، ط: 1984، 01، القاهرة- مصر، ج: 12، ص: 415-بتصرف.

*- فضلا تنظر آراء المفسرين: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج: 06، ج: 11، ص: 135، ** ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر ابن محمد الشيرازي البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، إعداد محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ج: 04، ص: 50.

²- ومن هذ الأخطار ما تصده طبقة الأوزون من الأشعة فوق البنفسجية، وحماية سطح الأرض من الشهب والنيازك، للمزيد، ينظر فضلا: عماد مجاهد: الكون طريقي إلى الله، دروب للنشر والتوزيع ط: 01، 2010، ص:

³- عبد العليم عبد الرحمن خضر: المنهج الإيماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط: 01، 1984، جدة- المملكة العربية السعودية. ص: 235-240 بتصرف.

مكّنه خالقه-جلّ وعلا- فيه، ولا تتغيّر نسب الغازات والأبخرة التي يتركّب منها، فهو (محفوظ) أكثر ممّا هو (حافظ) للحياة، إذا لا طاقة له بهذه العمليّات في حفظ التّوازن البيولوجي، إلّا إذا أوتي حافظا له هو ذاته، وليس ذاك الحافظ إلّا خالقه العظيم، فيظلّ "سقفا" عاليا "محفوظا"، بفعل فاعل إلى الأبد الدّنيويّ بديمومته التي لا يحدّ منها إلّا الله-تعالى-، ويتجلّى الاختيار القرآنيّ الأنسب لاسم المفعول "محفوظا" وعدم قابليّته للتّناوب مع اسم الفاعل "حافظا".!

عامل آخر من عوامل التّعجيب يسبكه السّياق العامّ الذي وردت فيه الصّفة "محفوظا" إنّه الانتقال بالاستفهام الإنكاريّ من عجيب إلى أعجب، فيما أطلق عليه صاحب (البرهان) أسلوب التّرقّي في خطاب القرآن الكريم*، وقد ضمّته الآية الكريمة مع محسّنين بديعيّين هما حسن التّقسيم والطّباق، ولا غرابة في اشتمال الآيات كيلهما صور معه: ﴿أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمُوتَ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رُوسًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (31) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ سورة الأنبياء: 30-32.

*فضلا ينظر: برهان الدّين الزّركشي: البرهان في علوم القرآن، مج: 03، حيث يضرب مثلا لهذا الأسلوب يقول

تعالى: " أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطْشُونَ بِهَا" سورة الأعراف: بعض الآية: 195، فإنه سبحانه بدأ بالأدنى لغرض التّرقّي لأن منفعة الرابع أهم من منفعة الثالث فهو أشرف منه، ومنفعة الثالث أعم من منفعة الثاني، ومنفعة الثاني أعم من منفعة الأول، فهو أشرف منه . ص: 265،

خطاطة رقم (01) : السياق النظمي للصفة محفوظة

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رُؤُسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ	أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ^ط وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ
ومافيهما النفات إلى القدرة	استفهام إنكاري
المبدعة الله عز وجل	ترخي الهداية بعد تفكرهم في الأرض
وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ	وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ^ط
مجال بعض مباحثات	قرار الأرض تلوه
أعرض عنها الكافرون	سقف مرفوع
تعقب هذه المباحث	↓ كناية علمية عن صفة الخالق
بإذن الله تعالى.	العظيم سبحانه في حفظ الغلاف الجوي للأرض.

هكذا تمثل الصفة "محفوظا" وشيجة بين حقيقتين: الأولى: السماء التي جُعِلَتْ بعظمة بانيتها ورافعها بغير عمد مرتئية سقفا، لا يزول إلى أجل مسمى عنده-سبحانه-؛ والثانية: كونه-السقف- "محفوظا" به سرُّ الحياة على الأرض، و "محفوظا" من التَّغْيِيرِ والفساد، وكلتا الحقيقتان لازمتان، ممَّا يرخِّص القول أَنَّ "محفوظا" حبكت المعاني السَّطْحِيَّةَ التي تجعل العقل البسيط يؤمن، والدَّلالات العميقة ذات الأبعاد العلميَّة التي ما فتئت البحوث العلميَّة تحت الخطى وراء مؤشرات بعض أسرارها، وكلَّ ذلك على سبيل كناية علميَّة، لا طاقة لأسلوب أن يفضي إليها كما فعل

الأسلوب المعجب للقرآن الكريم، خاصّة وقد ختم هذه الغفلة عن ما تراه أبصار الذين كفروا بقوله: ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ حقيقة أخرى تعكس النفس الكابرة لهؤلاء، أي أنهم كانوا ، يرون غطاء لا يستطيعون لمسّه، ذا زينة مختلفة حسب تظهر وتختفي باختلاف الليل و النهار، مرتفعا دون أعمدة، محفوظ هو وزينة عام الحفظ الذي لا يطاوله إنس أو جن ولو تفكّروا، حتما لآمنوا وحفظوا من عذاب يوم لا يرون فيه سقفا محفوظا-والله أعلم-.

السَّمَاءُ الدُّنْيَا

(سورة الصّافات: 06)

ثاني الصّفات المفردة للسّماء، ذكرها الوحي الكريم، في قوله-جلّ من قائل-: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ ﴾ سورة الصّافات: 06.

صفة لا تخفى، لكثرة ورودها في القرآن الكريم مرتبطة بالحياة الأولى على الأرض "الحياة الدّنيا"، وعليه، فإنّها تفتح باب التّساؤل عن هذه الشّراكة في الوصف بينهما صراحة، وُجّه مشتقّات لها تعلّقت بمواضيع مختلفة غير أنّها لا تكاد تبين أمام "الحياة الدّنيا".

كلمة (دنيا) عند (أحمد بن فارس) من الجذر (دنى): « الدّال والنّون والحرف المعتلّ أصل واحد يقاس بعضه على بعض وهو المقاربة، ومن ذلك الدّنيّ وهو القريب، من دنا يدنو، وسمّيت الدّنيا لدنوّها (..) و"الأدنا" من الرّجال: الذي فيه انكباب على صدره، وهو من الباب لأنّ أعلاه دان¹» وهي من (دنا) عند (الجوهريّ) يقول: « دنوت منه دنوّاً، وأدنيّت غيري، وسمّيت الدّنيا لدنوّها والجمع دُنْيًى، مثل: الكُبرى وكُبر، وأصله "دُنُو" فحذفت الواو لاجتماع الساكنين، والنّسبة إليها

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللّغة، ج: 02، ص: 303.

دُنْيَاوِيٍّ، ويقال: دُنْيَوِيٍّ وَدُنْيِيٍّ (..) ودَانِيْتُ بين الأمرين إذا قاربت، وبينهما دناوة أي قرابة (..) أما الدَّنيء بمعنى الدُّون فهو مهموز¹، وبذلك يسجّل له -لجوهري رحمه الله- دفعة الفهم العام لكلمة "الدُّنيا" بمعنى الحقيرة أو الدّنيئة، تأصيلاً له من الفعل "دَنَى".

وتنبثق عن (دنيا) في السياقات القرآنية أغراض، فقد يراد بها « الأولى: نحو الدُّنيا والآخرة ومنه ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ﴾ الحج: 11، وتارة: الأقرب، فيقابل بالأقصى كقوله -تعالى-: ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْفُصُوءِ ﴾ سورة الأنفال: 42² وهما وجهان من أربعة أوجه أحصاها (الدامغاني) -رحمه الله- للأصل (د ن ا): « أحدر، أقرب، أقلّ، دون³ في الآيات الكريمة، لكلّ منهما زاويته الدّلالية الخاصة عن غيرها ممّا يتعلّق بموضوع مختلف، ويستصفي (الأصفهاني) -رحمه الله- معاني المشتقّ (دنا) في « القرب بالذّات أو بالحكم ويستعمل في المكان والزّمان والمنزل⁴، ويحصل بذلك أنّ « الأصل في الدّنو: القُرب، وهو صالح لحضورها أو حضورنا فيها ويؤازر هذا وصف السّماء الأولى المرتبة بالدُّنيا⁵ إذ يبلغ تكرار وصفهما - الحياة الأولى و السّماء -بها سبعين (70) مرّة بنسبة (45,45%) من مجموع السياقات القرآنية وللسّماء منه ثلاث (03) تكرارات بنسبة (04,28%) بين هذه الصّفات ، وتكرار واحد (01) بنسبة (01,42%) لكلّ من العدوّة و العذاب و قنوان ، في أربعة و خمسين بعد المائة (154) من مجموع المواضع المتواجد

¹ - الجوهري: تاج اللّغة وصحاح، ج: 06، ص: 2341.

* - يسجّل في هذا المقام اكتفاء (الفيروز آبادي) بجعل (دنيا) نقيضاً (للاخرة) واعتماده الاسم (دني) بدلالة السّاقط الضّعيف، للمزيد ينظر فضلاً: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص: 451.

² - أحمد بن يوسف بن عبد بداع المعروف السّمين الحلبي: عمدة الحقاظ، في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط: 01، 1996، بيروت - لبنان ج: 02، ص: 26.

³ - الدامغاني: الأشباه والنظائر، ص: 175 بتصرّف.

⁴ - الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص: 179.

⁵ - محمّد حسن حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ص: 684.

فيها الأصل (دنو) و في هذا إحياء بزوال السّماء مع زوال الحياة الدّنيا و قلّة وصفها بـ (الدّنيا) يهوّن عمليّة زوالها مقارنة بكلّ ما خلق الله في الحياة الدّنيا ذاتها - و الله أعلم -

مما يحصيه الجدول أدناه وقد تجافى عن إدراج الآيات التي وردت فيها "دنيا" منوطة بالحياة الأولى لكثرتها مع غيرها من المتعلّقات سعيا لجلاء الدّلالة في جدول مستقلّ يليه..

الجدول رقم(17): مواضع ذكر (دنا) ومشتقاتها غير المتعلقة بالحياة الدّنيا في القرآن الكريم

الرقم	السورة والآية	الرقم	السورة والآية
01	البقرة: 61	12	الصّافات: 06
02	//: 282	13	فصّلت: 12
03	النّساء: 03	14	النّجم: 08
04	المائدة: 108	15	//: 09
05	الأنعام: 99	16	الرّحمن: 54
06	الأعراف: 169	17	المجادلة: 07
07	الروم: 03	18	الملك: 05
08	السجدة: 21	19	الحاقّة: 23
09	الأحزاب: 51	20	المزمل: 20
10	الأحزاب: 59	21	الإنسان: 14
11	//		

وعندما يُنظر إلى الكلمة الأكثر حضوراً عند اللغويين على أنها مرادف "دنيا" وهي "الأقرب" من وجهة نظرهم -دائماً- يتبدى الجذر (قرب) من القاف والراء والباء، وهو « أصل صحيح يدل على خلاف البعد(..) وفلان ذو قرابتي وهو من يقرب منك رحماً(..) والقرب: مقاربة الأمر(..) والقارب: الطالب الماء ليلاً، قال الخليل: ولا يقال ذلك لطالبه نهارة(..) ويقولون: إن القارب: سفينة صغيرة تكون مع أصحاب السفن البحريّة تستخفّ لحوائجهم، وكأنّها سمّيت بذلك لقربها منهم، والقربان: ما قرّب إلى الله تعالى من نسكة أو غيرها»¹، كما أنّها - كلمة (الأقرب) -ومشتقاتها ارتبطت بمواضيع مختلفة في القرآن الكريم يجمعها الجدول الآتي:

الجدول رقم(18): مواضع مادّة (قرب) في القرآن الكريم.

الرقم	السورة والآية	الرقم	السورة والآية
01	البقرة: 35	10	237://
02	83://	11	آل عمران: 45
03	177://	12	167://
04	180://	13	183://
05	186://	14	النساء: 07
06	187://	15	النساء: 07
07	214://	17	النساء: 11
08	215://	18	النساء: 17
9	222://	19	النساء: 33

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، ج: 05، ص: 80-81-بتصرف-.

التوبة: 28	39	النساء: 36	20
التوبة: 42	40	النساء: 36	21
التوبة: 99	41	النساء: 43	22
التوبة: 99	42	النساء: 77	23
التوبة: 113	43	النساء: 135	24
هود: 61	44	النساء: 172	25
هود: 61	45	المائدة: 08	26
هود: 81	46	المائدة: 27	27
يوسف: 60	47	المائدة: 60	28
الرعد: 31	48	المائدة: 82	29
إبراهيم: 44	49	المائدة: 106	30
النحل: 77	50	الأنعام: 151	31
النحل: 90	51	الأنعام: 152	32
الإسراء: 26	52	الأنعام: 152	33
الإسراء: 32	53	الأعراف: 19	34
الإسراء: 34	54	الأعراف: 56	35
الإسراء: 51	55	الأعراف: 114	36
الإسراء: 57	56	الأعراف: 185	37
الكهف: 24	57	الأنفال: 41	38

الفتح: 27	77	الكهف: 81	58
ق: 16	78	مريم: 52	59
ق: 41	79	الأنبياء: 01	60
الذاريات: 27	80	الأنبياء: 97	61
القمر: 01	81	الأنبياء: 109	62
الواقعة: 11	82	الحج: 13	63
الواقعة: 88	83	النور: 22	64
الحشر: 07	84	الشعراء: 42	65
الحشر: 15	85	الشعراء: 214	66
الصف: 13	86	الروم: 38	67
المنافقون: 10	87	الأحزاب: 63	68
المعارج: 07	88	سبأ: 37	69
الجن: 25	89	سبأ: 50	70
النبا: 40	90	فاطر: 18	71
المطففين: 21	91	الزمر: 03	72
المطففين: 28	92	الشورى: 17	73
البلد: 15	93	الشورى: 23	74
العلق: 19	94	الأحقاف: 28	75
		الفتح: 18	76

الجدول رقم (19) : سياقات (قرب) في القرآن الكريم

الرقم	السياق	التكرار
01	قرب المسافة (زمنية - مكانية - معنوية - عقائدية)	47
02	الرحم	24
03	النفقة المعتبرة قربانا إلى الله - تعالى -	06
04	المسّ الجسديّ	05
05	الإتيان	04

الجدول رقم (20) : موصوفات (قرب) في القرآن الكريم

الرقم	الموصوف	التكرار
01	الفتح	03
02	المكان	02
03	الأجل	02
04	الملائكة	01
05	عرض من الدنيا	01
06	العذاب	01
07	العشيرة	01

أما عن السياقات القرآنية التي تضمّنت الأصل (قرب) فأكثرها حضورا سياق القرب في المسافات على اختلافها (روحية بين العقائد أو معنوية بين الاحاسيس والمشاعر ميلا و نفورا، أو قريبا زمنيا او مكانيا)، ثمّ ما تعلّق بالرحم، يليه سياق النّفقة المعتبرة قربانا إلى الله - تعالى -، ثمّ القرب الدالّ على المسّ، وأخيرا سياق الاقتراب بمعنى الإتيان؛ كلّ هذا والمشتقّ (قرب) لا يقترب من السّماء ولا يجاورها لفظا أو سياقاً، لأنّ السّماء الدّنيا بعيدة عن التّناول البشريّ مهما قربت منها التّأويلات الاجتهادية، حيث إنّها تأويلات بشر لا يحقّ لهم مقاربتها مهما علت بهم الأسباب - والله أعلم - بنظرة عجلى إلى الجدول المنوط بمواضع مشتقّات (دنيا) في الذّكر الحكيم، تتصدّر دلالتها على الأولى والأقرب معاً، فترتيباً أورد الوحي الكريم هذه الصّفة بما نسبته (86.71%) من إجماليّ سياقاته الشّريفة، فالحياة الدّنيا والسّماء الدّنيا، كلّ منهما نالت الرّتبة الأولى في الحيوان* والسّماوات على التّوالي، وهما فقط ذُكرتا موصوفين لهذه الصّفة صراحة في القرآن الكريم، ممّا يفضي بهذه الغلبة في النّسبة والحضور إلى القول بأنّ وصف الحياة الدّنيا لم يكن أبدا ذا غاية تحقيريّة بشأنها، ولكن باعتبار العدّ والمقارنة بالحياة الأخرى، وكذلك السّماء، فما سماء أحقر من سماء، ولكن سماء فوق سماء، أي: بعد سماء،، عدّ وترتيب في الحياة الدّنيا ذات السّماء الدّنيا لغايات غيبية صرفة، وأخرى يسعى الإنسان ببحوثه العلميّة جاهداً إلى مدانة بعض جوانبها في طريق الإيمان المستبصر، وهو في ذلك متعب مقلّ منذ البدء « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » سورة الإسراء: 85.

* جمع حياة « وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » سورة العنكبوت: 64.

أما بقيّة الاشتقاقات من مادّة (د ن و) أو (د ن ا) على اختلاف التّأصيل لـ (دنيا) بين المعجميّين**، فقد تقاسمته دلالات القرب المادّي والمعنويّ بنسبة (09.37%)، تليها نسبة دلالة القلّة (01.56%) ومثّلها دلالة الحقارة في معرض الحديث من أهل الكتاب (اليهود خاصّة) فقط، ثمّ نسبة (01%) للمنخفض من الأرض في الآية الثالثة (03) من سورة الروم.

وفي المقابل، تنوّعت متعلّقات (قرب) بين القرب الأسريّ الزمانيّ المكانيّ، الأمل والنصر "الفتح"، والمكانة العليّة "المقربون"، وأجلّ ما عاد عليه المشتقّ "قريب" هو الذات العليّة لله-تبارك وتعالى-، صاحب الاسم الحسن "القريب"، وهو ما يحدث الشّرخ بين "دنيا" و "أقرب"، فهو الأوّل ليس بعده شيء، وهو الآخر ليس قبله شيء، فينزاح معنى العدّ والترتيب، لتحلّ بقيّة أسباب نفي التّرادف بين الصّفتين، ومنها، عدم ملازمة كلّ قريب للرّتبة الأولى، فقد يكون ثانياً أو ثالثاً أو أبعد من ذلك، والسّماء الدّنيا تُبقي مسافة الأمان بين "دنيا" و "أقرب" إذا وصفت بها "السّماء"، لأنّ الدنو في السّياقات القرآنيّة استعمل على نحو غالب للدّلالة إلى قصر الحياة المعيشة مقابل الحياة الآخرة مابعد البعث، ووصف السّماء بالدنيا، محضى عجب قرآنيّة، فيه إحياء بأنّها زائلة بزوال هذه الحياة الفانية، ويدرأ التّرادف بين "الدّنيا" و "الأقرب" في هذا السّياق القرآنيّ على نحو يحفظ خصوصيّة كلّ منهما، فيمتنع بذلك التّخمين في العمليّة التّبادليّة بينهما في الآية الكريمة.

وبالعودة إلى "السّماء" "الدّنيا" يتبادر إلى الفهم وجود "سما" "دانية"، والمبرّر ورود الصّفة على وزن صيغة اسم التّفضيل "فُعْلَى" الدّالّ « على أنّ ثمة تفاضل بين شيئين في صفة مشتركة بينهما، وأنّ أحد الشّيئين قد زاد عن الآخر فيها، فهو وصف على سبيل تفضيله على غيره ممّن

** إشارة إلى ما سبق ذكره في الصّفحة (61) من هذه المباحث.

يُتَّصَف بالحدث، أي أنها تدلّ على زيادة صاحبها على غيره في أصل الفعل»¹ تفضيل بالزينة التي لا تدانيها زينة من صنع إنس ولا جانّ، لأنها صنع بيد العظمة الإلهية، وإشارة منها - من هذه العظمة المقتدرة على تزيين السّماء - للحسّ الفنّي في الإنسان، وقد عرف - ما أمكنته المعرفة المقدّرة له - بعض زينة تلك الكواكب و« النّجوم النّيّرة البرّاقة المتوقّدة الثّابتة في محالّها - قارة أو مازة - المرصّعة في السّماء ترصيع المسامير الزّاهرة كزهر النّور المبعوث في خضرة الرّياض النّاضرة»² ممّا تميل إليه النّفس الإنسانيّة التي تجتهد في تزيين ما حولها لتتعم بالسّكينة وتلتذّ بالمنظر؛ هذا المعنى، أشار إليه (الرّازي) - رحمه الله - بقوله: « السّماء الدّنيا: السّماء القربى، وذلك لأنّها أقرب السّماوات إلى النّاس، ومعناها السّماء الدّنيا من النّاس، والمصابيح السّرج سميت بها الكواكب، والنّاس يزيّنون مساجدهم ودورهم بالمصابيح»³؛ فإنّهم عرفوا معنى التّجميل والاهتمام بالذّوق، فإنّما معلّمهم في ذلك هذه السّماء "الدّنيا" المعروفة عندهم أقلّ معرفة توحى بها "ال" في هذه الصّفة، وإن هي استغراقية، ولكنّها لا تستوعب كلّ التعريف، بل تنّيه بهم في غياهب معنى "السّماء الدّنيا" عند الفلكيّين، وما فيها من كواكب ونجوم**، فهي « - والله أعلم - حدودها المجموعة الشّمسيّة، وآخرها الكوكب المكتشف (إكس) والذي يبعد عن الشّمس والأرض بحدود عشرة (10) مليارات كم، وأنّ السّماء الثّانية تبدأ عند الخروج من المجموعة الشّمسيّة وصولاً إلى أوّل نجم خارج حدودها وهو (قنطاروس) الذي يبعد عن الأرض 4.5 سنة ضوئيّة»⁴.

¹ - محسن محمّد قطب معالي: المشتقات ودلالاتها في اللّغة العربيّة، مؤسسة حورس الدّولية، ط: 02، 2010م، الإسكندرية - مصر، ص: 41.

² - البقاعي: نظم الدّرر، ج: 16، ص: 194.

³ - الفخر الرّازي: التّفسير الكبير، مج: 15، ج: 30، ص: 59.

^{**} - سيأتي - بإذن الله - في المبحث الثّاني من هذا الفصل مناقشة الفرق بين الكواكب والنّجوم في القرآن الكريم.

⁴ - ماهر أحمد الصّوفي: الموسوعة الكونيّة الكبرى، مج: 02، ج: 04، ص: 447.

ليظّل البصر المفتون بزينة الكواكب في "السّماء" "الدّنيا" متقلّباً فيها باحثاً عن آخر زينة وأجملها، فإذا به يقف متعباً مشدوها « بكلّ إمكاناته العلميّة والنّفسيّة الحديثة، لا يستطيع إدراك سوى جزء يسير من السّماء الدّنيا فقط، وهذا الجزء دائم الاتّساع باطراد إلى نهاية لا يعلمها إلّا الله، فكّلما طوّر الإنسان أجهزته، وجد أنّ الله-تعالى- قد وسّع الكون بمعدّلات أعظم بكثير، حتّى يبقى الإنسان على وجه الأرض محصوراً في جزء صغير من السّماء الدّنيا لا يقوى على تجاوزه أبداً»¹ حقيقة علميّة، هي بعض ما نفذ إليه سلطان العلم، يشدّ أزرها أخت لها، تصعد "بالسّماء" "الدّنيا" من درج اللّغة إلى الكناية العلميّة مرتبة أخرى، تغيد « أنّ ما نراه فوق رؤوسنا ونقول أنّه قبة زرقاء نسمّيها السّماء، إنّما هي خلاء أو فراغ فوقيّ hyper space متعدّد الأبعاد، وظاهرة من ظواهر الضّوء التي تحدث في أجواء الأرض بتأثير من أشعة الشّمس البيضاء، التي تمتلك خاصيّة التّشكّت في طبقات الجوّ، بسبب جزيئات الغازات والأبخرة المائيّة والمواد الجسميّة الصّلبة التي تحملها تيارات الهواء المختلفة الدّفع والجذب والسرعة وتشتّت أشعة الشّمس في حزمات إشعاعيّة وحراريّة وضوئيّة وصوتيّة تتناثر في موجات زرقاء اللّون تغمر الأرض بكميّة وافرة من اللّون الأزرق الذي يبدو على شكل قبة زرقاء تظلل رؤوسنا»²، وحين تغيب الشّمس، لا يُعَدَم الإنسان منّة ضوء آخر في ليله يهتدي به من ناحية، ويتملّى مصدر جماله من ناحية أخرى، فيعجّب للاثنتين مصدرَ الضّوء وجماله معاً، ممّا حوته زاوية رؤيته من السّماء الدّنيا..

ثمّ ها هي ذي "السّماء الدّنيا" أيضاً تنفرد بالعناية الأسلوبيّة في الوحي الكريم، ويلفت الله-عزّ وجلّ- إليها الاهتمام، بجملة استئنافية، بعد سلسلة من المقسمات بها، بنسقيّة تنقّح منها دلالات التّشريف لـ "السّماء الدّنيا" دون غيرها من صنائع الخالق المبدع-سبحانه-، يقول-جلّ جلاله-:

¹ - زغلول النّجار: السّماء في القرآن الكريم، ص: 589.

² - هشام طالب: بناء الكون ومصير الإنسان، دار المعرفة للطباعة والنّشر والتّوزيع ، ط: 01 : 2006 ، لبنان - بيروت، ص: 432-بتصرّف-.

﴿وَالصَّفَّ صَفًّا ١ فَالزَّجْرُ زَجْرًا ٢ فَالتَّلْيُتِ ذِكْرًا ٣ إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ إِنََّّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ سورة الصافات: 01-06؛ ونضياء معالم الوصل بين تأكيد ألوهية الواحد رب السماوات والأرض وما بينهما، يعقبها تأكيد مننه-سبحانه وتعالى- بتزيينه "السَّمَاءِ الدُّنْيَا"؛ إنَّه الوصل بأسلوب الفصل، والانتقال من عظيم الآيات إلى أعظم المنن، بصيغة الجملة الاستثنائية الموهمة بالقطع، عروج "بالسَّمَاءِ الدُّنْيَا" إلى معالم السماوات، فتكون إشارة بنان من بناء بيد العظمة المطلقة إلى بقية السماوات، وأنَّى وصفها إن عجز العلم عن وصف بعض معالم "السَّمَاءِ الدُّنْيَا"!!، ولكن حسبه أن يسلم بما أخبرت به الآيات الكريمة الممهدة لآية من الآيات الكونية في "السَّمَاءِ الدُّنْيَا"، وهي كواكبها في طريق «إدراك أنَّ الجمال عنصر مقصود في بناء هذا الكون، وأنَّ صنعة الصَّانع فيه بديعة التَّكوين، جميلة التَّنسيق، وأنَّ الجمال فيه قطرة عميقة لا عرض سطحي، وأنَّ تصميمه قائم على جمال التَّكوين كما هو قائم على كمال الوظيفة سواء بسواء، فكلَّ شيء فيه بقدر، وكلَّ شيء يؤدي وظيفته بدقَّة، وهو في مجموعه جميل»¹، على هيئة تناسب جمال التَّركيب الذي توشَّحت به زينة الكواكب في "السَّمَاءِ الدُّنْيَا"، فتدنو الرُّوح إلى معرفة الله-تعالى-، إخباتا إليه، وإقرارا بما أخبر عنه من ربوبيته التَّامة-جلَّ جلاله.

¹ - سيّد قطب: في ظلال القرآن، دار الشُّروق، ط: 32، 2003، بيروت - لبنان، مج: 05، ج: 23، ص: 2983.

ذات الحبك

(سورة الذاريات: 07)

يقول -جلّ جلاله-: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ سورة الذاريات: 07 حيث تحلّ أولى الصفات المنوطة بالسّماء من صنف الصّفة المتمثّلة في اسم الإشارة المضاف إلى ما بعده من خصائص الموصوف، وفي هذا المقام تحلّ "الحبك" محلّ المضاف إليه؛ وأصلها: « الحاء والباء والكاف أصل منقاس مطّرد، وهو إحكام الشّيء في امتداد واطّراد: يقال: بغير محبوبك القوى قويّه، ومن الاحتباك والاحتباء وهو شدّ الإزار (..) وحُبُّكَ السّماء في قوله-تعالى-: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ ، فقال قوم: ذات الخلق الحسن المحكم، وقال آخرون: الحبك الطرائق، الواحدة حبيكة، ويراد بالطرائق طرائق النّجوم، ويقال: كساء محبّك أي مخطّط ¹، ومن دلالة "الحبك" على طرائق النّجوم إلى دلالتها على « الطّريقة في الرّمل ونحوه، وجمع الحباك حُبْك، وجمع الحبيكة حباكك، وقوله-تعالى- : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾ قالوا: طرائق النّجوم، وقال الفراء: الحبك، تكسر كلّ شيء كالرّمل إذا مرّت به الرّيح السّاكنة (..) وحبك الثّوب يحبّكه بالكسر حبكا، أي: أجاد نسجه (..) قال ابن الأعرابي: كلّ شيء أحكمته وأحسن عمله فقد أحبّكته ² ويبقى شدّ الشّيء الطّويل وبروز خطوطه وطرقه معني يذكره أيضا صاحب القاموس لمادّة (حبك) فيقول: « الحبك: الشّدّ والغحكام، وتحسين أثر الصّناعة في الثّوب: يَحْبُكُهُ وَيَحْبِكُهُ كاحتبكه (..) والحُبُكَة: الحُجْرَة وَتَحَبَّكَ شَدَّها أو تَعَلَّقَ بثيابه (..) والحُبُك من السّماء: طرائق النّجوم، والحبيكة واحدها ³.

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللّغة، ج: 02، ص: 130.

² - الجوهري: تاج اللّغة وصحاح العربيّة، ص: 207.

³ - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص: 259.

وقيل عن « وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ » سورة الدَّارِيَات: 07: « هي ذات الطَّرائق، فمن النَّاس من تصوّر منها الطَّرائق المحسوسة بالنَّجوم والمجرّة، ومنهم من اعتبر ذلك بما فيه من الطَّرائق المعقولة المدركة بالبصر»¹ ممّا يدلّ على المعنى المحوريّ لمادّة (حبك) وهو: « شدّ أسر المتجمّع شدّا دقيقا متينا(..) والحبكة كلّ طريقة من خصل الشّعْر مجدولة مشدودة في الوسط»²؛ وتطفو تبعا لهذه الآراء المعجميّة، مرادفا محتملا لـ (حبك) كلمة (طريقة) من مادّة (طرق) إذ « الطّاء والراء والقاف أربعة أصول: احدها الإتيان مساء، والثّاني: الضّرب، والثّالث: جنس من استرخاء الشّيء والرّابع: خصف شيء على شيء، فالأوّل: الطّروق، ويقال: إنّهُ إتيان المنزل ليلا(..) والدّليل على أنّ الاصل اللّيل، تسميتهم النّجم طارقا، لأنّه يطلع ليلا(..) ومن الباب-والله أعلم- الطّريق لأنّه يتورّد(..) والأصل الثّاني: الضّرب، يقال: طَرَقَ يَطْرُقُ طَرَقًا، والشّيء مِطْرُقٌ ومِطْرُقَةٌ، ومنه الطّرقُ وهو الضّرب بالحصى تَكْهُنًا(..) وامرأة طارقة: تفعل ذلك والجمع الطّوارق(..) والأصل الثّالث: استرخاء الشّيء: من ذلك الطّرقُ، وهو لين في ريس الطّائر(..) ومنه: أطرق فلان في نظره(..) ومن الباب: "الطّريقة" وهو اللّين والانقياد(..) فأما "الطّرق"، فقال قوم: هذا اعوجاج في السّاق من غير فَحَجٍ، وقال قوم: "الطّرقُ": ضعف في الرّكبتين»³.

هذا، ورصدًا للمواضع الّتي وردت فيها (حبك) و (طرق) ومشتقاتهما مع متعلّقاتهما، في القرآن الكريم، فالجدولان أدناه يحصيان ذلك بحول الله-تعالى:-

¹ - الأصفهانيّ: المفردات في غريب القرآن، ص: 114.

² - محمّد حسن حسن جبل: المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم، ص: 367.

³ - أحمد بن فارس: مقاييس اللّغة: ج: 09، ص: 452.

الجدول رقم(21): مواضع مادّة (حبك) في القرآن الكريم.

الرقم	السورة والآية
01	الذّاريات:07

الجدول رقم(22): مواضع مادّة (طرق) في القرآن الكريم.

الرقم	السورة والآية	الرقم	السورة والآية
01	النّساء: 168	07	الاحقاف: 30
02	169://	08	الجنّ: 11
03	طه: 63	09	16://
04	77://	10	الطّارق: 01
05	104://	11	الطارق: 02
06	المؤمنون: 17		

الجدول رقم (23) : سياقات (طرق) في القرآن الكريم

الرقم	السياق	التكرار
01	السّبيل	04
02	الدّين و الملة	03
03	النّجم	02

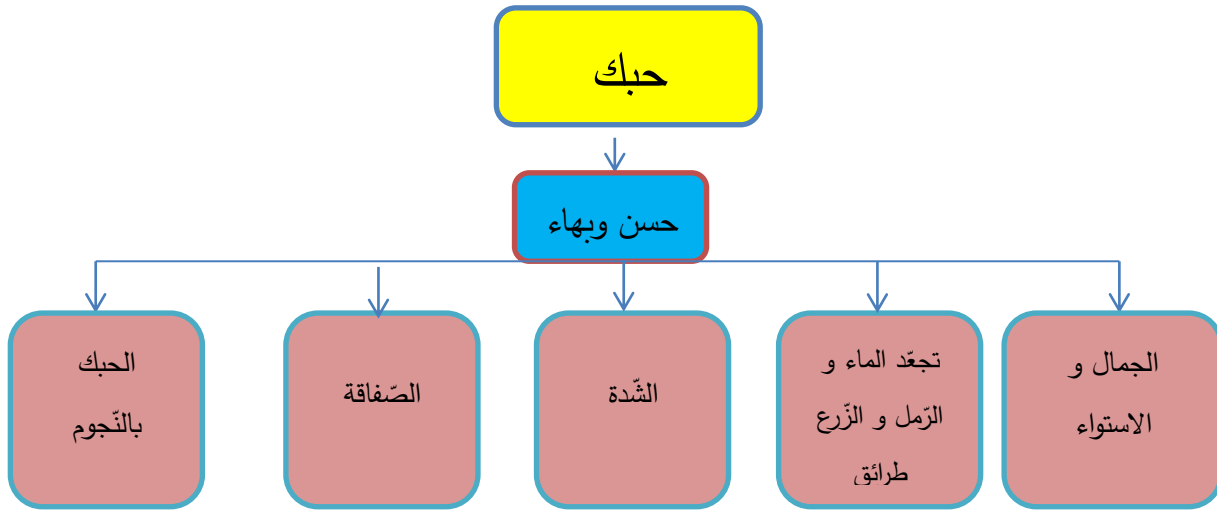
04	العقل و الحكمة	01
05	السَّمَاوَات	01

للأصل (طرق) أحد عشر (11) تكرارا في القرآن الكريم، و أكثر السِّياقات التي ظهر فيها ما دلّ على السَّبيل الحقيقي في البرّ أو المجازي عن الهداية أو الغواية ، يتلوه سياق الدِّين و سياق النّجم الطّارق بتكرارين (02) ثم السِّياق المتعلّق بالعقيدة بثلاثة (03)، لينال سياق التّعبير عن الحكمة و التّعقل و مثله سياق السَّمَاوَات السَّبع أدنى نسبة حضور؛ و لكنّ النّقاطع بين (طرق) (حبك) في المشترك (السَّمَاوَات) يباعد بينهما أكثر ممّا يقارب، إذ لو كان التّساوي قائما لورد مثلا " ولقد خلقنا فوقكم سبع محبوبكات " أو لقل: " و السّماء ذات الطّرق"، و هو ما يذهب بخاصيّة القيد الوصفيّ في الآية محلّ المقاربة هنا، لأنّ الإضافة الوصفية بالحبك تفيد منسوباً إلى منسوب إليه، أمّا ﴿ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾ سورة المؤمنون: 17 ، فتقدّم لها اسما آخر على سبيل التّعريف بأحد الأركان فيها _ والله أعلم -

من الإحصاءين، يتبيّن أنّ مادّة (حبك) وردت مرّة واحدة في الذّكر الحكيم، ولم يتعدّد استعمالها منه كونها صفة مضافة إلى السّماء المقسم بها، في حين تعدّدت السِّياقات القرآنيّة التي برزت فيها مادّة (طرق) ومشتقاتها مع مختلف ما تعلّقت به؛ من جهة أخرى وظّف القرآن العظيم "ذات الحبك" في مقام القسم فقط، أمّا (طرق) التي منها المقسم به (الطّارق) فقد عرّتها مشتقات تحمل معاني الوهن والذهاب تارة (سورة طه: 63)، وتارة أخرى معاني الطّريق المعروفة (سورة النّساء: 168- 169، طه: 77) أو الملة (سورة طه: 63، سورة الجنّ: 11)، أو العقل والعدل (سورة طه: 104)، فتتغيّر الدّلالة بتغيّر مقام الكلمة في الآيات الكريمة.

ويُتَمُّ ذكر (حبك) في القرآن الكريم يُتَمُّ أيضا من بقيّة مشتقاتها، فيه ما قيل عن دلالات «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ» فهو كثير، منه: «قول ابن عباس-رضي الله عنهما-: ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء، وكذا قال مجاهد(..) وقال الضّحّاك والمنهال بن عمرو وغيرهما: مثل تجعّد الماء والزّمل والزّرع إذا ضربته الرّيح، فينسج بعضه بعضا طرائق طرائق، فذلك الحبك، وعن أبي صالح: ذات الحبك: الشّدة، وقال خفيف: ذات الحبك ذات الصّفاقة، وقال الحسن بن أبي الحسن: ذات الحبك حبكت بالنّجوم(..) وكلّ هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء-كما قال ابن عباس-رضي الله عنهما-»¹

وهو جمع يؤلّف بين الآراء المختلفة من قبل (ابن كثير)-رحمه الله-، بعضها ببعض على النّحو الآتي:



الشكل رقم (01) : تحليل ما ذكره (بن كثير) - رحمه الله - في معاني (ذات الحبك)

¹ - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج: 04، ص: 338؛ والتّوجّه ذاته عند الرّمخشريّ في كشّافه، ص: 1049، وأبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، تصحيح: محمد حسين العرب، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ط: 01، 1994، بيروت- لبنان، مج: 09، ج: 27، ص: 04.

والتكافؤ بين (ذات الحبك) و (ذات حسن وبهاء) وما يدلّ عليهما من الألفاظ والمظاهر حُكم يبتعد عن الموضوعيّة-في رأي المقاربة-، فجميع هذه الشّروح لا تغطّي إحداها بذاتها عن غيرها، فما كلّ جميل مجعّد الطّرائق، وليس شديداً بالضرورة ولا صفيقا على الدّوام، أو متوقّرا على النّجوم دائماً، وهو ما دعا المفسّر- رحمه الله- إلى القول باجتماع دلالاتها في (ذات الحبك)، وقد ساوى بينها وبين (الحسن والبهاء)، غير أنّ الذّهاب إلى موافقته في ذلك غير ممكن- أيضاً-، فقد ذكر القرآن الكريم، إخبار الله- عزّ وجلّ- عن ذلك في سياق غير قسَمي، وبغير أسلوب الوصف ولكن تقريراً مؤكّداً: ﴿ إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ الصَّافَاتِ: 06، وقوله أيضاً: ﴿ وَلَقَدْ زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ سورة الملك: 05، والتعرّض إلى سبب الحسن- وهو زينة الكواكب والمصابيح- بغير الوصف، ينحو بهذه الصّفة (ذات الحبك) منحى الخصوصيّة في الدّلالة، وتعلّقت دون سبب بالسّماء، وهي صفة مضافة إلى اسم الإشارة (ذات)، ولو كانت صفة مستغرقة وصف السّماء ما وردت على هذه الصّيغة، ولعلّها تحيل إلى جزئيّة الوصف، لا تمامه، إذ لا يتساوى الوصف مثلاً بين هذا رجل قدوة وبين هذا رجل ذو علم- ذو خلق- ذو مال؛ إنّما كلّ ذي علم قدوة، وما كلّ ذي خلق قدوة- فقد يعيبه ضعف في القرار مثلاً-، وكذلك: المال ليس قدوة في جميع أحواله، ولكنّها إشارات إلى بعض صفات الرّجل المقصود.

وعلى ضوء أقوال المعاجم، يسوغ للمقاربة الجنوح إلى أنّ (الحبك) في السّماء حُبك من مرئيات النّجوم والكواكب، وما خلق الخالق- سبحانه-، مقترنا بحبك الآثار الجماليّة والعلميّة، ووصف السّماء بـ"ذات الحبك" غير قابل لاختصاص أي مفردة لغويّة بمعنى ضيق لا يسع السّماء، فلا تعدو أن تكون واحدة من حبّات واحد من حُبُكها!!

وما يُناط بالرؤية العلمية لهذه الصفة، هو ما قد اكتشف في الكون من « طرائق كثيرة منها أفلاك (orbites) أي مسارات الكواكب والنجوم والمجرات والسدم(..) ويصل تعداد نجوم بعضها إلى آلاف المليارات وكلها تدور في مسارات خاصة بكل واحد منها(..) فَعَلِمَ أَنَّ في السَّماءِ الَّتِي فوقنا(..) حُبُكاً، أي طرائق تمنع الأشعة الكونية القاتلة وملايين الشهب والنيازك الحارقة، وطرائق تتظف أرضنا من الغازات الضارة المتصاعدة منها وممن عليها من المخلوقات، وطرقا كشفها الإنسان واستطاع أن يسلكها(..) عندما نفذ بمركباته الاصطناعية إلى الفضاء الخارجي، وعُلمَ أَنَّ الأرض(..) تسير في مسار ببيضاوي حول الشمس(..) من دون أن يصطدم بها بلايين النجوم والكواكب المنتشرة في الكون»¹، فتلك المعابر والمسارات المنتظمة بقدرة القادر-جلّ جلاله- حُبِكت بإحكام، لتحفظ للأجرام السماوية حركتها وحياتها كالطرق المهيأة لهذا الغرض، ولكنها ليست مجرد طرق قد يسوء حالها وتتردى مع الأزمان، بل هي مشدودة بقوة القوي- تعالى- كالحبال غير المرئية، ذلك أَنَّ « مادة الكون من أصغر الأجزاء فيها إلى أكبرها(..) ترتبط مع بعضها البعض بقوانين عظيمة تحكم هذا الكون وتنظمه(..) وتجعله بهذا الاتزان الرائع، ويُعتَقَدُ أَنَّهُ كانت هنالك قوّة واحدة تربط مادة الكون قبل حدوث الانفجار العظيم، ثم تحوّلت إلى أربع قوى بعد حدوث الانفجار العظيم وتشكّل الكون، وهذه القوانين: القوّة الذريّة الضعيفة، القوّة الذريّة الشديدة، والقوّة الكهرومغناطيسيّة، قوّة الجاذبيّة»²، وحين تحلّ القوّة والنظام والجمال دون تضارب فيما بينها فليس ذلك إلّا بيد الله- عزّ وجلّ- الذي أقسم ب«وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ» ذات الزهراوات المنيرة والأجرام

¹ - عدنان الشّريف: من علم الفلك القرآني، دار العلم للملايين، ط: 01، 1991، بيروت- لبنان ص: 62-63- بتصرّف.

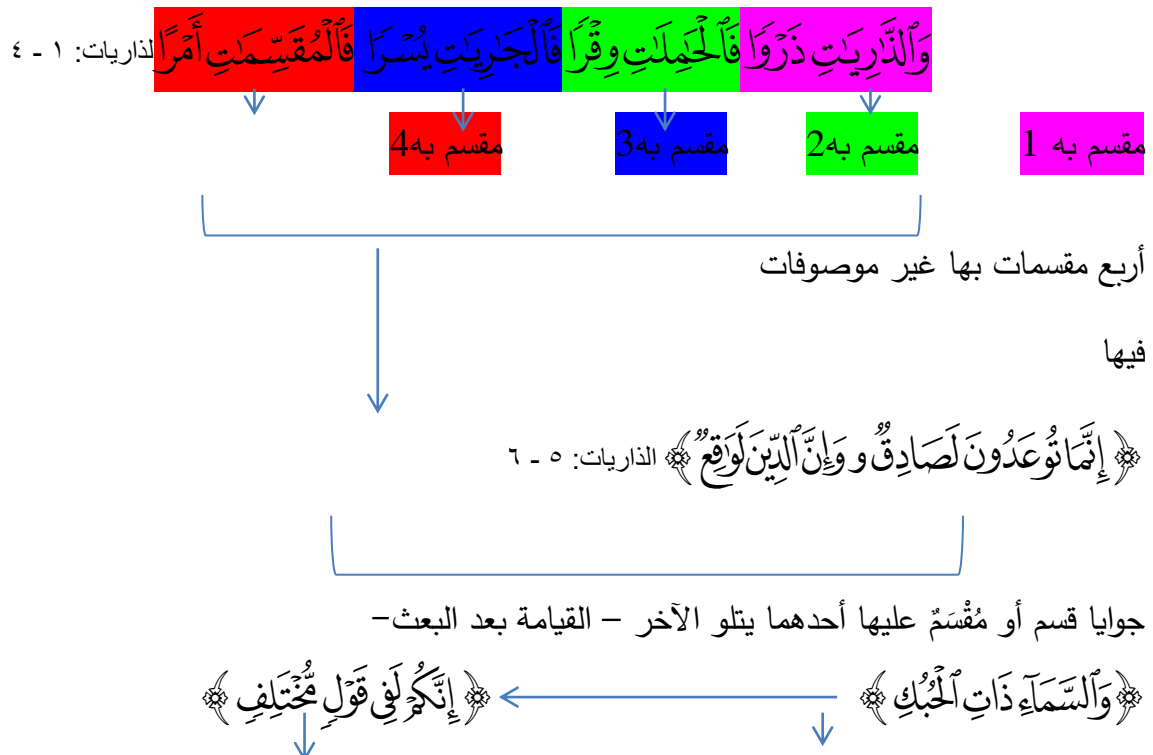
² - يذهب هذا الاكتشاف إلى مساهمة هذه القوى في بناء الكون، حيث يذكر الكاتب تنمّة لما سبق من المقتطف: «(..) كما أظهرت الصّور الّتي حاكاها الكمبيوتر العملاق-السوبر كمبيوتر- أَنَّ الكون عبارة عن خيوط ضخمة من المجرات وكأنّها حبكت ورصّت بدقّة وإحكام شديدين لدرجة أَنَّ العلماء أخذوا يصفون الصّور الّتي ظهر بها الكون بالنّسيج الكوني» عماد مجاهد: الكون طريقي إلى الله، ص: 139-142-بتصرّف.

الظاهرة والخفية، فيتبدى عالم لا يكفيه الوصف بالقوة وحدها، ولا بالطرق السلسلة المنظمة حركة أجزامه وعجائبه فقط، وليس سماء ذات حبال غليظة تسوء المنظر، بل هي ﴿ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ بمكوناتها وجمالها المحبوكين معا، ممّا لا يستوعب دلالاته إلا هذا الوصف القرآني العجيب!.

ثم تترقى الصفة (ذات الحُبُك) تعريفا بالسماء حين اختار لها الوحي العظيم نظاما ، مؤلفا من جملة قسم، في سياق بلاغي خاص حيث تنتظم الآية الكريمة التي وردت فيها هذه الصفة بعد ست آيات كريمة، تامة التركيب من أربع مقسمات بها لمقسمين عليهما اثنين، جزما بصدق وعد البعث ووقوع القيامة، ليحلّ بعد ذلك القسم بالإضافة، ولمقسم واحد هو السماء الموصوفة بصفة واحدة- هنا- من بين صفات عديدة أخرى، وجواب القسم المتعلق بها ليس إثبات الحقيقة السابقة إنّما تعريف المشركين بما هم عليه من تفرق وضلال، ليعكس المقسم به الواحد ذي الصفة الواحدة

ﷻ.

خطاطة رقم (02): السياق النظمي للصفة ذات الحُبُك



مقسم به صفة للمقسم به مضاف إليها ما

استئناف مقسم عليه واحد وحيد مجملة القسم

هكذا تبين وقوع المقسم به ذي الصفة « السماء » موقعا فاصلا بين حملة المقسمات بها المنتمية إلى مجموعة الأرض-الذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات-^{*}، لتفتح مجال السياحة في عالم الفلك بقسم مستقل، يميّزه الوصف بمفردة، ومادام العظيم-جلّ جلاله- لا يقسم إلاّ بعظيم، فقد نبّه بأقلّ إشارة إلى واحدة من صفات السماء المقسم بها إلى أنّ حُبُكها أوضح ما يمكن أن تراه العين، وأكبر ما تكتشفه عين العلوم إلى درجة تنوّعت فيها أقوال القائلين، حقائق كونية، وجمالا يتملّأها لنظر ولا يملّ، كلاهما يقدمان بعض إبداع الخالق-سبحانه- لسقف السماء التي جعلها جزءا من كونه، وركنا لا تستقيم بغيره الحياة على الأرض، فيكتمل التركيب النحويّ للآيات المتصدّرة لسورة الذاريات، باكتمال مشهد مركّبات الحياة ﴿ وَالذَّرِيَّتِ ذَرَوْا (1) فَأَلْحَمِلْتِ وَقَرَا (2) فَأَلْجَرِيَّتِ يُسْرَا (3) فَأَلْمُقَسِّمَتِ أَمْرًا (4) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (5) وَإِنَّ الْآدِينَ لَوْقَعٌ ﴾ سورة الذاريات: 01-06

مركّبات الأرض التي تتغيّر معالمها بقيامة الساعة

^{*}الذاريات: الرّيح، الحاملات الوقر: السحاب، الجاريات: الفُلك، المقسمات أمرا: الملائكة تقسم الأمطار والأرزاق وغيرها، للمزيد ينظر فضلا: الزّمخشري: تفسير الكشاف، ص: 1049.

خطاطة رقم (03) : السياق النظمي للصفة ذات الحبك

	﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾	بصفة	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾
جهل مركب محدود العقل الضال!	-ساحر -شاعر -مجنون -كاذب	حقيقة عظيمة واحدة إلى حد القسم بها لا محدودة متسعة اتساع السماء -عزوجل ذات تركيب دلالة متعددة	-الكواكب و النجوم -جبال قوى غير مرئية وهي القوانين الفيزيائية التي آمن بها علم الفلك في تقدمه نحو عالم السماء -إحكام مواقع المجرات و الشدم ذات الكواكب و النجوم المختلفة

جميعه بنظام، يخدم البشر وجميع الأحياء، لتحبك في القلب أسباب التوحيد، إذ لا زينة كزينة بالإيمان؛ وشتان بين أحد أدلة وإشارات الوجود الإلهي للواحد الأحد في قوته وبهائه. ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ وبين ما اتهم به الكفار ومشركو قريش نبي الحق -ﷺ- من سحر، وشعر، وجنون، وفي ذلك « إبطال أقوالهم الضالة، فالقسم لتأكيد المقسم عليه، لأنهم غير شاعرين بحالهم المقسم على وقوعه، ومتهالكون على الاستزادة منه، فهم منكرون لما في أقوالهم من اختلاف واضطراب، جاهلون جهلاً مركباً، والجهل المركب إنكار للعلم الصحيح(..)¹»

¹ - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، ط: 01، 2000 م، بيروت - لبنان .
ج: 27، ص: 09.

فدليل واحد ذا صفة واحدة تشير بكثير دلالاتها إلى الخالق المبدع الواحد-سبحانه-، يقابله جمع ذا طوائف عديدة!!.

وقد أدّى المقسم عليه ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلَفٍ﴾ سورة الذّاريات: 08 إلى رسم مشهد الكفّار الجاحدين، الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا أمرهم وبدالهم وحدثهم الكاذبة إزاء الدّعوة الإسلاميّة بقيادة الصّادق الامين-عليه السلام-، فإذا هم متقطّعون أشتاتاً، لا يقرّ لهم موقف أو حكم على ما جاء به الرّسول-عليه السلام-، وهذه نتيجة حتميّة، حيث تضيع كلّ الاكاذيب في سماء الصّدق المحبوك بالوحي وأسراره، وإلاّ فما كان خطاب العظيم لهم إلّا تصويراً لأقوالهم المتضاربة وتوكيداً لضعفهم، وقد صوّره بالتفات بلاغيّ من القسم المخبر عنه إلى خطاب الجمع الفاضح بأنّ «كلّ قول منها ينقض الآخر وأنتم تدّعون أنكم أصدق النّاس وأبعدهم عن عار الكذب، وأنكم اعقل النّاس وأنصفهم، فقد تباعد أولاً ما بين أقوالكم، ثمّ ما بينها وبين أفعالكم، فكان اختلاف طرائق النّجوم دالّاً على صانع مختار تامّ للعلم(..) وكذا اختلاف قولكم على هذا الوجه مع مالكم من العقول دالّ على قاهر لكم على ذلك، فهما آيتان في الآفاق وفي أنفسكم»¹.

وعليه، فإنّ اختيار الأسلوب القرآنيّ للصفة المضافة إليها "الحُبْك" وجعلها صفة ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ كدليل براعة اختصّ بها الوحي العظيم، إنما هو ربّان سباحة فلكيّة، وملاحاة بلاغيّة، جمعت تفرّد الكلمة وخصوصيّة النّظم، وبلاغة الجمال إلى لا محدوديّة الكمال مما لم يسعه البحث ولا المكتشفات العلميّة، سواء أتوسلت العقول المعنّاة في سعيها الحثيث لمعرفة حدود وحقيقة حبك ما قال عنه الباري-تعالى-: ﴿وَالسَّمَاءِ بَنِيْنُهَا بِأَيْدِي وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ سورة الذّاريات: 47.-والله-تعالى- أعلى وأعلم.

¹ - برهان الدّين البقاعي: نظم الدرر، ج: 18، ص: 452.

ذات الرّجّع (سورة الطّارق: 11)

ذكر القرآن الكريم مادّة (رجع) صفة مفردة ظاهرة مرّة واحدة، حين أضافها إلى اسم الإشارة "ذات" العائد على السّماء في قوله-جلّ جلاله-: ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ سورة الطّارق: 11، وهي من « الرّاء والجيم والعين: أصل كبير مطّرد منقاس يدلّ على ردّ وتكرار، نقول: رجع يرجع رجوعاً إذا عاد(..) والرّاجعة: النّاقة تباع ويشترى بثمنها مثلها، والثّانية هي الرّاجعة(..) والتّرجيع في الصّوت ترديده(..) والرّجّاع: رجوع الطّير بعد قطاعها(..) فأما "الرّجّع": فالغيث وهو المطر في قوله-عزّ وجلّ-: ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾، وذلك أنّها تغيث وتصبّ ثمّ ترجع فتغيث»¹ ومن الأساليب العربيّة ما وردت فيه مادّة (رجع)، كأن « يقال: ما كان من "مرجوع" فلان عليك؟ أي من مردوده وجوابه(..) يقال: باع فلان إبله فارتجع منها "رجعة" صالحة(..) إذا صرف أثمانها فيما يعود عليه بالعائدة والصّالحة(..) و "الرّجّع": المطر، قال الله-تعالى-: ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ ويقال: ذات النّفع(..) ويقال: أرجع الله بيعة فلان، كما يقال: أرجح الله بيعته(..) واسترجعت عند المصيبة إذا قلت: إنّنا لله وإنّا إليه راجعون»².

ويبدو من الرّؤية المعجمية لـ (رجع) لزومها معنى النّفع والعوّد بالخير، وهو معنى موصوف بالمحوريّة عند صاحب (المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم)، حيث تدلّ (رجع) على « تحوّل عن الاتّجاه أو الحال إلى عكسه، كما يتردّد الماء في الغدير لأنّه محتبس فيه لا يسترسل بعيداً، وكما يتحوّل الماء الصّفي العذب المُرّوي إلى عَرَق كريح الرّيح(..) وكلّ ما في القرآن من

¹ - أحمد بن فارس: المقاييس، ج: 02، ص: 490-491-بتصرّف.

² - الجوهري: تاج اللّغة وصحاح العربيّة، ص: 394.

(تُرْجِع - يَرْجِعُونَ - راجعون - مرجعكم - مرجعهم) فهي إلى الله -عزّ وجلّ-، وقولهم: رجع العلف في الدّابة: نجع، هو من الصّورة الأخرى أعني التّحوّل إذ تحوّل العلف إلى لحم وشحم فسمنت¹ ويتقاطع فيه صاحبه- هذا المعنى - نسبياً مع القائلين بأنّ

« الرّجوع: العوْدة إلى ما كان منه البدء أو تقدير البدء مكانا كان أو فعلا أو قولاً، وبذاته كان بجزء من أجزائه أو بفعل من أفعاله(..) وقوله: «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرّجْعِ» سورة الطّارق: 11، أي المطر وسمي رجعا لردّ الهواء ما تناوله من الماء، وسمي الغدير رجعا إمّا لتسميته بالمطر الذي فيه، وإمّا لتراجع أمواجه وتردّده في مكانه²، كما أُحصي لمادّة (رجع) في القرآن الكريم « ثمانية أوجه: المطر - الرّدّ - الرّجعة - الموت - الرّجوع إلى الدّنيا - الإقبال على النّفس بالملامة - التّوبة»³ وزاد عليها (الفيروز آبادي) وجهين هما: الإقبال وردّ الجواب*. هذه الأوجه، وما ذكر من كلمات شارحة لـ (رجع) مصدرها السّياقات القرآنيّة المختلفة التي وردت فيها، وبما أنّ المشترك في ذلك الكلمتان (مطر) و(عود) فقد تمّت متابعة النّصوص الشّاهدة لها ثلاثتها على النّحو الآتي:

¹ - محمّد حسن حسن جيل: المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم، ص: 763-764.

² - الأصفهانيّ: المفردات في غريب القرآن، ص: 195.

³ - الدّامغانيّ: الأشباه والنّظائر، ص: 192.

*- للتّفصيل، ينظر فضلا: الفيروز آبادي، بصائر ذوي التّمييز، الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب : بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، المكتبة العلميّة ، ط: 01، 1979، القاهرة- مصر ج: 03، ص: 39-40.

الجدول رقم (24) مواضع رجع في القرآن الكريم

الرقم	السورة و الآية	الرقم	السورة والآية
01	البقرة: 18	20	الأعراف: 150
02	البقرة: 28	21	الأعراف: 168
03	البقرة: 46	22	الأعراف: 174
04	البقرة: 156	23	الأنفال: 44
05	البقرة: 196	24	التوبة: 83
06	البقرة: 210	25	التوبة: 94
07	البقرة: 230	26	التوبة: 122
08	البقرة: 245	27	يونس: 04
09	البقرة: 281	28	يونس: 23
10	آل عمران: 55	29	يونس: 46
11	آل عمران: 72	30	يونس: 56
12	آل عمران: 83	31	يونس: 70
13	آل عمران: 109	32	هود: 04
14	المائدة: 48	33	هود: 34
15	المائدة: 105	34	هود: 123
16	الأنعام: 36	35	يوسف: 46
17	الأنعام: 60	36	يوسف: 50
18	الأنعام: 108	37	يوسف: 62
19	الأنعام: 164	38	يوسف: 63

القصص:39	61	يوسف:81	39
القصص:70	62	مريم:40	40
القصص:88	63	طه:40	41
العنكبوت:08	64	طه:86	42
العنكبوت:17	65	طه:89	43
العنكبوت:57	66	طه:91	44
الروم: 11	67	الأنبياء:13	45
الروم:41	68	الأنبياء:35	46
لقمان:15	69	الأنبياء:58	47
لقمان:23	70	الأنبياء:64	48
السجدة: 11	71	الأنبياء:93	49
السجدة:12	72	الأنبياء:95	50
السجدة:21	73	الحجّ:76	51
الأحزاب:13	74	المؤمنون:60	52
سبأ:31	75	المؤمنون:99	53
فاطر:04	76	المؤمنون:115	54
يس:22	77	النّور:28	55
يس:31	78	النّور:28	56
يس:50	79	النّور:64	57
يس:67	80	النّمل:28	58
يس:83	81	النّمل:35	59
الصّافات:68	82	النّمل:37	60

الحديد:05	95	الزمر:07	83
الحديد:13	96	الزمر:44	84
الممتحنة:10	97	غافر:77	85
المنافقون:08	98	فصلت:21	86
الملك:03	99	فصلت:50	87
الملك:04	100	الزخرف:28	88
الطارق:08	101	الزخرف:48	89
الطارق:11	102	الزخرف:85	90
الفجر:28	103	الجاثية:15	91
العلق:08	104	الأحقاف:27	92
		ق:03	93
		الواقعة:87	94

الجدول رقم (25) : سياقات (رجع) في القرآن الكريم

الرقم	السياق	التكرار
01	البعث	48
02	الرجوع بعد الذهاب	28
03	التوبة	08
04	الحكم ثواباً أو عقاباً	08
05	الاعتراف بالخطأ و تأنيب الضمير	03
06	الردّ بالكلام	03
07	ترديد البصر	02
08	الانقلاب من الكفر إلى الإيمان	01

09	التَّحْدِي بِعَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا	01
10	التَّحْدِي بِإِعَادَةِ الرُّوحِ إِلَى الْمَوْتِ	01

يكشف الإحصاء للسياقات القرآنية التي وردت فيها (رجع) ومشتقاتها عن التحوّل بكل أشكاله في الدنيا مقابل دلالة البعث والقيامة بالرجوع إلى الله - تعالى - يومئذ ، إذا الخلائق تقطع دورتين في الحياة بداية ورجعة إلى محيها يوم القيامة والسيّاق الأغلب هو المتعلّق بهذه النهاية الخالدة، يليه بما يربو عن نصف عدد تكراراته سياق الرجوع بعد الذهاب ثم سياق التوبة في الدنيا ومثلها تعلّقت بإقامة الحكم الإلهي يوم القيامة بالنّوّاب والعقاب، ثم ثلاث (03) تكرارات بنسبة (02,88%) لكلّ من الاعتراف بالخطأ وتأنيب الضمير من جهة وللمحاورّة ورجع الردود الكلاميّة من جهة أخرى، يليه سياق رجوع البصر وغضّه بعد مدّه بالرؤية مرتين اثنتين (02) بنسبة (01,92%)، وكذلك تكرار ونسبة سياق التّحدّي بعدم القدرة على الرجوع إلى الدنيا بعد الموت ، يتبعه تكرار واحد (01) بنسبة (00,96%) لسياق يؤس الرجوع من الإيمان إلى الكفر، -والله أعلم-، وفي جميع هذه السياقات الكريمة اختصّت السّماء بوصفها (ذات الرجّع) فلا صفة من هذا المشتقّ لغير السّماء الموصوفة به.

أمّا الاتجاه الدّلالي، المبني على معنى (العُود) في مادّة (رجع) فيتقارب من وجهة نظر (ابن فارس) من خلال قوله: « العين والواو والدّال: أصلان صحيحان يدلّ أحدهما على تنثية الأمر، والآخر جنس من الخشب، فالأوّل: العود، قال الخليل: هو تنثية الأمر عودًا بعد بدء (..) والمعاد: كلّ شيء إليه المصير (..) والله-تعالى- المبدئ المعيد، ذلك أنّه أبدأ الخلق ثمّ يعيدهم (..) والعيد: ما يُعتاد من خيال أو همّ، ومنه المعاودة (..) ومن الباب العيد: كلّ يوم مجمع (..) وأمّا الأصل

الآخر، فالْعُودُ، وهو كلّ خشبة دُقَّت، ويقال: كلّ خشبة عُود¹، يضاف إلى هذا ما اشتهر في القصص القرآنيّ التّاريخيّ عن (عَادٍ) قوم رسول الله هود-عليه السّلام- وغيره من المعاني السّياقيّة لهذا المشتقّ في القرآن الكريم، ممّا تتبّعه الجدول الآتي:

الجدول رقم (26): مواضع (عود) في القرآن الكريم

الرقم	السّورة و الآية	الرقم	السّورة و الآية
01	البقرة: 275	15	يونس: 34
02	المائدة: 95	16	هود: 50
03	المائدة: 114	17	هود: 59
04	الأنعام: 28	18	هود: 60
05	الأنعام: 145	19	هود: 60
06	الأعراف: 65	20	إبراهيم: 09
07	الأعراف: 74	21	إبراهيم: 13
08	الأعراف: 88	22	النّحل: 115
09	الأعراف: 89	23	الإسراء: 08
10	الأنفال: 19	24	الإسراء: 08
11	الأنفال: 38	25	الإسراء: 51
12	التوبة: 70	26	الإسراء: 69
13	يونس: 04	27	الكهف: 20
14	يونس: 34	28	طه: 21

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللّغة، ج: 04، ص: 181-183-بتصرّف.-

فصلت:13	48	طه:55	29
فصلت:15	49	الأنبياء:104	30
الدخان:15	50	الحجّ:22	31
الأحقاف:21	51	الحجّ:42	32
ق:13	52	المؤمنون:07	33
الذاريات:41	53	المؤمنون:107	34
النجم:50	54	الفرقان:38	35
القمر:18	55	الشّعراء:123	36
المجادلة:03	56	الشّعراء:166	37
المجادلة:08	57	النمل:64	38
المنافقة:07	58	العنكبوت:19	39
الحاقة:04	59	العنكبوت:38	40
الحاقة:06	60	الزّوم:11	41
المعارج:31	61	الزّوم:27	42
نوح:18	62	السجدة:20	43
البروج:13	63	سبأ:49	44
الفجر:06	64	يس:39	45
		ص:12	46
		غافر:31	47

الجدول رقم (27) : سياقات (عود) في القرآن الكريم

الرقم	السياق	التكرار
01	قوم عاد	25
02	العودة إلى الكفر بعد الإيمان	15
03	إعادة الخلق و البعث	13
04	العدوان	06
05	العودة إلى العذاب	02
06	العيد	01
07	عودة الحال الاستثنائية إلى أصلها	01

انطلاقاً ممّا ثقفه الجدول من الآيات الوارد فيها الأصل (عود) ومشتقاته، يلاحظ انعدام متوقعه صفة في أيّ منها، وأمّا دلالاته، فالأغلب اسم العلم المنوط "بعاد" قوم رسول الله-عليه السلام- هود الدّنيا بعد الانتقال إلى الآخرة بنسبة (22.95%)، ثمّ إعادة الخلق كما بدأه الله-سبحانه- بنسبة (21.13%)، وأخيراً نسبة (1.63%) ارتبطت بالعيد، ومثلها عوُد القمر إلى حالة شبيهة بالعرجون القديم ممّا لا يُنسب إلى الطّبيعة بنسب!.

هكذا تتأى الصّفة (ذات رجع) أن تساوى بالقول (ذات العود) وتتبدّى به خصوصيّتها حين وصفت بها السّماء، لأنّ ما تُرجعه لا يحمل دوما معاني الفرح ولا البهجة التي تلفّ كلمة (العيد) مثلاً، ولا هي يوم القيامة على هيئتها المعروفة في الدّنيا ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمُوتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ سورة إبراهيم:48، والعود للخلائق يوم القيامة، يقول فيه الله-عزّ وجلّ-: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ سورة الأنبياء:104؛ يحفظ لهم هيئتهم التي عرّفوا بها في الدّنيا على هذه الأرض!.

ولا تبرح أقوال السادة علماء التفسير في تناولهم الوصف القرآني «ذَاتِ الرَّجْعِ» عموم الآراء في كتب علوم القرآن، منها القول بأن: «وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ» تسمية بمصدري رجوع وآب، وذلك أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض، وأرادوا التفاضل فسموه رجعا وأوبا ليرجع ويأوب، وقيل: لأن الله يرجعه وقتا فوقتا¹، ومثل هذا المذهب يذهب (القرطبي)-رحمه الله-، فبعد ذكر علاقة الرجوع بعودة الماء وأوبته، و ذكر «ذَاتِ الرَّجْعِ»: ذات المطر، ترجع كل سنة بمطر بعد مطر²، وكأن التماثل بينهما حقيقة لا مناص منها، فيه ميقات لهذا الرجوع المخصص بالمطر-سنة بعد سنة-!!.

ويؤلي (ابن كثير)-رحمه الله- آراء العلماء في الآية، فعن «ابن عباس: الرجوع: المطر، وعنه: هو السحاب فيه المطر، وعنه: «وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ» تمطر ثم تمطر، وقال قتادة: ترجع رزق العباد كل عام، ولولا ذلك لهلكوا وهلك مواشيهم، وقال ابن زيد: ترجع نجومها وشمسها وقمرها يأتين من هاهنا(..)³ اختلاف، يجزم (الشوكاني)-رحمه الله- بنفيه، حيث يقول عن: «الواحد: الرجوع المطر في قول جميع المفسرين(..) وقال بعضهم: «ذَاتِ الرَّجْعِ» ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال العباد، وقال بعضهم: معنى «ذَاتِ الرَّجْعِ» ذات النفع⁴.

¹ - الرّمخشري: الكشاف، ص: 1194.

² - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، مج: 10 ج: 18، ص: 08، ومثله رأي صاحب المحيط، فضلا ينظر: أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، ج: 08، ص: 450.

³ - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج: 08، ج: 04، ص: 746.

⁴ - محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فتح القدير جمع بين فن الرواية و الدراية ، من علم التفسير راجعة وعلق عليه: الشيخ هشام البخاري ، مكتبة المصرية ، ط: 01، 1995، بيروت- لبنان ، ج : 03 ، ص : 561.

ومادام القرآن الحكيم ركزة المقاربة، وميزانها الحكم، ففيه من أوصافه ما ذكره-جلّ جلاله-:
 ﴿الَّذِي كَتَبَ أَحْكَمَتْ عَيْنُتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ سورة هود:01، فهل من الإحكام أن
 يتساوى الوصفان: ﴿ذَاتَ الرَّجْعِ﴾ و ﴿ذَاتِ النَّفْعِ﴾ أو ﴿ذَاتِ الشَّمْسِ وَالنَّجْمِ﴾؟ أو ﴿ذَاتِ الْمَطَرِ﴾ أو
 (ذات ملائكة) ؟!.

فأما ﴿ذَاتِ النَّفْعِ﴾ فرأي يُلغى هنا لما يمكن أن ينزل من السماء من صواعق وبرد يهلك قري
 أحيانا ويصرفه الله عمّن يشاء أحيانا أخرى، وأما ذات الشمس والنجوم، ففي السماء عوالم تفوق
 الشمس والنجوم حجما وآيات، وأما ﴿ذَاتِ الْمَطَرِ﴾، فله من الآيات القرآنية ما يجعله صالحا في
 سياقات خاصة لا يعدوها، وهي قوله-جلّ جلاله-:

1- ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أُنْزَىٰ مِنْ مَّطَرٍ وَكُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَصْعَوْا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا

حِذْرَكُمْ﴾ سورة النساء:102

2- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا نَظْرًا كَيْفَ كَانَ عَذَابُ الْمَجْرِمِينَ﴾ سورة الأعراف:84.

3- ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنْزِلْ عَلَيْنَا

بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ سورة الأنفال:32.

4- ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ﴾ سورة الحجر:74.

5- ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْفَرِيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوَاءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَرَبَّصُونَ

نُشُورًا﴾ سورة الفرقان:40.

6- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ سورة النمل:58.

ودون استثناء أو وجود آية أخرى، لم يرتبط؟؟؟ في الذكر الحكيم إلا بمعنى العقوبة والعذاب*، و
 ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ أعقبها تشريف للقرآن العظيم ورحمة ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ
 لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهو سبب آخر يحمي (ذَاتِ الرَّجْعِ) من ظاهرة الترادف بما فيها هذا.

وتتبع المقاربة سببا، حين تلتفت إلى التعريف المضاعف في هذه الصفة المفردة للسماء، وقد
 ظهر على وجهين: التعرف بـ(ال) وبالإضافة، فرجع السماء المقصودة في التنزيل مستغرق كل
 أنواعه، وما هو مختص رجوع دون آخر، أي أنه يسوق كل ما عهده البشر ويعرفونه أو يعلمونه،
 وعلمهم مهما اتسع محدود لقوله-سبحانه-: ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ سورة الإسراء:85،
 وليس رجوع كل السماوات السبع هو رفع واحدة عرفت بـ (ال) ووصفت بالإشارة إليها «ذات» لتبيان
 شيء من المظاهر المؤدية إلى آياتها!!؛ لذلك من الإنصاف التسليم رجوع للتأويل بأن لفظة
 (الماء)-مهما كانت الحكمة منه رحمة أو عذابا- صحيح في زمن المفسرين الأوائل، فهو جلّ ما
 استغرقه علمهم، ورجع الملائكة صحيح أيضا، فهي رسل الله بين السماء وأنبيائه ورسله في
 الأرض، لتبقى-بتعريفها- مدداً لدلالات تفوق ما ذكر، وما سيذكر في بحوث الأجيال القادمة؛ وإلا
 ما كان الله-سبحانه- ليسوقها بأسلوب القسم الجليل!!.

وليس من المغالاة استغراب أن يقسم العظيم-جلّ جلاله- بالسماء فقط، إمّا لارتداد الماء أو
 النفع أو الملائكة، وهو مدعاة للقول أنّ (ذَاتِ الرَّجْعِ) صفة فضفاضة لا تستوعبها العلوم
 والمعارف رغم أنّه « من معاني الرجوع الارتداد، أي أنّ من الصفات البارزة في سمائنا أنّها ذات
 رجوع(..) بمعنى أنّ كثيرا ممّا يرتفع إليها من الأرض تردّه إلى الأرض ثانية(..) كما أكدت علوم
 الفلك أنّ كلّ أجرام السماء قد خلقها الله-تعالى- من الدخان الكوني الذي نتج عن عملية الانفجار

*- أمّا ما يرجع بالنفع، فيناقشه المبحث الأول من الفصل الثالث-بإذن الله-.

العظيم، وأنَّ كلَّ أجرام السَّماء تمرَّ في دورة حياة* تنتهي بالعودة إلى دخان السَّماء عن طريق الانفجار والانتشار لتتخلَّق أجرام جديدة تعيد الكرَّة في دورات مستمرة من تبادل المادَّة والطَّاقة بين أجرام السَّماء ودخانها»¹، وفي المساحة العجيبة من الدَّخان والأجرام، لا يتوانى الوصف الإرشاديَّ (ذَاتِ الرَّجْعِ) عن محاولة الاستهداء بكلِّ نور قد يوصل إلى دلالات أخرى، ومن تلك الأنوار العلميَّة ما فهم من التَّسمية "السَّماء" حين فُرِّق بينها وبين السَّماوات في الآيات الكريمة**، والتي « إن قصد بها الغلاف الجوّي الأرضيَّ [أدرك أنَّ من خصائصه] إعادة الأشياء إلى ماكانت فيه، فالطبقة السفلى troposphere تعيد بخار الماء المتصاعد من الأرض بشكل مطر***، وكذلك القسم الأكبر من الحرارة المنعكسة والمتصاعدة من الأرض، والطبقة الرَّابعة و الخامسة والسادسة ionosphere**** ترجع إلى الأرض موجات الراديو الطويلة والمتوسطة وبعض الموجات المتأنيَّة [منها]، كما تعكس نفس هذه الموجات إذا كانت متأنيَّة من الفضاء الخارجي (..) والطبقة السابعة أو الحزام المغناطيسيَّ الأرضيَّ magnetosphere « ترجع إلى الفضاء الخارجيَّ الإشعاعات الكونيَّة الصَّارَّة بالحياة على الأرض كأشعَّة "غاما" و "ألفا" والقسم الأكبر من الأشعَّة ما تحت الحمراء والمجهولة»².

* هكذا وردت والأصح: بدورة حياة.

¹ - زغلول النجَّار: تفسير الآيات الكونيَّة، ج: 04 ، ص: 419-421-بتصرّف-، وبقية التفصيل إلى غاية الصَّفحة 426.

** سبق إيراد الدَّلالة الفارقة بين السَّماء والسَّماوات في القرآن الكريم في توطئة هذا الفصل.

*** على تحفُّظ في استعمال لفظ المطر، لدلالاته الصَّيِّقة في الذِّكر الحكيم

**** الصَّواب أنَّها الطبقات

² - عدنان الشَّريف: علم الفلك القرآني، ص: 60-62-بتصرّف-.



الصورة رقم (01): صورة للسحب، وهي مصدر من مصادر رجوع السماء.

وهكذا، لا تلبث الصفة المفردة المضافة إلى اسم الإشارة (ذَاتِ الرَّجْعِ) أن ترجع بالبصر في كل مرة إلى موصوفها الوحيد في القرآن الكريم "السماء" ليتأكد أسلوب التعجيب الفريد ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۚ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ سورة الملك:

04-03.

لتبقى دلالتها أوسع من تلك المشار إليها في كتب التفسير ومعاجم الأوائل، بل وتظل أكثر إثارة لفضول العلماء الباحثين في علم الفلك، إذ كل ما بلغوه من العلم ليس إلا في حدود العصر!!.

وبذلك ترجع الصفة (ذَاتِ الرَّجْعِ) القلب إلى المقسم به الموصوف "السماء" بعد أن ورد مقسما به مطلقا، لا قيد يحده أول السورة، لا هو ولا المقسم به الثاني "الطّارق" رغم وصف البديل منه ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ سورة الطّارق:03، وكأنّ في ذلك مراعاة لمحدوثة الفهم الإنسانيّ تجاه السماء برمتها فانقل الخطاب القرآني من العامّ إلى الخاصّ إلى الأخصّ، تلطّفا وتشويقا في آن واحد.

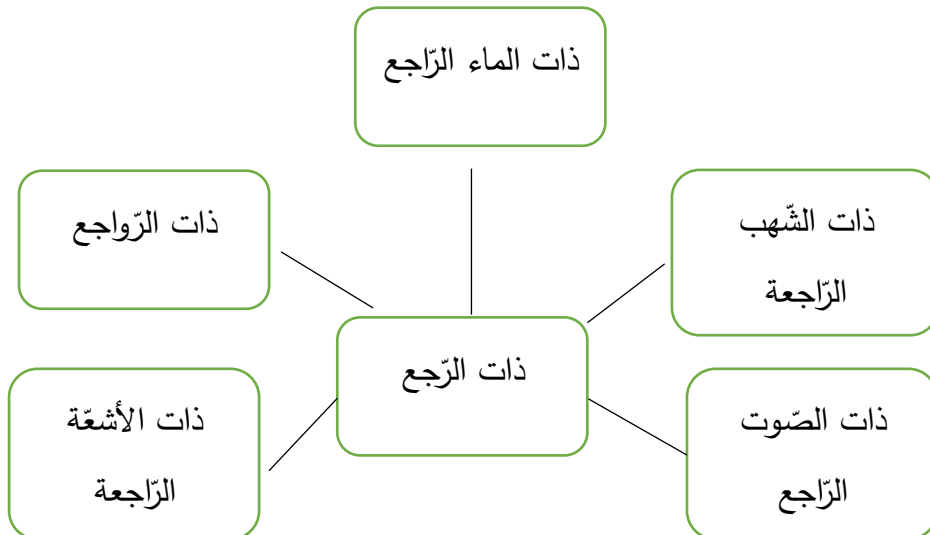
إنّها دورة الحياه بعد الموت، و «النَّجْمُ الثَّاقِبُ» مثل ممّا ينطلق من السّماء، ويرجع إليها على غير الحال التي بدأ بها أوّل مرّة، وكلّ ما استوطن السّماء أوّلًا يرجع إليها، بما في ذلك "القول الفصل" القرآن العظيم، فهو راجع يوما ما إليها، وهو المقسم عليه وجواب القسم المؤكّد، ليشهد على المكذّبين به أو من جعلوه عضين، نسق من النّظم عجيب، أن يقسم، ذو الجلال والكبرياء بالسّماء المبنية بيده، ثمّ بالطّارق منها، ثمّ بالنّجم الثّاقب، ليرجع بالأفئدة إلى صفة تشير بأخوف ما يخافه عاقل كافر أو مشرك وهي الرّجوع إلى الله-تعالى-، عن طريق اسم إشارة إلى جزئية من صفات السّماء!! وهي (ذَاتِ الرّجْع) لتدلّ على حقيقة كذبها أبو الأشدين* وقد نزلت فيه السّورة، ويكون أوّل متلقّ حقيقيّ مقصود بها!

بين قَسَمَيْنِ بالسّماء، وبين عامّ مطلق وخاصّ موصوف تننزل دواعي الإيمان بالرّجوع إلى المبدئ المعيد-جلّ جلاله-، استوفي الصّفة المفردة المضافة (ذَاتِ الرّجْع) كلّ الدّلالات المؤدّية إلى حتمية الوقوف بين يديه-سبحانه-، مستغرقة كلّ الحقائق المقاربة للمعنى العجيب فيها، فكلّ ما يحوم حول تعريفها منذ نزولها على سيّد الخلق وأوّل من تنشقّ عنه الأرض-ﷺ-، حجة قائمة على العارف بجزء من أنواع رجوع السّماء، وسواء أكان رجعا مادّيّا تقتفي علاماته اكتشافات العلماء في الفلك، أم رجعا ممّا ذهب إليه السّادة المفسّرون الأوائل (الملائكة والقرآن) فقد استغرقتهم جميعا، لتعرّف بلازم من لوازم المقصد الرّبانيّ الذي اختارها كلمة صفة دون غيرها ممّا أخضع للاختبار من كلمات!.

* نزلت هذه السورة في حق أبي الأشدين، الذي "كان يقوم على الأديم فيقول: يا معشر قريش ! من أزالني عنه كذا وكذا، ويقول : إنّ محمدا يزعم أن خزنة جهنم تسعة عشر، فأنا أكفيهم عشرة و اكفوني أنتم تسعة "

هكذا، وبقدر ما مثلت الصِّفة المفردة «ذَاتِ الرَّجْعِ» منجزًا تعجيبيًا من حسن توظيف القرآن الكريم للكلمة العربية في مظان لا يصلح فيها غيرها، مثلت كناية علمية ذات مجال مفتوح النّهاية، مبدأه الخالق تعال وتطلّ إشارة إلى أكبر ما خلق العظيم وصنع بيده العظمى، يرجع بها الإنسان إلى الكون مسبّحًا ممجّدًا انبهارًا بهذا العالم الذي كلّما لاحقته الأجهزة الفلكيّة بالتّقصّي ازداد اتّساعا وزادها عجزًا، هو الرّجع وَحْدَهُ حين أضيف إلى اسم الإشارة تعدّدت وجوهه وفاقّت كلّ الأشكال الحسابية (السّداسيّة وما فوقها) وتعبت في حصره الوسائل، وأخفقت في شرحه الكلمات المبتغاة مرادفا له، لتشهد هذه الصِّفة المفردة الظّاهرة-وهي جزء من خصائص السّماء وصفاتها لا مهيمن ولا وحيد- على عظمة الخالق، وعظمة المشهد الذي يشرق بنوره يوم القيامة وإن كذّب به المكذّبون ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمُوتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ٦٨ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالْنَبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ سورة الزّمر: 68-69.

خطاطة رقم (04): السياق النظمي للصِّفة ذات الرجّع



المبحث الثاني من الفصل الأول: الصفات السّموات:

1. طباقا.

2. شداد.

طباقا (المالك: 03) (نوح: 15)

في سياق التمجيد لمن بيده مقاليد السماوات والأرض- سبحانه- وفي مقام الحجاج على قدرته- تعالى- في تقدير الحياة والموت على الخلائق، ترد الآية الكريمة: «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمُوتٍ طِبَاقًا» سورة المالك: 03.

آية جليلة- وكل القرآن جليل- خَصَّتْ لِلَّهِ بِخَاصِّيَّةٍ خلق سبع سماوات موصوفات بالصِّفَةِ المفردة "طباقا"، وهذه الكلمة القرآنية من (طبق) حيث « الطَّاءُ والباء والقاف أصل صحيح واحد، وهو يدلّ على شيء مبسوط على مثله حتّى يغطّيه، من ذلك الطَّبَق، تقول: أطبقت الشيء على الشيء، فالأول طبق للثاني وقد تطابقا، ومن هذا قولهم: أطبق الناس على كذا، كأنّ أقوالهم تساوت(..) والطَّبَق: الجماعة من الجراد، وإِنَّمَا شَبَّهَ ذَلِكَ بِطَبَقٍ يَغْطِي الْأَرْضَ»¹؛ غير بعيد عن هذه الشُّروح، « قولهم: لو تَطَبَّقَتِ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ مَا فَعَلْتَ كَذَا»² أي لو غَطَّتْهَا « والطَّبَق أيضا من كلّ شيء ما ساواه(..) والسَّمَاوَاتُ طِبَاقًا: المطابقة بعضها بعضا»³ ومن الحريّ الإشارة إلى أنّ « المطابقة من الأسماء المتضايقة، وهو أنّ تجعل الشيء فوق آخر بقدره(..) قال: «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمُوتٍ طِبَاقًا» أي بعضها فوق بعض»⁴ وبين الغطاء والمساواة بينه وبين المغطّى تَجَمُّعُ كلمة (طبق) ليتكوّن « المعنى المحوريّ: تغطية، أعلى الشيء أو جانبيه بمحكم وثيق على

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، ج: 03، ص: 439-440 بتصرّف.

² - الجوهريّ: تاج اللغة وصحاح العربية، ص: 633.

³ - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص: 791.

⁴ - الأصفهانيّ: المفردات في غريب القرآن، ص: 304.

قدره..¹، أمّا مدى العلاقة بين "سماوات" و "طباقا" إن اقتصر على هذين المعنيين، فهو ما تسعى إليه هذه المباحثة..

لقد ذكر القرآن المجيد الصّفة المفردة الظّاهرة (طباقا) مرّتين (02) لموصوف واحد ينتمي إلى الآفاق وهو "سماوات"، وله مشتقّ واحد آخر (طبق) تكرر حضوره في سورة الانشقاق.

الجدول رقم (28): مواضع (طبق) ومشتقاتها وما تعلّقت به في القرآن الكريم.

الرقم	السورة و الآية	الرقم	السورة و الآية
01	الملك :03	03	الانشقاق :19
02	نوح:15	04	الانشقاق :19

الجدول رقم (29) : سياقات (طبق) في القرآن الكريم

الرقم	السياق	التكرار
01	السّماوات	01
02	تفاوت أحوال النّاس يوم القيامة	01

لهذا الأصل أربع (04) تكرارات تقاسمها سياقان اثنان (02) أحدهما : السّماوات التي وقعت وصوفا للصّفة منه و نسبتها (50%) بهذا الاعتبار الوظيفي النّحويّ و باعتباره أيضا سياقاً عاماً، والثّاني: سياق تصوير تفاوت النّاس يوم القيامة بتكرارين اثنتين (02) كذلك و بالنّسبة ذاتها، ولعلّها إشارة إلى غيبية كلّ منهما ، رغم أنّ السّماوات من موجودات الدّنيا و اختلاف العقاب والثّواب من أسرار الآخرة- و الله أعلم -ومن الجدول تتبدّى (طباقا) صفة ملازمة لـ "سبع سماوات" أي لم يغيب

¹ - محمد حسن حسن جبل: المعجم الاشتقاقيّ المؤصل لألفاظ القرآن، ص: 1312.

في الآيتين الكريمتين من سورتي الملك ونوح-عليه السلام- لا العدد سبعة ولا سماوات، وعلى الحال ذاتها من حيث التّكثير، وسبقهما بالفعل (خلق) لا غير، ولا يفوت المقاربة أن تشير إلى ملاحظة الحضور العادل بين سياقين قرآنيين مثّل فيها الوصف (طباقاً) مثيراً أسلوبياً من حيث الحضور والغياب، فقد وردت الجملة القرآنية «سَبْعَ سَمَوَاتٍ» أربع مرّات في القرآن الكريم وهي جميعاً منكرة المضاف والمضاف إليه، ولكنّ اثنتين مقيدتان بالصفة (طباقاً) والأخرى انطلقتا دون وصف مع ذكر تفصيل ما يحدث في كلّ سماء!! وهذه الآيات الأربع، هي قوله-جلّ ثناؤه-:

• «فَقَضْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ

وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» سورة فصلت: 12.

• «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا» سورة الطلاق: 12.

• «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا» سورة الملك: 03.

• «أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا» سورة نوح: 15.

ورغم فرضيّة تميل إليها المقاربة، تفيد بالمدد الدلاليّ بين السياقين، قوامه ورود (طباقاً) مفصّلة في سورة (فصلت)، ومطلقة معاني التّنزيل بين السماوات السّبع في (الطلاق)، إلا أنّها لا تخرج عن منهجيّتها في متابعة دلالة (طبق)، متوكّنة على ما ذكره العلماء من شروح أجملتها كلمتان كثيرتا التّرّد في معاجمهم وهما (التّغطية) و(المساواة)؛ فأما التّغطية فمن (غطى)، و«الغين والطّاء والحرف المعتلّ يدلّ على فشاء السّرّ، يقال: غطيّت الشّيء وغطّيته، والغطاء ما

تغطّي به، وغطا الليل يغطو إذا غشّى بظلامه»¹؛ فإذا كانت السماء الدّنيا ذات ليل ونهار تبعا لأفول الشّمس وإشراقها فقد تكون بقيّة السّماوات مظلمة هي الأخرى، فلا تبقى مغطّاة في جميع أحوالها مظلمة!!.

ثمّ هل يستقيم القول: الّذي خلق سبع سماوات مغطّاة؟! أو يغطّي بعضها بعضها؟! لا يمكن أبدا، لأنّ الجملة الأولى تحتل غطاء جامعا للسّماوات السّبع، والجملة الثّانية غطاء يُلقى أو يرفع،، بدليل ما ورد من آيات في الذّكر الحكيم لمادّة (غطو):

الجدول رقم (30): مواضع (غطو) في القرآن الكريم.

الرقم	السورة و الآية
01	الكهف:101
02	ق:22

الجدول رقم (31): سياقات (غطو) في القرآن الكريم

الرقم	السّياق	التكرار
01	الغطاء المحسوس الحائل دون النّظر	02
02	الغطاء المعنويّ الحائل دون الذّكر	02

لهذا الأصل حضوران اثنان(02) لا صفة منه فيهما ، يدلّ السّياق الأوّل ذو التّكرار الواحد(01) بنسبة (50%) على تعلّقه بالحجاب الحقيقيّ دون الرّؤية، ويقابله مثيله عدّا و نسبة

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللّغة، ج: 04، ص: 429.

سياق التعمية على القلب دون ذكر الله - ﷻ -، وعدم وجود سياق يتضمن السماء في نظمه يدل على انتفاء ضلال هذا اللفظ في مساحته التأويلية، فطبقية السماوات فيها حثك لا يتوقّر ضرورة في كلّ غطاء حسب مادة تكوينه، ممّا يبغّد به عن القول بمرادفته لـ (طباقاً).

يُظهر الجدول-أيضاً- تعلق (الغطاء) بالكافرين، والسّماوات العلى يسكنها الملائكة المطهرون يسبحون ربهم كلّ الليل والنّهار لا يفترّون، وأمّا (متساويات)-الكلمة الثّانية المقترحة مرادفاً لـ (طباقاً)- فمن مادّة (سوي)، حيث « السّين والواو والياء أصل يدلّ على استقامة واعتدال بين شيئين، يقال: هذا لا ساوي كذا أي لا يعادله(..) ومكان سوى أي معلّم، قد علّم القوم الدّخول فيه والخروج منه(..) والسّي: المثل: وقولهم: سيّان أي مثلاًن(..) ومن الباب: السّواء: وسط الدّار وغيرها، وسَمّي بذلك لاستوائه، قال-جلّ ثناؤه- «فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ» سورة الصّافات: 55(..) وأمّا قولهم: هذا سوى ذلك أي غيره فهو من الباب، لأنّه إذا كان سواه فهما كلّ واحد منهما في حيّزه على سواء»¹، وقد انتظمت مختلف الدّلالات السياقية لـ (سوي) في الجدول الآتي:

الجدول رقم(32): مواضع (سوي) في القرآن الكريم.

الرقم	السورة و الآية	الرقم	السورة و الآية
01	البقرة: 06	06	النساء: 42
02	البقرة: 229	07	النساء: 89
03	البقرة: 108	08	النساء: 95
04	آل عمران: 64	09	المائدة: 12
05	آل عمران: 113	10	المائدة: 60

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، ج: 03، ص: 112-113 بتصرّف.

طه:52	33	المائدة:77	11
الأنبياء:109	34	المائدة:100	12
الحج:25	35	الأنعام:50	13
المؤمنون:28	36	الأعراف:193	14
الفرقان:59	37	الأنفال:58	15
الشعراء:98	38	التوبة:19	16
الشعراء:136	39	يونس:03	17
القصص:14	40	هود:44	18
القصص:22	41	الرعد:02	19
الروم:28	42	الرعد:10	20
السجدة:09	43	الرعد:16	21
السجدة:104	44	إبراهيم:21	22
فاطر:12	45	الحجر:29	23
فاطر:19	46	النحل:71	24
فاطر:22	47	النحل:75	25
يس:10	48	النحل:76	26
الصافات:55	49	الكهف:37	27
ص:22	50	الكهف:96	28
ص:72	51	مريم:10	29
الزمر:09	52	مريم:17	30
غافر:58	53	مريم:43	31
فصلت:10	54	طه:05	32

55	فصلت:10	66	المنافقون:06
56	فصلت:34	67	الملك:22
57	الزخرف:13	68	القيامة:04
58	الزخرف:13	69	القيامة:38
59	الدخان:47	70	النازعات:28
60	الجاثية:21	71	الانفطار:07
61	الفتح:29	72	الأعلى:02
62	الطور:16	73	الشمس:07
63	النجم:06	74	الشمس:14
64	الحديد:04		
65	المتحنة:01		

الجدول رقم (33) : سياقات (سوي) في القرآن الكريم

الرقم	السياق	التكرار
01	المساواة و عدمها بين أطراف مختلفة	40
02	تسوية الخلق و الزرع للناس ، و تسوية جبريل - ﷺ - أمام النبي - ﷺ -	10
03	استواء الله - ﷻ - على العرش	08
04	استواء سبيل الحق	08
05	استقرار السفينة و على المركب	05
06	دلالة على المستقر	05
07	كمال العد و الإحصاء	03

الجدول رقم (34) : موصوفات (سوي) في القرآن الكريم

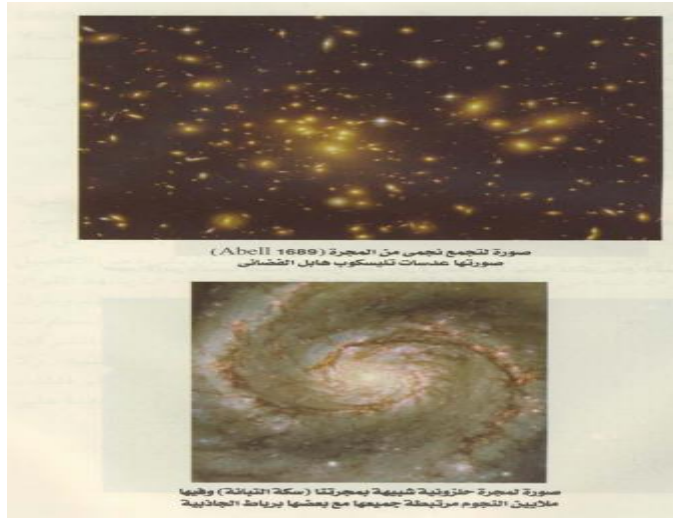
الرقم	الموصوف	التكرار
01	الصّراط	02
02	كلمة الحقّ و العدل	01
03	ليال	01
04	بشرا	01
05	مكانا	01

و بما أنّ السّماء حظيت بتسوية الخالق - تعالى - إيّاها و ذكر في سياق مستقلّ به عن سياق الوصف بطبقات السّماوات السّبع، فإنّ المقاربة تجد هذا مطيّة اعتقاد عندها بأنّ كلّ خاصيّة في هذه التّسوية لها ميزتها، فما كلّ طبقة تساوي غيرها سكّانا وهيئة يفتح الجدول-أعلاه- على استعمالات قرآنيّة كثيرة لمادّة (سوي) تمثّل ذروتها نسبة (22.13%) في مواضع المقارنة بين الأشخاص والمآلات، وكلّ ما يصلح مثلاً ذا طرفين وجميعها تدلّ على عدم المساواة، تليها، نسبة (08.19%) مكرّرة لمتعلّقين بهما، الأوّل بمعنى استواء-ذو الجلال والإكرام- على عرشه، والثّاني تساوي الكفّار والخونة في أحوال الدّنيا والآخرة، ثمّ نسبة (05.73%) متّصلة بالصّراط والسّبيل السّويّ، فكما تردّد ظهور معنى تسوية الخلق بنسبة (4.91%) منه على الإنسان أيّا كان، وتخصيصا آدم وموسى-عليهما السّلام- بعدها نسبة (01.63%) لكلّ من السّماوات بعد خلقهنّ والقيام بتسويتهنّ، ولوسط الجحيم، ثمّ تسوية سفينة نوح-عليه السّلام-، وتسوية ثمود (00.81%) نسب لحضور معانٍ لا تمتّ بصلة إلى (طباق) بين المتجانس أو المختلف من كلّ متعلّق به، بل أغلب الدّلالة تمثّلها النّسبة الأولى (08.19%) للأضداد، ممّا لا يدع مجالا للتّسويغ بترادف (طباقا)

و (متساويات)! قد يكون الوصف (طباقاً) محتويًا دلالة التّساوي، ولكنّ العكس غير صحيح على الدّوام!.

وتعرج التّفاسير لـ « سَبْعَ سَمُوتٍ طِبَاقًا » معارج متباينة، فمنها ما تَمَثَّلُها الكواكب السّبعة المُدْرَكَة وطباق بعضها بعضاً كسوفها¹، ومنها رأي صاحب (الكشاف) بأنّها: « طبقة بعد طبقة، وهل هنّ متواصلات بمعنى أنّهنّ علويات بعضهنّ على بعض أو متواصلات بينهما خلاء، فيه قولان أصحّهما الثّاني، من تنقّل النّبيّ الأكرم -ﷺ- من سماء إلى أخرى، وفي كلّ واحدة استقبله نبيّ من الأنبياء -عليهم السّلام-، وفي ذلك حجة للقول بوجود مسافة تقطع فيما بينها، وإلّا ما كان "العروج" من سماء إلى التي تليها حقيقة من حقائق حادثة الإسراء والمعراج؛ في حين يكتفي (أبو حيّان الأندلسي) بالقول: « أنّ بعضها فوق بعض »² دون إيغال في الحقيقة أو الكيفيّة

الصورة رقم (02) : صورة لتجمع نجمي من المجرة



تفسير الآيات الكونية، ج:4، ص:515

¹ - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مج: 04، ص: 242.

² - أبو حيّان الأندلسي: البحر المحيط، ج: 08، ص: 293.

فتتعلق الصِّفة المفردة الظَّاهرة (طباقاً) انطلاقاً من المعاجم والتَّفسير، لتتطلَّ غيباً متمنِّعاً على الحقيقة الصَّراح، ومظهرًا إيمانياً يستمسك به الإنسان المسلم الَّذي لا يغيّر من عقيدته ما إذا كانت السَّمَاوَات السَّبْع الطَّباق كواكب سبعة، أو سماء تغطّي سماء منطبقة عليها أم غير ذلك، أم هي تساوي بين أغطية من حقائق مجهولة في عالم الفلك؛ بل يكفيه من العلم ما توصّلت إليه البحوث الفلكيّة من عظمة السَّماء الدُّنيا وسعتها تجاوزتها المعطيات القرآنيّة.

على هذا النحو التَّعجيب، أدّت الصِّفة المفردة "طباقاً" مهمّة إنجازيّة إيمانيّة، تماماً بما يتناسب والغرض من نزول السُّورة الكريمة، تقدّيساً وإجلالاً للخالق العظيم-سبحانه-، لتزيد المؤمنين تمجيداً له، وتبني لغيرهم سلالمة العروج إلى الهداية، بدءاً من نظرهم إلى السَّماء الدُّنيا التي لا عماد لها، ولا فطور فيها يُرى بالعين أو شقوق، وإن حاول المحاول إرجاع النّظر فيها متفحّصاً ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۚ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ سورة الملك: 03-04، فالنّظرة الأولى، ترجع البصر كليلاً لعدم وجود ما يחדش بناء السَّماء والنّظرة الثّانية تصيبه بالخساء والحسرة، فالسَّمَاوَات السَّبْع أكبر من أن يتعب ويرجع في كلّ مرّة، سياق نظميّ يزيد "طباقاً" قوّة وعمقا وغموضاً كونها تعلّقت بالسَّمَاوَات السَّبْع، وهنّ نكرات في هذه الآية العظيمة ﴿سَبْعَ سَمُوتٍ طِبَاقًا﴾ ليظللن آية مبهمة بالنّسبة للإنسان إلّا أن يشاء الله، وهذه المشيئة لا تشكّ فيها المقاربة، لذكرهما في كلّ من سورتي الملك ونوح-عليه السّلام-، وسواء أكان ذلك رؤية بصريّة أو قلبيّة!! والله أعلم.

وهنا يضع المبحث قلمه،، راجعاً إلى إيمانه كليلاً خاسئاً،، وقد فقد كلمات تساوي (طباقاً) أو تغطّي جزءاً من معانيها،، ولا رغبة له في البحث عن شدّتها وهي التي قال فيها البديع-جلّت صنعته-: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ سورة النّبا: 12، فهو يؤمن أنّ الصِّفة "شداد" لا تؤخذ إلّا

في سياقها الجمعيّ (سبعاً) وهو لا يبتغي عمليّة انتحاريّة تهدف إلى المقاربة من أجل المقاربة، ولكن ينتظر أخرى فدائيّة في سبيل فهم التّعجيب المستتر أكثر في كتاب الله-تعالى-!!.

ذات البروج (سورة البروج: 01)

يقول-سبحانه-: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْوَعْدِ ۝٢ وَ شَهِدَ وَ مَشْهُودٍ ۝٣ أَقْتِلْ أَصْحَبُ
الْأَحْدُودِ﴾ سورة البروج: 01-04.

تعزى الصِّفة المضافة (البروج) إلى « (برج): الباء والرَّاء والجيم أصلان: أحدهما: البروز والظهور، والآخر: الوَزْرُ والملجأ، فمن الأول: الْبَرْجُ، وهو: سعة العين في شدة سواد سوادهما وشدة بياض بياضهما، ومنه التَّبَرَجُ، وهو إظهار المرأة محاسنها. والأصل الثاني: الْبُرْجُ: واحد بروج السماء، وأصل البروج الحصون والقصور (..) ويقال: ثوب مُبَرَّج إذا كان عليه صُور البروج»¹ والأصلان يوردهما (الجوهرى)، لأنَّ « بُرج الحصن: ركنه، والجمع بروج وأبراج (..) وامرأة بَرْجَاء بيَّنة الْبَرْجِ، ومنه قيل: ثوب مُبَرَّج للمعِين من الخُلل»²؛ يضاف إلى هذه المعاني دلالة الْبَرْجِ على « الجميل الحسن الوجه، أو المضيء البين المعلوم (..)»، وَبَرْجٍ: اتَّسع أمره في الأكل والشرب (..) والْبَارِجَة: سفينة كبيرة للقتال..»³.

بهذا تلتفت المعاجم اللغوية حول دلالات البروز، جمالا وضخامة أو قوة ليكون المعنى المحوري « هو بروز ناصع قوي من بين ما يكتنفه الشيء..»⁴، في حين تتاط دلالة "البروج" في كتب علوم القرآن بالقصور المعروفة في الارض تارة أو ما شابهها رفعة مما يُتَخَيَّلُ عند تأمل السماء، مع ما تدلّ عليه من الحسن، من تلك التعريفات: « البروج: القصور: الواحد بُرج، وبه سمّي بروج النجوم لمنازلها المختصة بها (..) يصحّ أن يراد بها بروج الأرض وإن يراد بها برج النجم، ويكون استعمال

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، ج: 01، ص: 238.

² - الجوهرى: تاج اللغة وصحاح العربية، ص: 82.

³ - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص: 91.

⁴ - محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن، ص: 101.

لفظ المشيئة فيها على سبيل الاستعارة، وتكون الإشارة بالمعنى..»¹ وعند (الدامغاني) وجه من «
البرج يعني النجم(..) والثاني: البروج يعني القصور العالية»² أما بصيرة (الفيروز آبادي) فيه،
فوصلت إلى أنه «
القصر وجمعه بروج، وقد جاء في القرآن على وجوع ثلاثة: الأول: على مدار
الكواكب ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ و ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ وَ لَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ
بُرُوجًا والثاني: بمعنى القصور: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ أي قصور محكمة مطولة قيل:
ويجوز أن يراد بها بروج في الأرض وأن يراد بروج السماء، ويكون استعمال لفظ المشيئة فيها على
سبيل الاستعارة»³، ويلتقي العالمان الأخيران في احتمالهما إطلاق البروج المشيئة على بروج السماء
من باب الاستعارة، غير أن اسم المفعول فيها لا يختص بإحكام مباني الأرض، ففي السماء بناء
بيد الصنعة المبدعة التي لا مثل لإبداعها: ﴿وَالسَّمَاءِ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ سورة
الذاريات: 47، وبروج السماء حقيقة من حقيقة الباني والبناء المنتمية إليه، غير أن التسليم بوجود
الاستعارة يذهب بمعنى الآية مذهب المجاز، وكذلك بالصفة "ذات البروج" مما يجعل أسلوب القسم
حكمًا، حيث لا يقسم-سبحانه- بمجاز!!-والله أعلم-.

لقد تصدّرت السماء بوصفها (ذات البروج) مطلع السّورة، وهي مكيّة من حيث نزولها، تنزلت منها
منزلة المقسم به، والصفة المضافة إلى "ذات" هي "البروج" ارتبط ذكرها في القرآن الحكيم بالسماء
ثلاث(03) مرّات، ووردت في سياق الدّلالة على ما يظنّ بعد الارتفاع إلى حدّ عدم بلوغ الموت إيّاه
مرّة واحدة(01)، كما ذكر لها الوحي الشّريف ثلاث(03) مشتقّات أخرى في موضعين منفصلين
وجميعها يحصيها الجدول الآتي:

¹ - الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، ص: 84.

² - الدامغاني: الأشباه والنظائر، ص: 66.

³ - الفيروز آبادي، بصائر ص: 52.

الجدول رقم (35): مواضع مادّة (برج) في القرآن الكريم.

الرقم	السورة والآية	الرقم	السورة والآية
01	النساء: 78	04	النور: 60
02	الحجر: 16	05	الأحزاب: 33
03	الفرقان: 61	06	

الجدول رقم (36): سياقات (برج) في القرآن الكريم

الرقم	السياق	التكرار
01	زينة النساء	03
02	زينة السماء	03
03	قصور الأرض	01

يظهر من الجدول-أعلاه- أنّه لم يوصف بـ "البروج" غير السماء في القرآن الكريم، فالجمال والعلوّ مجتمعان في السماء (ذات البروج) على خلاف افتراقهما في كلّ من النساء اللّائي يتبرّجن بزینتهنّ سواء أكنّ عوالیّ في أقوامهنّ غير ذلك، وطويلات أم قصيرات، والبروج المشیدة قد تكون ذات جمال أو هي سجون عالية لا يشترط فيها تمام الحسن ؛ و عليه فإنّ الصّفة (ذات البروج) جماعة للمعنیّین - والله أعلم -وبما أنّ الكلمتين الأكثر تداولاً في سياقات الشّروح المعجمية هما (البروز) و (القصور)، وجب اقتفاء آثارهما الدّلالیّة في القرآن الكريم، كلّاً على حدة؛ فالأولى: (برز) من « البناء والرّاء والرّای: أصل واحد وهو ظهور الشّیء وبُذوه، قياس لا یُخلّق، يقال: برز الشّیء فهو بارز، وكذلك انفراد الشّیء من أمثاله، نحو تبارز الفارسیین، وذلك أنّ كلّ

واحد منهما ينفرد عن جماعته إلى صاحبه، والبَرَّازُ: المتَّسع من الأرض لأنَّه بادٍ (..) ويقال: امرأة بَرَزَتْ أي جليلة (..) المبروز: الظَّاهر (..) وقال جماعة: المبروز: المنشور»¹ وقد ذكر الوحي الشريف مشتقَّات (برز) سبع (07) مرَّات مدرجة في الجدول الآتي:

جدول رقم (37): مواضع مادَّة (برز) في القرآن الكريم.

الرَّقم	السُّورة والآية	الرَّقم	السُّورة والآية
01	البقرة: 250	05	الكهف: 47
02	النِّساء: 81	06	الشُّعراء: 91
03	إبراهيم: 21	07	النَّازعات: 36
04	48://		

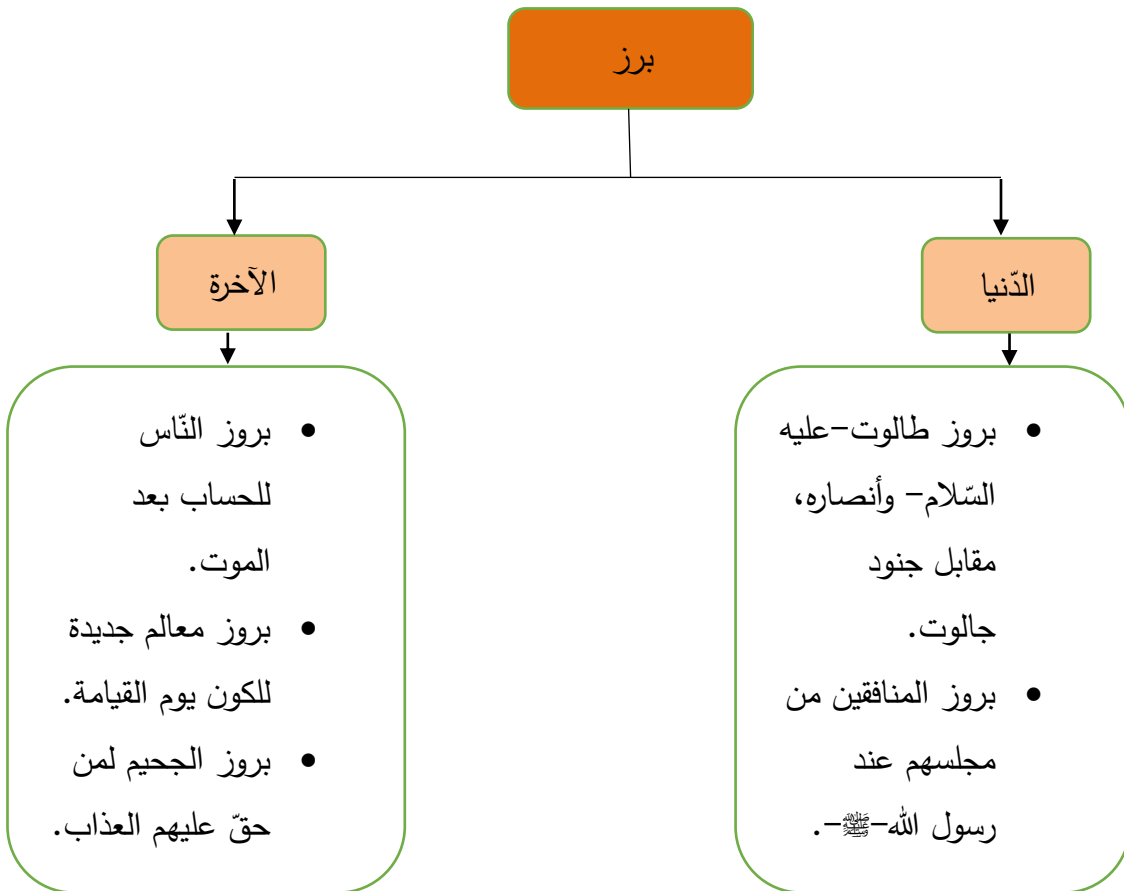
الجدول رقم (38) : سياقات (برز) في القرآن الكريم

الرَّقم	السِّيَاق	التَّكرار
01	بروز النَّاس لبعضهم بعضا	02
02	بروز النَّاس لله يوم القيامة	02
03	بروز الجحيم لأهلها يوم القيامة	02
04	بروز الأرض يوم البعث	01

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللُّغة، ج: 01، ص: 218.

تبرز من الجدول سبع (07) تكرارات للأصل (برز) في سياقات يتصدّرها المتعلّق ببروز النَّاس لبعضهم فِرَقاً لبعضهم البعض في الدُّنيا أو لله - ﷻ - يوم القيامة بتكرارين اثنتين (02) لكلّ منهما بنسبة (28,57%) و مثلهما بروز الجحيم لأهلها يومئذ ليبقى حضور واحد (01) له في سياق بروز الأرض للنَّاس يوم البعث بنسبة (14,28%) لتكون غلبة حضوره في تصوير أهوال القيامة أكثر منها في رسم معالم مظاهر الحياة الدُّنيا - كما تبيّنه الخطاطة الآتية :

الشكل رقم (02): مخطّط لأبرز دلالات مادة (برز) في القرآن الكريم



وعليه، فليس ضمن الاستعمال القرآني لـ (برز) ما يوحي بالجمال ولا الآيات الباهرة الباعثة على ترسيخ الإيمان، بل كلّ ما تنوّع به أنقال ابتلاء (أنصار طالوت-عليه السّلام-) وعظيم نفاق (من المشركين والكفّار لرسول الله-ﷺ-)، وأهوال القيامة البادية على النَّاس (بكبير تلاوم بين

الكفّار يومئذ)، درس تغيير معالم الأكوان، فتبدّلت (الجبال والأرض والسّموات)، وجميع الآيات الكريمة تشير إلى أنّ البروز حالة طارئة في وضع خاصّ، فالحرب استثناء في أيام النّاس، والنّظّاهر بخلاف الباطن تصنّع مُكلّف، وكلّ مشاهد القيامة أحداث تطرأ على الخلق بما لم يعهده في دنياهم.

أمّا الكلمة الثّانية، المقترحة مرادفاً "للبروج" فهي (القصور) من مادّة « القاف والصاد والراء، أصلان صحيحان، أحدهما يدلّ على ألاّ يبلغ الشّيء مداه ونهايته، الآخر على الحبس والأصلان متقاربان، فالأوّل: القِصر: خلاف الطّول(..) والقِصرُ: قصر الصّلاة، وهو ألاّ يتمّ لأجل السّفر(..) والقُصيرى: أسفل الأضلاع(..) ويقال: قصّرت في الأمر تقصيرا إذا توانيت، وقصّرت عنه قصورا: عجزت(..) والأصل الآخر(..) القصر الحبس، يقال: قصّرتُه إذا حبسته(..) قال الله- تعالى:- «حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ»(..) والمَقَاصِر: جمع مقصورة، وكلّ ناحية من الدّار الكبيرة إذا أحيط عليها فهي مقصورة..¹ ولا غزو أن تحظى هذه التّخريجات بالتّصديق، كونها مستمدّة من عديد السّياقات القرآنيّة، ممّا يشهد به الجدول أدناه:

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللّغة، ج: 05، ص: 96-98-بتصرّف.-

الجدول رقم (39): مواضع (قصر) في القرآن الكريم.

الرقم	السورة والآية	الرقم	السورة والآية
01	النساء: 101	07	ص: 52
02	الأعراف: 74	08	الفتح: 27
03	202://	09	الرحمن: 56
04	الحج: 45	10	72://
05	الفرقان: 10	11	المرسلات: 32
06	الصافات: 48		

الجدول رقم (40) : سياقات (قصر) في القرآن الكريم

الرقم	السياق	التكرار
01	للخفض و التقليل في أشياء مختلفة	07
02	للبناء العالي	04

مع عدم وجود صفة من الأصل (قصر) في القرآن العظيم، فقد تجاذبه سياقان اثنان : الأول منوط بالخفض والقلّة في أشياء مختلفة والثاني : منوط بالبناء العالي، ومادام (قصر) يحتمل القلّة و الصّعة فقد تعالت السّماء (ذات البروج) عن احتماله مرادفا لصفته، بهذه الخطوة الإحصائية يتأكّد ما رآه (أحمد ابن فارس) في معاني (قصر)، ما أن تتبادل الدّلالة مع (برج) فمسألة فيها نظر وتفصيل فيما ذكر من السياقات القرآنيّة التي تضمّنته، حيث تعلّقت بحكم من أحكام الفرائض(قصر الصلاة) مرّة وبالمدى في الإضلال (الغواية) مرّة أخرى، كما دلّت على البناء الصّخم، ولكنّه ذو

اتّساع محدود (القَصْر)، ولئن وردت الصّفة (قاصرات) للحوَر فإنّها مفتقرة إلى العظمة والعلوّ التي تلزم (بروج) السّماء، وهو ما يحيط الصّفة (ذات البروج) بخاصيّة التّفرد بمعان لا تتوقّر لا في (برز) ولا (قصر) ويلغي فكرة التّرادف بينها، لأنّ إجراء عمليّة استبداليّة بين (ذات البروج) وذات القصور-مثلا- تبوء بالفساد الدّلالّي على مراد الوحي، وهو مبرّر اختلاف الأقوال في بروج السّماء، التي فسّرها (ابن كثير) بأنّها: « النّجوم العظام(..) وعن مجاهد أيضا: البروج التي فيها الحرس، وقال يحيى بن ربيع: البروج قصور في السّماء، وقال المنهال عمرو: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ سورة البروج: الخلق الحسن، واختار ابن جرير أنّها منازل الشّمس والقمر..»¹ لكنّ (الرّمخسريّ)-رحمه الله-يورد أنّها « البروج الاثنا عشر، وهي قصور السّماء على التّشبيه، وقيل: البروج النّجوم التي هي منازل القمر، وقيل: عظام الكواكب، سمّيت بروجا لظهورها، وقيل: أبواب السّماء»² فالتّشبيه وتعدّد ما دلّت عليه في نظره رأيان سبق إليهما، غير أنّ ما يلفت العناية هو ضبط عددها باثني عشر برجاً*، كذلك هو رأي (البقاعي)-رحمه الله- فيها، محدّدا أكثر قائلا: ﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ أي المنازل للكواكب السيّارة التي ركّبها الله-تعالى-(..) والمراد بها المنازل فيها اثنا عشر(..) شبّهت بالقصور لأنّها تنزلها السيّارة وتكون فيها الثّوابت وعظام الكواكب، سميت بروجا لظهورها، أو أبواب السّماء، فإنّ التّوازل تخرج منها، وأصل التّركيب للظهور»³ رؤية توفيقية

¹ - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج: 04، ص: 735.

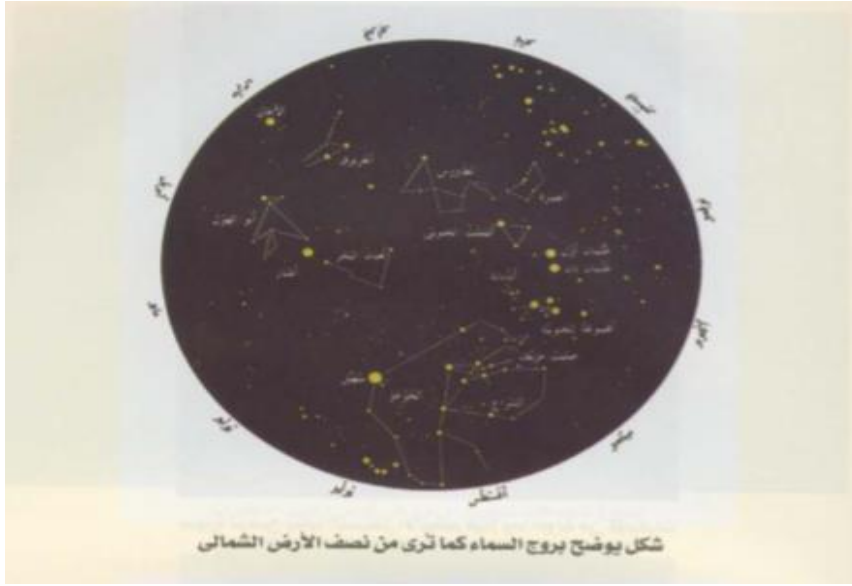
² - الرّمخسريّ: تفسير الكشاف، ص: 1192؛ ووجهة النّظر ذاتها عند أبي حيّان الأندلسيّ، فضلا، ينظر: البحر المحيط، ج: 08، ص: 443.

*أسمائها كالآتي: الحمل - الثّور - الجوزاء - السرطان - الأسد - السّنبله(العذراء) - الميزان - العقرب - القوس - الجدي - الدّلو - الحوت.

³ - البقاعي: نظم الدّرر، ج: 30، ص: 354.

هي تحضر أيضا في تفسير (البضاوي) ** الذي ذكر كلمة (بروج) دون مساواة بينها وبين منازل الكواكب والنجوم، وكأن الصفة المضافة (ذات البروج) تعني جزئية تعرف بالسماء الدنيا من زاوية فلكية، أخذت على سبيل التتجيم الذي أقحمت بعض آرائه زمن المفسرين الأوائل.

الصورة رقم (03) : توضح بروج السماء كما ترى من نصف الأرض الشمالي.



ولما كان البحث في الدلالة يتطلب تطورها في دلالة الكلمة، فقد ساهمت الاكتشافات العلمية المعاصرة في تلمس ملامح ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ سورة البروج: ١، ومن نتائج القول كون « البروج تجمعات للنجوم البعيدة تصوورها الناس منذ القدم على هيئة أشكال معينة وأعطوها أسماء محددة(..) حقيقة هذه التجمعات النجمية (constellations) (البروج) أنها مساحات محددة من السماء الدنيا، يحوي كل منها في كل فترة زمنية محددة أعدادا من النجوم تبدو متقاربة مع بعضها

** ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر ابن محمد الشيرازي البضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، إعداد محمد عبد الرحمن المرعشلي دار إحياء التراث العربي، ط: 01 ج: 05، ص: 300.

البعض، رغم المسافات الشاسعة التي تفصلها..¹، ممّا يطعن في كون (البروج) اثني عشر برجاً فقط، فهي-ولا شك- أكثر، بمجرد الإيمان بوجود تلك التجمّعات النجميّة، مع إمكانية القول بأنّ أوضح ما وصلت إليه المعرفة الإنسانيّة هو ذاك-والله أعلم-

عُوداً على بدء، ولأنّ السّماء بنجومها مظهر للجمال العلويّ، فهي ببروجها ذات النّجوم على أشكال مختلفة مظهر أدعى للتّوحيد والتّسبيح، تحيل به الكون مسجداً تغرقه "البروج" الكثيرة، والتي يزداد ابن آدم معرفة بها-عن طريق البحوث العلميّة-جيلاً بعد جيل، فتغدو معرفة السّابق أقلّ تعريفاً ممّا يعرفه اللاحق، وهكذا تتجلّى بعض مقاصد التّعريف بـ "ال" في الصّفة "ذات البروج"؛ وتظلّ كناية علميّة لا قانون يحصرها إلّا في حدود زمنه، جمالا في بنائها ونجومها، وعظيم آياتها، ممّا أهلها لأنّ يقسم بها الله-سبحانه- في مطلع السّورة المكيّة «تسليّة لقلوب المؤمنين وتثبيتاً لهم على اذى الكافرين(..) وكانوا قد عذبوا المؤمنين(..) وبالغوا في التّضييق عليهم حتّى الجؤوهم إلى شعب أبي طالب وغيره من البروج في البلاد..² لتبقى تسليّة لكلّ المؤمنين في كلّ الأزمان في معركة الحقّ مع الباطل، وتبقى السّماء الواسعة "ذات البروج" توسعة لصدورهم الممكن أن تضيق بواقع الاذى، فترتفع أرواحهم وتعلو هممهم، وتجلّ عطاياهم للإنسانيّة، فيعلموا مقدار صغر الجبارة الكافرين يوم البعث والجزاء مقابل الجمال الباهر والعظمة المبنية بيد الله-تعالى- فيهون الألم و تقوى العزائم «لَخَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» سورة غافر: 57.

ومن ثمّ تغدو «ذات» اسم إشارة إلى شيء من "السّماء" وهو (البروج)، يظهر مظهر الدّليل الصّغير-وما اعظمه دليلاً- على الحقيقة الكبرى المشاهدة، في سبيل الوصول إلى ما هو أكبر،

¹ - زغلول النّجار: السّماء في القرآن الكريم، ص: 329-330-بتصرّف.-

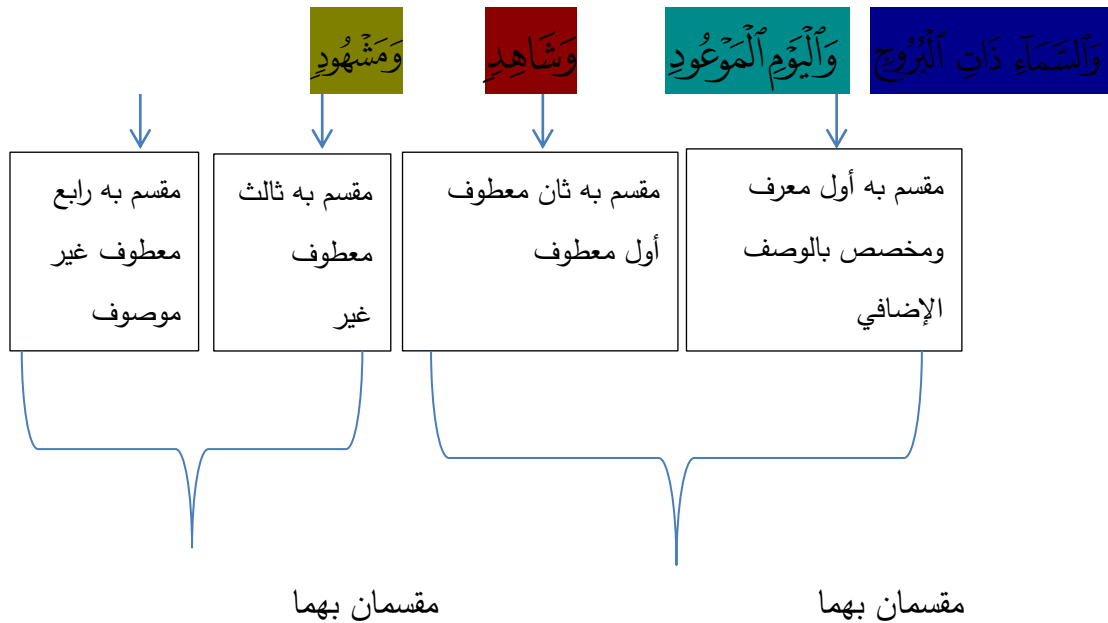
² - البقاعي: نظم الدّرر، ج: 30، ص: 353.

وما تبع الآية يفضي إلى هذا، حيث يقول الحقّ-جلّ جلاله-: «وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ ۚ وَ شَاهِدٌ وَ مَشْهُودٌ» سورة البروج: 2-3، فتجتمع ثلاث (03) مقسمات بها أعقبت القسم بالسّماء الموصوفة أنّها ﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ، وكأنّ من السّماوات ما لا بروج فيه-والله أعلم-.

وفي سياق العظام عند الله-سبحانه- تتعزّر تلك العظمة في بروج السّماء، إذ وردت أولاً وتلتها البقيّة ترتيباً، وهي: اليوم الموعود، يوم القيامة، والشّاهد: الخلاق، والمشهود: الحساب*؛ وليس يفوت الأسلوب المعجب للقرآن الكريم أن يبني أبراج العظمة الأسلوبية حين يرتّب المقسمات بها على نحو تنازليّ، من الأعلى إلى الأسفل فيكون وفق الخطاطة الآتي:

* هذه التّخريجات الأكثر تردّداً في كتب التّفسير، ومنها ما ورد عند: الفراء: معاني القرآن، ج: 03، ص: 252، أبي حيّان الأندلسي: البحر المحيط، ج: 08، ص: 443، الرّمخشري: الكشاف، ص: 1191، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج: 10 ج: 196، ص: 171.

الخطاطة رقم (05) : الأبعاد الدلالية للصفة (ذات البروج) في القرآن الكريم



رقعة الشهادة بطرفيها

فيها رقعة السماء ببروجها و اليوم الآخر بأهواله

قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ

النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ

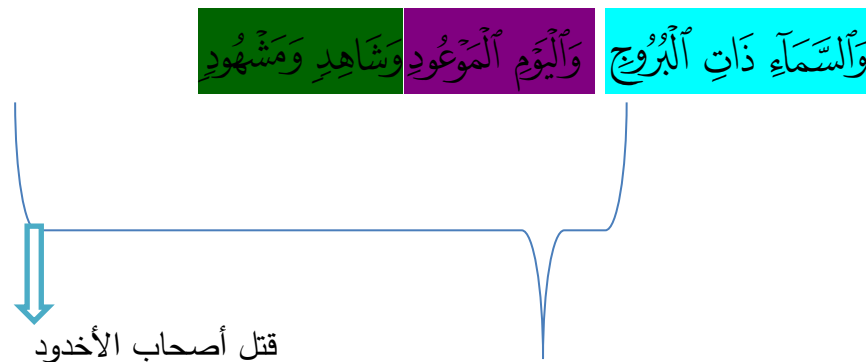
أخاديد الأرض العميقة عمق دركات النار السفلى.

السَّماءُ الَّتِي نَزَلَ مِنْهَا الْوَحْيُ بَيِّقِينَ الْحَيَاةَ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَهَنَّاكَ لَنْ تَكُونَ السَّمَاوَاتُ الْمَعْهُودَةُ وَلَا الْأَرْضُ الْمَأْلُوفَةُ، فَيَوْمَ الْوَعْدِ بِالحِسَابِ وَالْجَزَاءِ لَهُ مَعْطِيَاتُ أُخْرَوِيَّةٍ يَشْهَدُهَا الْخَلَائِقُ صَدَّقُوا بِوُجُودِهَا أَوْ كَذَّبُوا، وَالْحِسَابُ وَاقِعٌ، لِيَفْرَحَ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَئِذٍ بِنَصْرِ اللَّهِ-تَعَالَى-، فَتَسْلُو نَفُوسَهُمْ، وَتَطْيِبُ جِرَاحَهُمْ، إِذْ يَرُونَ رَأْيَ الْعَيْنِ عَاقِبَةً مِنْ تَجَبَّرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَتَأَلَّوْا عَلَى الْعَظِيمِ-سُبْحَانَهُ- ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ سورة البروج: 04؛ هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ الْأَوَّلِ الَّذِي صَدَرَتْ فِيهِ الصِّفَةُ الْمَفْرَدَةُ الْمُضَافَةُ إِلَى (البروج)، وَقَدْ عَطَفَتْ عَلَيْهَا الْبَقِيَّةُ لِمُتَنَاسِبِ الْعِبْرَةِ مِنَ التَّارِيخِ فَ « هَذَا خَبَرٌ عَنْ قَوْمٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَمَدُوا إِلَى مَنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ-عَزَّ وَجَلَّ- فَكَهَرُوهُمْ وَأَرَادُوهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا عَنْ

دينهم فأبوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أخدودًا، وأَجَّجُوا فِيهِ نَارًا وَاعَدُوا لَهَا وَقُودًا يَسْعَوْنَهَا بِهِ، ثُمَّ أَرَادُوهُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ فَقَذَفُوهُمْ فِيهَا»¹ وَلَئِنْ ظَلَّتْ الْحَادِثَةُ بَارِزَةً فِي الْقِصَصِ الْقُرْآنِيِّ، فَإِنَّمَا تَكُونُ قَدْ شَقَّتْ لِلظَّالِمِينَ أَخْدُودَهُمْ فِي الْمَنْزِلَةِ، وَبُنَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَرْوَجًا عَالِيَةً، جَمِيلَةً فِي ضَرْبِ مِثَالِ شَجِّ الْمَرْءِ الْمُؤْمِنِ بِدِينِهِ...

وعلى نسق التَّرْقِي، تتعالى الأبعاد الدَّلَالِيَّةُ لِلصِّفَةِ الْمَفْرَدَةِ الْمُضَافَةِ "ذَاتِ الْبَرْوَجِ" تَحْبُكُ أَسْبَابَ التَّعْجِيبِ وَأَسَالِيبَ التَّعْظِيمِ لِلخَالِقِ وَقَدْ شَهِدَتْ الْقُلُوبُ الصَّارِعَةُ حَصُونَهَا فِي الصَّبْرِ وَالتَّصَبُّرِ مُحْتَمِيَةً بِأَبْرَاجِ الْعِبَادِيَّةِ وَالْإِخْبَاتِ، فَلَا يَرْتَدُّ إِلَى لَعْنَةِ الْأَخْدُودِ غَيْرِ الظَّالِمِينَ، وَلَيْسَ يعلو مدارجِ الْبَرْوَجِ إِلَّا الثَّابِتُونَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ؛ وَيَأْخُذُ الْجَزَاءَ مِنْحَى التَّدْنِيِّ بِالْمُجْرِمِينَ، لِيُظَلَّ الْمُؤْمِنُونَ فِي بَرْوَجِهِمْ مَعَ الْعَلِيِّينَ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ-

خطاطة رقم (06) : تدرج الدلالات في الآيات المتعلقة بها ذات البروج:



لَقَدْ تَنَاسَبَتْ عَظَمَةُ السَّمَاءِ الَّتِي يَتَقَاصِرُ عَنْهَا الْوَصْفُ إِنْ حَاوَلَ الْإِلْمَامُ بِكُلِّ مَا خُلِقَ فِيهَا اللَّهُ-سُبْحَانَهُ- مِنْ عَظَمَةِ الْإِشَارَةِ إِلَى صِفَةِ جَزَائِيَّةٍ، وَالْبَعْضُ إِمَامُ الْكَلِّ، مَعَ عَظَمَةِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَنْ يَشْهَدُهُ مِنَ النَّاسِ وَبَيْنَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ «نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ» سُورَةُ التَّحْرِيمِ: 08، فَرَحِينُ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، جَنَّتْ فِيهَا مَا لَاعَيْنَ رَأَتْ وَلَا أَدْنَى سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ

¹ - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مج: 06، ص: 389.

بشر، يقابلهم أصحاب شمال لطالما كذبوا بهذا اليوم وتعاضموا على أصحاب الحق، ولو لم يكن إلا اللغة والعذاب جزاءهم لكفى، فكيف وقد عظمت عقوبتهم إلى حدّ بقائهم شماتة في الدنيا ونكاية في الآخرة!!.

إنّ الآية الكريمة المتوّجة بالقسم بالسماء "ذات الرّجع" زينة و "رفعة" وحصانة وعظمة ووضوحاً، لا تفتأ تصعد بالمتلقّي سلالم الإيمان المنعقد في القلب انعقاد قوّة أسلوب القسم الذي « لا يكون إلاّ بشيء ثابت الوقوع(..) يوجّه إلى تطلّب بيانه، ومناسبة القسم لما أقسم عليه أنّ المُقسم عليه تضمّن العبرة بقصّة أصحاب الأخدود، ولمّا كانت الأخاديد خطوطاً مجهولة في الأرض مستعرة بالنّار أقسم على ما تضمّن بالسماء بقيد صفة من صفاتها التي يلوح فيها للنّاظرين في نجومها سمّاه العرب بروجاً»¹، ثمّ يكتشف في العصر الحاليّ تجمّعات نجميّة يمكن الوصل بين نجومها هذه لترسم أشكالاً بمحدوديّة خيال الإنسان أطلق عليها الكلمة القرآنيّة الفريدة "بروجاً"، فتؤدّي به إلى تسلّق مدارج العلم في الأفلاك على درب الحثّ الإلهي. «يُمَعِّشُ الْجَنِّ وَالْإِنْسَانَ اسْتَطَعْتُمْ أَنْتَفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ فَأَنْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنٍ» سورة الرّحمن: 33.

وعند هذه الدّرجة من السّلم المشار إليه في عالم السّماء بوصفها «ذات الرّجع» يقف البحث، وقد جزم بعدم القدرة على مواصلة الصّعود في "البروج" غير المنتهية ولا المعروف عددها أو مساحتها، ولكنّه أدرك -وحسبه من الجهد ذاك- شيئاً من عظمة الكلمة القرآنيّة حين تجمع أكثر من دلالة وتختصّ بكلّ الدّلالات في الآن ذاته...-والله أعلم-.

¹ - الطّاهر بن عاشور: التّحرير والتّوير، ج: 30، ص: 237.

الفصل الثّاني: الصّفات المفردة الظّاهرة للشّهب والنّجوم

المبحث الأوّل: صفات الشّهب:

أ. مبيّن

ب. رصد

ج. ثاقب

المبحث الثّاني: الصّفتان المفردتان الظّاهرتان للنّجم:

أ. الثّاقب

ب. الجوار الكنّس.

المبحث الأول: الصفات المفردة الظاهرة للشهب والنجوم في القرآن الكريم:

أ. مبين.

ب. رصد.

ج. ثاقب.

توطئة:

من صفات السماء والسموات، حيث أذعنت المقاربة أنّها أكبر من ان تحدّدها مفردات عربيّة غير كلمات الوصف القرآنيّ، إلى هذا المبحث أين تتعلّق ببعض مصابيح السماء الدّنيا التي وردت صفاتها إلى جانب صفات بعض نيراتّها، وقد وُسمَ بعنوان صفات الشّهب والنّجوم ونيرات الحساب، ضامًا بين صفحاته الموصوفات: شهاب، النّجم، الشّمس والقمر، رغم تصنيف الشّهب ضمن مجموعة النّجوم في عرف علم الفلك، وكذلك الشّمس، إلّا أنّ المقاربة ارتأت جعلها النّيرات مع القمر في جزئيّة منفصلة عن النّجم الذي وردت صفته دالّة على مرحلة عمريّة من مراحل حياة الشّهاب، احترامًا للكلمة القرآنيّة المميّزة بين كلّ منهما، مقابل ذكرها الصّريح مع القمر في قوله - تعالى-: «وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ» سورة القيامة: 09، ثمّ لغلبة ذكرهما في سياق دالّ على الحساب والزّمن ثمّ كونهما آية من آيات الصّوء والنّور، ممّا سيُعرض له في المبحث المنوط بهما-بإذن الله-

أ- الصّفات المفردة الظّاهرة للشّهب في القرآن الكريم.

بين قلائد الزّينة السّماويّة، تقع عين المقاربة على الشّهب، وفي اتّباع سنّة المقاربة لا بدّ من البدء بتعريف الشّهاب، (شهاب) من (شهب): « الشّين والهاء والباء أصل واحد يدلّ على بياض في شيء من سواد، لا تكون "الشّهبه" خالصة بياضا، من ذلك "الشّهبه" في الفرس، هو بياض يخالطه سواد(..) ويقال: "اشهاب" الزّرع إذا هاج، وبقي في خلاله شيء أخضر، ومن الباب: "الشّهاب" وهو: شعلة نار ساطعة، وإنّ فلانا لـ "شهاب" حرب، وذلك إذا كان معروفا فيها مشهورا كشهرة الكواكب اللّوامع، ويقال: إنّ النّصل الأشهب الذي قد بُرد بُردًا خفيفا حتّى يذهب سواده»¹، فعدم الخلوص في اللّون يلاحظ أيضا في النّار المشتعلة، ولكنّها ليست شهابا تاما، وإلّا ماكانت بدل

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللّغة، ج: 03، ص: 220.

جزء من كلٍّ -على ما تذهب إليه المقاربة من ترجيح العلاقة البدليّة أحيانا مادامت الإرادة الإلهيّة لا يمنعها مانع من إيراد الصّفة الصّريحة "مقبوس" على نحو ورد في "مبين" و "رصدا" دون شراكة البذل أو علاقة الإضافيّة ممّا أورده السّادة العلماء -** في قوله-سبحانه- حكاية على لسان كليمة موسى-عليه السّلام-: «إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ بِشَهَابٍ قَبَسَ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ» سورة النمل: 07، ولأنّ الشّهاب الحقيقي لا يؤتى به محمولا بيد إنسان وهو مشتعل إلّا أن يكون من باب الآيات المؤيّدّة للأنبياء وهو ما لم يرد فيه نصّ كما أنّ "فلانا شهاب حرب" يطلق أيضا على الرّجل «إذا كان ماضيا فيها»¹ -أي في الحرب- لما يمتاز به من مضاء العزيمة في القصد لا مجرّد الشّهرة، وهو المعنى الذي يؤكّد (الفيروز آبادي): «شعلة من نار ساطعة، والماضي في الامر»².

أمّا عند الفلكيّين فـ "الشّهاب" (meteors): «ظاهرة تنتج في الغلاف الجوّي للأرض عندما تصطدم كتلة من الكتل الآتية من الفضاء بهذا الغلاف، لأنّها تبدو للرّائي على سطح الأرض، وكأنّها تهوي نحوه، لهذا سمّيت بالنّجوم الهاوية، ولكنّ الشهب ليست نجوما بالطّبع، وإذا تمكّن الشّهاب من البقاء بعد مروره بهذه التّجربة المدمّرة، وصل إلى سطح الأرض محترقا على شكل كتلة واضحة المعالم سمّي بعد ذلك نيزكا»³، ولعلّ هويّها بسرعة كبيرة إلى الأرض وهي مضيئة كأنّها يراد لها هدف معيّن، يمثّل تقاطعا بين التعريفين اللّغويّ والاصطلاحيّ وتتمثّل في كونها أجراما سماويّة مثل النيازك «يمكننا مشاهدتها وهي تنزلق من مكانها بشكل سهم سريع ومضيء

** - ينظر فضلا: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج: 07 ج: 13 ، ص: 99 .

¹ - الجوهري: تاج اللّغة وصحاح العربيّة، ص: 567.

² - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص: 713.

³ - أنور عبد الغني: الجغرافيا الفلكيّة، دار مريخ للنشر، ط: 01، 1983، الرياض - المملكة العربيّة السعوديّة، ص: 92-بتصرّف-.

تلمع في الفضاء لبضعة ثوان ثم تختفي(..) إذا هي أجرام سماوية صغيرة تحترق وتتفتت خلال اختراقها للغلاف الجوي للأرض بسرعة 25 كم/ثا، ويمكن رؤيتها مضيئة على ارتفاع 150 كلم فوق سطح الأرض»¹.

وعليه، فإنَّ شهبه (شهاب) (مبين) أو (ثاقب) تدلّ على ضوء جسم سماويّ سريع الحركة، محدّد الهدف الذي يجب عليه الوصول إليه، ذي لون فيه بياض يخالطه سواد الشهاب وقد ورد ذكرها موصوفة ثلاث مرّات (03)* في كتاب الله-عزّ وجلّ- كما يبيّنه الجدول أدناه:

الجدول رقم(41): مواضع ذكر (شهاب) وصفتها في القرآن الكريم.

الرقم	الآية والسورة	موصوف	غير موصوف
01	الحجر: 18	+	
02	النمل: 08		-
03	الصّافات: 10	+	
04	الجنّ: 09	+	

وإلى الصّفة الأولى لـ(شهاب) في القرآن الحكيم يقترب البحث-وعلى الله حسن التّوكل-.

¹- ماهر أحمد الصّوفي: الموسوعة الكونية الكبرى، مج: 01، ج: 02، ص: 150.
* فيها كلمة "شهاب" دون وصف هي المذكورة في سورة النّمل، الآية: 07، والجنّ، الآية: 08.

مبين

تعزى الصفة المفردة الظاهرة (مبين) إلى مادة (بين) حيث « الباء والياء والتون أصل واحد، وهو بُعْدُ الشَّيْءِ وانكشافه، "فَالْبَيِّنُ" الفراق، يقال: "بان" "يَبِينُ" "بَيِّنًا" و"بَيُّونَةٌ" (..) و"بان" الشَّيْءُ، و"أَبَان" إذا اتَّضح وانكشف، وفلان "أَبِينُ" من فلان أي: أوضح كلاماً منه»¹.

فالإبانة توضح معنى وتكشفه، ولكنها ليست هذا فقط، لأن « "البَيِّنُ": الفراق (..) و"البَيِّنُ": الوصل وهو من الأضداد (..) و "البَيِّنُ": الفصل والمزية (..) و "البَيِّنُ": الفصاحة واللَّسَن (..) وكذلك: "أَبَان" الشَّيْءِ فهو "مُبين" (..) والمباينة: المفارقة، و"تباين" القوم: تهاجروا وتباعدا (..) و "البائنة": البئر البعيدة القعر الواسعة (..)»² اتساع « البَيِّنُ: النَّاحِيَةُ، والفصل بين الأرضين، وارتفاع في غلظ، وَقَدْرُ مَدِّ البصر، (..) وبانت المرأة عن الرَّجُل، فهي بائن: انفصلت عنه بطلاق، و"التَّباين" مصدر شاذٌّ، وضربه "قَابَان" رأسه فهو "مُبينٌ" و "مُبينٌ"»³، فالبيان إحداث التمايز بين متفاضلين، وإظهار كلٍّ منهما على حدة، ويذهب صاحب (المفردات) إلى جعل "البيان" أصلاً لمعنيين كبيرين، يكون « أحدهما بالتَّجْزِيز، وهو الأشياء التي تدلّ على حال من الأحوال من آثار صنعه والثاني بالاختبار، وذلك إما أن يكون نطقاً أو كتابةً أو إشارة، فمما هو بيان بالحال: «وَلَا يَصُدَّنْكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ» سورة الرِّخْف: 62، أي كونه عدواً بيّناً في الحال، وما هو بيان بالاختبار: «فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٤٣ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، ج: 01، ص: 328-329-بتصرّف.

² - الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، ص: 120..

* لا ترى المقاربة صحة هذا الحكم على المصدر "تبيان"، إذ الشاذّ يحفظ ولا يقاس عليه، وقد استعمله القرآن في قوله- سبحانه -: « وَيَوْمَنبَعُثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينُ الْكُلُوبِ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ » النحل: 89، وكلّ ما في القرآن حكّم، إيماناً أنّه كلّهُ لسان الميزان.

³ - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص: 1182.

لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» سورة النحل: 43-44 ¹، مذهب يؤيده ورود مادّة (بَيِّنَ)-وليس (بَيِّنَ) الظرفيّة- بنسبة كبيرة تبعا لعدد ما تعلّقت به في القرآن الكريم، وهو ما يحصيه الجدول الآتي.

الجدول رقم(42): مواضع (بَيِّنَ) في القرآن الكريم

الرقم	السورة والآية	الرقم	السورة والآية
01	البقرة: 68	17	البقرة: 209
02	البقرة: 69	18	البقرة: 211
03	البقرة: 70	19	البقرة: 213
04	البقرة: 87	20	البقرة: 219
05	البقرة: 92	21	البقرة: 221
06	البقرة: 99	22	البقرة: 230
07	البقرة: 109	23	البقرة: 243
08	البقرة: 118	24	البقرة: 253
09	البقرة: 159	25	البقرة: 253
10	البقرة: 159	26	البقرة: 256
11	البقرة: 160	27	البقرة: 259
12	البقرة: 168	28	البقرة: 266
13	البقرة: 185	29	آل عمران: 86
14	البقرة: 187	30	آل عمران: 97
15	البقرة: 187	31	آل عمران: 103
16	البقرة: 208	32	آل عمران: 105

¹ - الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص: 89.

المائدة:15	55	آل عمران:118	33
المائدة:15	56	آل عمران:138	34
المائدة: 19	57	آل عمران:164	35
المائدة:32	58	آل عمران:183	36
المائدة:75	59	آل عمران:184	37
المائدة:89	60	آل عمران:187	38
المائدة:92	61	النساء:19	39
المائدة:110	62	النساء:20	40
المائدة: 110	63	النساء : 26	41
الأنعام:07	64	النساء : 50	42
الأنعام:16	65	النساء:91	43
الأنعام:55	66	النساء:94	44
الأنعام:57	67	النساء:94	45
الأنعام:59	68	النساء:101	46
الأنعام:74	69	النساء:112	47
الأنعام:105	70	النساء:115	48
الأنعام:142	71	النساء:119	49
الأنعام:157	72	النساء:144	50
الأعراف:22	73	النساء:153	51
الأعراف:60	74	النساء:153	52
الأعراف:73	75	النساء:147	53
الأعراف:85	76	النساء:176	54

هود:28	99	الأعراف:101	77
هود:53	100	الأعراف:105	78
هود:63	101	الأعراف:107	79
هود:88	102	الأعراف:184	80
هود:96	103	الأنفال:06	81
يوسف:01	104	الأنفال:42	82
يوسف:05	105	الأنفال:42	83
يوسف:08	106	التوبة:43	84
يوسف:30	107	التوبة:70	85
إبراهيم:04	108	التوبة:113	86
إبراهيم:09	109	التوبة:114	87
إبراهيم:10	110	التوبة:115	88
إبراهيم:45	111	يونس:02	89
الحجر:01	112	يونس:13	90
الحجر:18	113	يونس:15	91
الحجر:79	114	يونس:61	92
الحجر:89	115	يونس:74	93
النحل:04	116	يونس:76	94
النحل:35	117	هود:06	95
النحل:44	118	هود:07	96
النحل:82	119	هود:17	97
النحل:89	120	هود:25	98

النور: 54	143	النحل: 92	121
النور: 58	144	النحل: 103	122
النور: 59	145	الإسراء: 53	123
النور: 61	146	الإسراء: 101	124
الشعراء: 02	147	الكهف: 15	125
الشعراء: 30	148	مريم: 35	126
الشعراء: 32	149	مريم: 73	127
الشعراء: 97	150	طه: 72	128
الشعراء: 115	151	طه: 133	129
الشعراء: 195	152	الأنبياء: 54	130
النمل: 01	153	الحج: 05	131
النمل: 13	154	الحج: 11	132
النمل: 16	155	الحج: 16	133
النمل: 21	156	الحج: 49	134
النمل: 75	157	الحج: 72	135
النمل: 79	158	المؤمنون: 45	136
القصص: 02	159	النور: 01	137
القصص: 15	160	النور: 12	138
القصص: 18	161	النور: 18	139
القصص: 36	162	النور: 25	140
القصص: 85	163	النور: 34	141
العنكبوت: 18	164	النور: 46	142

يس:60	187	العنكبوت:35	165
يس:69	188	العنكبوت:38	166
الصافات:15	189	العنكبوت:39	167
الصافات:106	190	العنكبوت:49	168
الصافات:113	191	العنكبوت:50	169
الصافات:117	192	الروم:09	170
الصافات:156	193	الروم:47	171
ص:70	194	لقمان:11	172
الزمر: 15	195	الأحزاب:30	173
الزمر:22	196	الأحزاب:36	174
غافر:22	197	الأحزاب:58	175
غافر:23	198	سبأ:03	176
غافر:28	199	سبأ:03	177
غافر:34	200	سبأ:14	178
غافر:50	201	سبأ:43	179
غافر:66	202	سبأ:43	180
غافر:83	203	فاطر:25	181
فصلت:53	204	فاطر:40	182
الزخرف:02	205	يس:12	183
الزخرف:15	206	يس:17	184
الزخرف:18	207	يس:24	185
الزخرف:29	208	يس:47	186

الذاريات: 51	232	الزخرف: 40	209
الطور: 38	233	الزخرف: 43	210
الرحمن: 04	234	الزخرف: 62	211
الحديد: 09	235	الدخان: 02	213
الحديد: 17	236	الدخان: 10	214
المجادلة: 05	237	الدخان: 13	215
المجادلة: 25	238	الدخان: 19	216
الصّف: 06	239	الدخان: 33	217
الصّف: 06	240	الجاثية: 17	218
الجمعة: 02	241	الجاثية: 25	219
التّغابن: 06	242	الأحقاف: 30	220
التّغابن: 12	243	الأحقاف: 07	221
الطلاق: 01	244	الأحقاف: 07	222
الطلاق: 11	245	الأحقاف: 09	223
الملك: 26	246	الأحقاف: 32	224
الملك: 29	247	محمد: 14	225
نوح: 02	248	محمد: 25	226
القيامة: 19	249	محمد: 32	227
التّكوير: 23	250	الفتح: 01	228
البينة: 01	251	الحجرات: 06	229
البينة: 04	252	الذاريات: 38	230
		الذاريات: 50	231

الجدول رقم (43): سياقات (مبين) في القرآن الكريم

الرقم	السياق	التكرار	الرقم	السياق	التكرار
01	الآية / السلطان / شيء / إمام	104	05	كتاب الغيب	07
02	الأحكام الشرعية	29	06	بقرة بني إسرائيل	04
03	القرآن - البلاغ - الكتاب - الحكمة - الهدى	26	07	الإثم	04
04	الضلال	20	08	صفات لإنسان (كفور - خصيم - ظالم لنفسه)	03
09	الخسران	03	18	المرأة المنشأة في الحلية	01
10	الفوز بالجنة	02	19	شهاب	01
11	التعبان	02	20	إفك	01
12	نذير	14	21	دخان	01
13	السحر	11	22	فضل	01
14	عداوة الشيطان	09	23	بلاء	01
15	التوبة الصادقة	02	24	عداوة الكافرين	01
16	الحق	02	25	الأفق	01
17	تبيان الهدى لأهل الكتاب	01	26	الفتح	01

الجدول رقم (44) : موصوفات (مبين) في القرآن الكريم

الترّكّات	الموصوف	الترّكّات	الترّكّات	الترّكّات
03	فاحشة	15	27	آية/سلطان/ شيء
03	الخسران	16	20	ضلال/مضلّ
02	ثعبان	17	12	نذير
02	الفوز	18	12	سحر
02	الحقّ	19	10	القرآن
02	خصيم	20	10	عدوّ
02	لسان عربيّ	21	07	البلاغ
02	رسول	22	06	كتاب الغيب
01	الفضل	23	04	إثم
01	دخان	24	01	شهاب
01	بلاء	25	01	إمام
01	الأفق	26	01	إفك
01	فتحا	27	01	غويّ
01	الكتاب	28	01	ظالم لنفسه
			01	كفور

يفصح الجدول عن اثنين و خمسين ومائتي (252)؟؟؟ موضعا شريفا لـ(بَيِّن) ومشتقاتها في الذكر الحكيم، منها ثمانية وثلاثون ومائة(138) صفة مفردة ظاهرة لموصوفات مختلفة، ما يربو عن نصف مجموع الكلمات المنتمية إلى (بَيِّن/بَوْن)، وفي هذا دليل على وظيفيّة الصّفة (مبين) في تقييد الموصوفات الكثيرة، حيث تصدّرها الموصوف (ضلال) بتكراره مقيّدا بها تسع عشرة(19) مرّة بنسبة (16.37%)، ثمّ ما يدرأ الضّلال، وهو (الكتاب المبين) باعتباره الوحي المنزل على رسول الله -ﷺ-، أو كتاب الغيب الذي ينبغي الإيمان به، بتكرار قدره اثنا عشرة (12 مرّة) ألحقت بها

صفة (المستبين) لتكتمل عدّة التكرار الثلاث عشرة (13) وتكون النسبة بذلك (11.20%) ثمّ الموصوف (سلطان) الذي وصف بها اثنتي عشرة (12) مرّة بنسبة (10.34%)، لتقوم الحجة البالغة لله-تعالى- للرسل الكرام، ولأنّها قد لا تنفع مع القاسية قلوبهم، وجب (النذير المبين)، وقد عاد هذا التركيب الوصفيّ على نبيّين فقط من الأنبياء-عليهم الصّلاة والسّلام- هما محمّد-ﷺ- عشر (10) مرّات، ونوح-عليه الصّلاة والسّلام- مرّتين (02) اثنتين، بمجموع اثنتي عشرة (12) مرّة، تقابلها نسبة (10.34%)، وفيها من موافقتها (سلطان مبين) ما يرخّص بالقول أنّ سلطان النّبيّين-عليهما السّلام- متناسب مع شدّة ما أنذرا به قومهما (كفّار قريش وقوم نوح-عليه السّلام-)، وبما أنّ أكثر ما وصف به الوحي من قبل الكافرين على مرّ العصور (تحديدا فرعون وقومه، وكفّار قريش) أنّه (سحر مبين) فقد تكرّر هذا الوصف تسع (09) مرّات ألحق بها الموصوف (ساحر) الذي عاد على رسول الله-ﷺ- حكاية عن الكفّار-وحاشاه أن يكون كذلك-، وقد ذكر مرّة واحدة (01) ليكون المجموع عشر (10) مرّات بنسبة (8.62%) يعادلها حضور الموصوف (عدوّ) تكرارًا ونسبة، إذ الكفر إمّا من وسوسة الشّيطان اللّعين أو النّاس الكافرين «مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ» سورة النّاس: 07، ثمّ يحلّ الموصوف (البلاغ) ذو التكرارات السّبعة (07) بنسبة (6.03%) ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ سورة الأنفال: 42، يعقبها تكرار أربع (04) مرّات بنسبة (03.44%) للإثم، فإن لم يُثبّ منه كان الموصوف (الخسران) بتكرار ثلاث (02) مرّات ونسبة (02.52%).

ثمّ تحلّ مجموعة موصوفات، ذكر كلّ واحد منها مرّتين اثنتين (02) بنسبة تفصيليّة، قدرها (01.72%) ثمانية أزواج هي، نسبتها الكلّية (13.79%)، يتوزّعها كلّ من (الحقّ)-سبحانه- في سياق، و (الدّين الحقّ) في سياق آخر، و رسول-ﷺ-، و (إمام) بمعنى كتاب الغيب أو الآية المؤيّد لـ (رسول)، و (الفوز) و (لسان عربيّ) و (بلاء) و (خصيم) و (ثعبان).

في آخر مجموعات موصوفات (مبين) تحلّ أحاديّة التكرار، مكوّنة من ثمانية نسبة الأخرى، وذلك بنسبة عامّة قدرها (06.88%)، لكلّ موصوف على حدة نسبة (00.86%) وهي: (نور) و (الأفق)، و (فتح) و (الفضل) و (غويّ) و (إفك) و (شيء) و (شهاب).

كما أبان الجدول-فيما أبانه- جملةً من الاستعمالات القرآنيّة لمادّة (بَيِّن)، (فالبَيِّنَة) ما قامت بها الحجّة، و (البيان) ما وضح للمتلقّي، وكلّ (مبين) ما تكتشّفت ميزته عن غيره، وعليه، يمكن القول أنّ أقرب ما تتمحور عليه الصّفة (مبين) « هو: امتداد بين طرفين أو جانبين مع فصل كبير أو اتّساع(..) ومن ذلك الفصل استعملت في معنى التّخصيص بشيء، إذ هو عزل وتمييز(..) ومنه جاء معنى الوضوح والظهور، لأنّ المفصول المتميّز عن غيره يلفت النّظر، وهو المعنى الذي جاءت به كلّ مفردات التّركيب القرآنيّة عدا الظّرف (بَيِّن)»¹.

أمّا وصف (شهاب) بـ (مبين) دون الصّفة (واضح) فأوّل ما يصدّه أنّ اللفظة (وضح) لم ترد في القرآن الكريم البتّة، رغم كونها من الأصل (وضح) الذي « يدلّ على ظهور الشّيء وبروزه، وضح الشّيء: أبان(..) و "الوضّاح": الرّجل الأبيض اللّون الحسن، و "أوضح" الرّجل: وُلِدَ له البيض من الأولاد(..) و "وضّح" الطّريق: محبّته، و "الواضحة": الأسنان تبدو عند الضّحك»²، فالوضوح بيان ليس فيه ما في (مبين) من حجّية وتمييز لافت للانتباه، مع تعقّب وانفصال، يؤدّي وظيفة إنجازيّة تامّة المعالم، ولو أُبدلت (واضح) بـ (مبين) لكان المعنى غير المراد من الوحي الكريم، ولكانت الجملة: إلّا من استرق السّمع فأتبعه شهاب واضح ولكنّ الوضوح لا يتناسب مع فعلين كلّهما حركة (استراق السّمع) وما يوحي به من وقوف بتوجّس، وحرص، وإصاخة للسّمع وتركيز فيما يُقال، إلى جانب بَعديّة (إتباع شهاب) لاسترق السّمع، وقد انفصل عن مكانه، بسرعة، يريد هدفًا معيّنًا،

¹ - محمّد حسن جبل: المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم، ص: 181-182-بتصرّف-.

² - أحمد بن فارس: مقاييس اللّغة، ج: 06، ص: 119.

وليس واضحاً فحسب في مكانه، وإنّما هو (مبين) في كلّ تفاصيله وغاياته وتمام سطوعه في السّماء ضياءً، وفي الأرض أثراً، وهو ما يعلّل عجب إبانة الشّهاب بين سياقين متوازيين:

خطاطة رقم (07): السياق النظمي للصفة مبين

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِ
وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ

إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ وَشِهَابٌ وَالْأَرْضُ

مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَاسِيَ وَأَنْبَشْنَا فِيهَا مِنْ
كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ

و (مبين) أيضاً صفة على وزن اسم الفاعل المنكّر تنكير الموصوف (شهاب) الموحية بالجاهزية التامة لأداء العمل المنوط بشهاب، أمّا التّنكير ففيه مطلق معاني الإبانة التي فهمها المؤولون والعلماء من عصر إلى آخر، فمثلاً قدر القدماء من حكماء الإسلام الذين نقلوا الفلسفة عن اليونان « أنّ هذه الشّهب التي تنزل من السّماء في ليال مختلفة ليست من كواكب السّماء، وإنّما هي دخان خارج من الأرض ارتقى إلى الطبقات العليا في الجوّ ثمّ قرب من كرة النّار فاحترق(..) وقد أظهر العلم الحديث بطلان هذا الرّأي، وأصبح العلماء في أوروبا يرون الشّهب إنّما هي قطع كوكبية سماوية»¹، رغم أنّ القرآن العظيم ذكر كلمة (كوكب) في مواضع عديدة لا تمتّ إلى (شهاب) بصلة إلّا صلة السّماء التي ينتمي إلى عالمها، كقوله-تعالى-: «فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا

¹ - الشّيخ جوهري طنطاوي: تفسير الجواهر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: 1350، 02هـ، القاهرة، ج: 08، ص: 14 بتصرّف.

قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ « سورة الأنعام: 76، وقوله-جلّ جلاله- حكاية عن سيدنا يوسف-عليه السلام-« إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ » سورة يوسف: 04، وأيضا: قوله-سبحانه-: «وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ» سورة الانفطار: 02، هذا التوجّه الذي تؤمن به المقاربة لا ينفي احترامها لأقوال السادة أوائل المفسرين لها، كالقرطبي الذي رأى أنّه قد « سمي الكوكب شهابا لأنّه لبريقه يشبه النار، وقيل شهاب: شعلة من نار تبين لأهل الأرض، فتحرقهم ولا تعود إذا احترقت، كما إذا احترقت النار لم تعد، بخلاف الكوكب، فإنّه إذا أحرق عاد إلى مكانه»¹ ممّا لم يدلّ عليه دليل نقلّي أو عقلي، بل إنّ المقاربة تجد في الصّفة (مبين) محدّدا لسانيا فارقا بين الاثنين، فلا يكون شهاب إلّا مبينا، ولا يكون كوكب إلّا بمعنى الجرم السماويّ، سواء أكان مبينا لكلّ النّاس أم لبعضهم، حسب نوع الرّؤية ووسيلتها، وأمّا الشّهاب فلا يكون حارقا على الدّوام، بل إنّهُ هو في حدّ ذاته-وفق ما توصّلت إليه العلوم المكتسبة إلى يومنا هذا- لا يعدو أن يكون مرحلة بينيّة بين النّجم والنّيزك، وهو (مبين) السّطوع والهدف، وهنا يتقاطع العلم مع مفهوم (مبين) في المعاجم ، فالانفصال قائم وموجود وجود الضّوء المصاحب للكتلة المشتعلة، أمّا الهدف فأكبر من كليهما، ذلك أنّ المصرّح به الأوّل في الآية الكريمة هو منع الجنّ عن سماعا « الخبر من أخبار السّماء سوى الوحي، فأما الوحي فلا تسمع منه شيئا، لقوله-تعالى-: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُولُونَ﴾ سورة الشعراء: 212، وإذا استمع الشّياطين إلى شيء ليس بوحى، فإنّهم يقدّفونه إلى الكهنة في أسرع من طرفة عين، ثمّ تتبعهم الشّهب فنقتلهم أو تخبّلهم(..) قوله-تعالى-: ﴿فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ سورة الحجر: 18 أتبعه أدركه ولحقه»²، فالذي يتبع مسترق السّمع (شهاب مبين) وليس كوكبا ما، والتّسليم بهذا الاتّجاه في

¹ - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج: 05، ج: 10، ص: 08.

² - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج: 05، ج: 10، ص: 08.

قناعة البحث لمؤازرته من قبل الدليل العلمي لا يعني أن العلم البشري هو غايته وإليه تستكين الأحكام، بل العكس هو الصحيح، أي أن أنباء القرآن قطعية أيدها العلم أم يؤيدها، تماماً كالإيمان بأن غاية حركة الشهب ليست استعراضية، ولا هي مجرد سنة حياة أو موت نجم، ولكنها طرد الشياطين المستمعة أخبار السماء، وهنا تمثل غاية أبعد، هي توطيد الإيمان بالغيب والمخلوقات غير المرئية للإنسان في عقيدة المسلم، وأن هذه الشياطين منها ما يتجسس ويسترق السمع، أي أنها تمارس أعمالاً يعرفها الإنسان رغم كونها من عالم غير عالمه!!-والله أعلم-.

ومن أبعاد الصفة (مبين) المنوطة بـ (شهاب) تلك اللطيفة الكامنة في قوله-جل من قائل:- " وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَّ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (19) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ (20) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ " سورة الحجر: 19-21، فالسمااء محفوظ ما فيها من زينة، ومحفوظة أخبارها بالملائكة أولي الشهب المبينة، ولكن الأرض ليست كذلك-وفق النصوص القرآنية الصريحة-، وقد يعود الشهاب إلى مبدأ انطلاقه بعد اتباعه طريده، وقد يحرقه ويقع بذلك في بقعة من بقاع الأرض، وتبقى فيها معالم ارتباطه بها وبعض أجزائه المتكونة من نسبة كبيرة من الحديد، كل ذلك بقدر ما ينزل من بقايا الشهب على الأرض، فتبين الحياة بعد موت، وتتصل إبانة زينة السماء برجم الشياطين (شهاب مبين) ما بين السماء والأرض، فإن اخترق غلافها الجوي، ووقع منه شيء عليها بانته به الأرزاق بمقدار يُقدّره الله الحق المبين!!.

وكما أنزل القرآن الكريم مبينا من السماء إلى الأرض تنزل آية (شهاب مبين) مؤشراً سماوياً على الخالق-جلّ وعلا-، هكذا تنمّ السورة الكريمة بمجملها-سورة الحجر- المستهلة بقوله- سبحانه:- ﴿الَّذِي تَلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾ سورة الحجر: 01، المرصعة بتمجيد القرآن المبين،

فهل يناسبه أن يطارد مسترق السمع إلا (بشهاب مبین)، حتّى ينزل الوحي إلى الأرض كامل الإبانة ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ سورة البقرة: 99، بل إنّ هذه الإبانة تتخذ منحى مثيرا أسلوبيا في ثنايا السّورة كلّها، حيث يقول الحقّ- سبحانه-: ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ۖ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لِلْيَوْمِ مُبِينٌ﴾ سورة الحجر: 78-79، وبعد بضع آيات آخر، يسلي الحقّ المبين- سبحانه- رسوله- ﷺ- مخاطبا إيّاه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ۚ لَا تَمْدَنُ عَيْنُكَ إِلَى مَمَتَعِنَا بِهٖ ۖ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۚ ۘ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ سورة الحجر: 86-89؛ وما دام هذا التواتر في توزيع الصّفة (مبين) على مقاطع السّورة المجيدة، فمن باب الممارسة العابثة إبدالها بواضح، لأنّها لا تتوافق مع كلّ من «قُرْءَانٌ مُّبِينٌ» و «وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٌ» و «وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ»، حيث ينكسر قانون الفاصلة في القرآن الكريم، إذ لم يرد (الحاء) بينهما أبدا، هذا من جهة، ومن جهة ثانية ما كلّ واضح فاصل بين اثنين ساطع ضوءه، يضاف إلى ذلك خصوصيّة النّظم في التّركيب العامّ للسياق الذي وردت فيه «شِهَابٌ مُّبِينٌ» ف (القرآن المبين) شهاب أبان للعالمين أنوار الحقّ والهداية وأحرق ضلال الكفر والغواية، والنّبِيّ (النّذير المبين)- ﷺ- بُعث حجّة وهاديا للإيمان وماحيا لعقائد الشّرك والطّغيان، وهو من أيّده (الحقّ المبين)- سبحانه- يقطع أخبار السّماء عن الكهّان ببعثته، فسخر لهذه المهمّة (شهابا مبينة) تتبع مسترقيّ السّمع في السّماء من الجنّ والشّياطين فإنّ أحكمت الأقفال على قلوب الكافرين كانت الرّسالة قد بلغت والشّهادة تمت أن الرّسول الكريم- ﷺ- قد أُنذر بإبانة، وجهره بتبرئة ذمّته أمّر من الشّارع الحكيم- جلّ جلاله- ووصفه بذلك هو وحي لا مرأى فيه ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ!!﴾.

نذير مبين لأهل الأرض والسّماء، مؤيّد بشهب بين الأرض والسّماء، فتتسج معالم جمال تقابلي وقعت فيه الصّفة (مبين) موقعا وسطا ونقطة تحوّل مشهد استراق السّمع والحرص على عدم

إصدار أي صوت أو حركة لافتة للانتباه إلى العلنية الشديدة، المُحدثَة فصلا بين وضعين، ومقابلة بين مشهدين، أولهما سماوي يصنع أحداثه الملائكة والشياطين، وثانيهما أرضي تدور أحداثه بين النَّبِيِّ (النَّذير المبين) -ﷺ- والكافرين، وكلّ منهما تبين فيه خصائص ومعطيات تفصله عن الآخر!!.

ومن السياق الجزئي إلى السياق العام للسورة الكريمة، والذي بسطت صفة (شهاب مبین) عليه ظلالها، حيث تتجلى الغاية من مقصوده في « بيان حقيقة القرآن، وحفظ الحق، وبرهان النبوة، وحفظ الحق كتابه العزيز من التّغيير والتّبدیل، وتزيين السّماوات بمواكب الكواكب، وحفظها برجوم النّجوم من استراق الشّياطين السّمع»¹ وبيان القدرة الإلهية في حفظ الحياة على الأرض ببعض ما في (شهاب مبین) من دلائل تلك القدرة العظيمة!!.

وبذلك جمعت (مبین) عالَمين مفصولين عن بعضهما (عالم الجنّ الغيبيّ، وعالم الإنس المرئيّ) وقد نوّنت تنوين تعظيم « لجميع ما يجمع الهمم على الله فيوصل إلى السّعادة، وهذه الإبانة(..) فاعجب لأمرٍ حاوٍ لجمع وفرق، وفصل ووصل»² تكمل به جماليّة صورة مادّيّة لـ (شهاب مبین) وهو يتحرّك في جوّ السّماء المزيّنة بمصابيح النّجوم في مجرّات ذات أبراج، يسلك طرائقها إذا أمرَ باتّباعه مسترق سمع من الشّياطين ، فإن قدر له الارتطام بالأرض، بانّت به عطايا الرّزاق-جلّ جلاله-، إنّ « جمال الحركة في المشهد في رسم البرج الثّابت والشّيطان الصّاعد، والشّهاب المنقضّ، فهي من بدائع التّصوير في هذا الكتاب الجميل»³ الذي أنزل على

¹ - الفيروز آبادي: بصائر ذوي التّمييز، ج: 01، ص: 272.

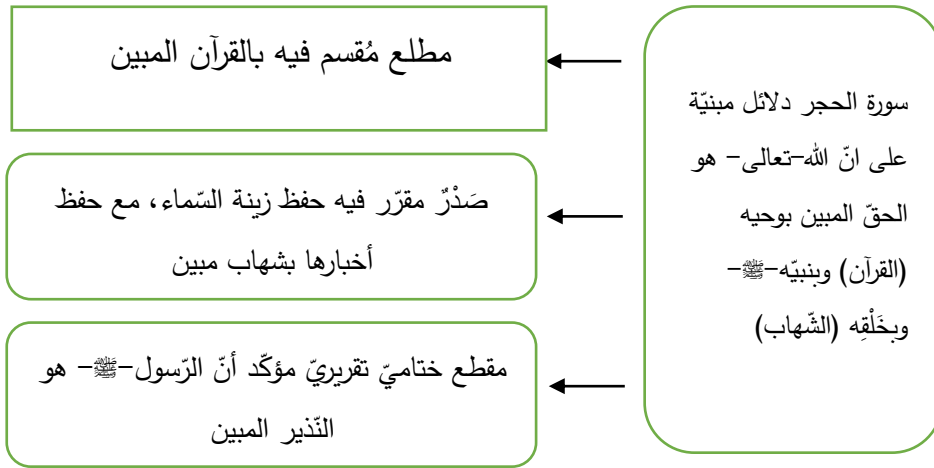
² - البقاعي: نظم الدرر، ج: 11، ص: 03.

³ - سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج: 04، ج: 14، ص: 2133.

النَّذِير المبين-ﷺ- ليبين للناس ما نزل إليهم بنظرة صادقة إلى زينة السماء، وقد شقت بروجها ومضة شهاب مبين!.

لهذا تحقّق الصّفة (مبين) لـ (شهاب) شرف ذكره آية مبصرة من آيات السماء لا تعوّضها مفرد لفظة معجميّة غيرها، لأنّ السّورة أجمع بنظمها العجيب تلفظها-والله أعلم-.

الشكل رقم (03): الأبعاد السياقية للجملة الوصفية (شهاب مبين) في القرآن الكريم



رَصَدًا

صفة ثانية مفردة لـ (شهاب) في القرآن الكريم هي (رصدًا) وردت في قوله-عز من قائل-: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ سورة الجن: 09، وهو وصف لحكاية عن الجن، لا ينأى عن صفة (مبين) من حيث وظائف الشَّهب السماوية وفق السياقات القرآنية.

والصفة (رصدًا) من (رصد)، إذ « الرّاء والصاد والذال أصل واحد، وهو التَّهَيُّؤُ لِرِقْبَةٍ شَيْءٍ عَلَى مَسْلَكِهِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ مَا يَشَاكِلُهُ (..) وقال الكسائي: "رصدته" أرصد أي: "ترقبته" و "أرصدت" له أي أعددت (..) و "الرصد": القوم يرصدون، و"الرصد": الفعل، و"الرصد" من الإبل: التي ترصد شرب الإبل ثم تشرب هي (..) ويقال: "الرصيد": السبع الذي يرصد ليثب¹ و أما « "الرصد": الترقب (..) و"الرصد": القوم يرصدون كالحرس، يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث، وربما قالوا: أرصاد، و "المَرَصِد": موضع الرصد² ويسمى السبع-أيضا « "الرَّاصِد" (..) و "المرصاد": الطريق والمكان يُرصد فيه العدو³ ممّا يفضي إلى معنى محوري لدى المعجميين أن مادة (رصد) تعني « لزوم مكان للترقب، مع تحفّز للأخذ والإصابة، كالسبع والحيات في مكامنها⁴ » وقد وردت مادة (رصد) في القرآن العظيم ستّ (06) مرّات، كما هو مبين في الجدول أدناه:

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، ج: 02، ص: 40.

² - الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، ج: 02، ص: 474.

³ - الفيروزي آبادي: القاموس المحيط، ص: 282.

* المذهب ذاته يذهب به صاحب المفردات في كتابه، ص: 260.

⁴ - محمد حسن جبل المعجم الإشتقاقي المؤصل الألفاظ القرآن الكريم، ص: 807.

الجدول رقم(45): مواضع (رصد) في القرآن الكريم.

الرقم	السورة و الآية	الرقم	السورة و الآية
01	الجن: 09	04	التوبة: 05
02	الجن: 27	05	الفجر: 14
03	التوبة: 107	06	النبا: 21

مما يفصح عنه تعداد مشتقات (رصد): تعلقها مرتين(02) برصد المؤمنين الكافرين ومحاربي الله-تعالى- ورسوله الكريم-ﷺ- بنسبة (33.33%)، ومثلها في سياق رصد الملائكة ذات الشَّهب للجنّ والشياطين مسترقي السَّمع، حيث يكون الرصد بفريق لفريق، يعقبها ذكر (مرصاد) مرتين(02) يعود في الأولى على جهنم-والعياذ بالله- بمعنى يحوم حول كونها مأوى يترصد رواده، وفي الثانية منهما متعلق بالذات العلوية لله-عزّ وجلّ- في سياق التَّخويف وإبداء وعيده-سبحانه- لمن تكبر وتجرّ في الأرض كعادٍ وفرعون، و كلتاها نسبتهما (16.66%).

وأما القول بمماثلة (رقيباً) لـ (رصدًا) فيدعو إلى تتبع مواضع (رقب) ودلالاتها في القرآن الكريم،

وهو ما يعرضه الجدول الآتي:

الجدول رقم(46): مواضع (رقب) في القرآن الكريم.

الرقم	السورة و الآية	الرقم	السورة و الآية
01	طه :94	13	ق:18
02	التوبة :08	14	النساء:01
03	التوبة:10	15	الأحزاب:52
04	القصص:18	16	النساء:92
05	القصص:21	17	النساء:92
06	الدخان:10	18	النساء:92
07	الدخان:59	19	المائدة:89
08	هود:93	20	المجادلة:03
09	القمر:27	21	البلد:13
10	الدخان:59	22	البقرة:177
11	المائدة:117	23	التوبة:60
12	هود:93	24	محمد:04

يلاحظ من الجدول: تلك الغلبة بتسع (09) مرّات تکرّر فيها المشتقّ (رقبة) بنسبة 37.5% وتعلّقها بتحرير العبيد من الرّقّ تكفيراً عن خطأ ما أو وجهاً من الأوجه الشرعيّة لصرف المال، يليها التّكرار ستّة (06) بنسبة 25%، في سياق الانتظار للوعيد وما يحقّق بالكافرين، ثمّ ثلاثة (03) تكرارات بنسبة 12.65% متعلّقة باحترام المنظومة الدّينيّة والأخلاقيّة، ومراعاة أمانة الكلمة-موسى وهارون-عليهما السّلام-والعمل بالتّصيحة، ولأنّ الله-عزّ وجلّ- هو الشّارع الحكيم الذي شرع الدّين وأعطى الأمانة مكانتها، فقد اختصّ ذاته العليّة باسم (الرّقيب)، وقد ورد في ثلاث (03) مواضع بنسبة 12%، كما ذكر الفعل (يتربّع) متلازماً لفظياً مع (خائفاً) مرّتين (02) في سياق خروج موسى-عليه السّلام- من مصر بنسبة 8.33%، وآخر ما دلّت عليه (رقيب) في القرآن الكريم هو التّكليف المتعلّق بالملائكة الحفظة، حيث ذكرت مرّة واحدة (01) بنسبة 4.6%، فإذا سلّم بأنّ (رقيباً) تصلح مرادفاً لـ (رصداً) حلّت معاني الانتظار والحذر والخوف، وهذان الأخيران يجرحان القوّة في الشّهاب الرّصد بأيدي الملائكة الحرس الشّداد، إذ لا يعقل أن يوكل بمطاردة الجنّ والشّياطين من يسكنه ذرّة من ذلك.

هذا، وقد جاءت الصّفة (رصدًا) مفردة، ولكنّها مثقلة بالقوّة، لورودها بصيغة اسم الجمع، الذي يطلق على الواحد والكثير، ممّا يضيف على الموصوف المفرد (شهاب) دلالات الشّدة المتكاملة ترقيّاً ذا حدّ، وتأهباً لحضور العدو، وقوّة في تعقّبه والتّمكّن منه، أي شدة الجاهزيّة لأداء الوظيفة المنوطة به بكلّ معطياتها، دون خوف أو مثلبة؛ وإذا كانت قوّة (شهاب) واحد بهذه المواصفات فتصوّر ما تحدّثه مجموعة (شهب) في جوّ السّماء من ذلك، إضافة إلى ما يبدو في جوّ السّماء من سطوع- بسبب حركتها- ووميض، وفي الأرض إن قدر لها الارتطام ببعض بقاعها من فجوات، فوق التّدليل عليه!!.

وعليه، لا يمكن-معجميًا- تقييد (شهابا) ب (رقيباً) أو إبداله هذه الآخرة ب (رصدًا)، لما تتسم به (رصداً) من منعةٍ شاملة، تكتسح كلَّ سياق السورة الكريمة، برهاناً حفظ الله-سبحانه- للقرآن العظيم بأن جعل « السماء ملئت حرساً شديداً وشهباً، وحفظت من سائر أرجائها، وطردت الشياطين عن مفاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك، لئلاَّ يسترقوا شيئاً من القرآن، فيلقوه على السنة الكهنة، فيلتبس الأمر، ويختلط، ولا يُدرى من الصادق، وهذا من لطف الله-تعالى- بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز، ولهذا قال الجنّ ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا¹ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدٌ لِّلِسمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ أَلَّآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ سورة الجن: 08-09، أي من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهاباً مرصداً لا يتخطاه ولا يتعداه، بل يحرقه ويهلكه»¹، ولو راوده أدنى خوف ما استطاع سبيلاً إليه، ولا أمضى فيه أمر الهلاك والحرق.

¹ - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج: 04، ص: 640، والوجهة ذاتها يتجّه إليها القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج: 10 ج: 19، ص: 11.

تمنّع إفراديّ، يعضده تمنّع تعجبيّ، يتمثّل في الجانب الصّوتي لـ (رصدا) أن تتنازل عن حضورها في نهاية الآية الكريمة، لأنّها فاصلة قرآنيّة، داليّة-منتهية بحرف الدّال-، حيث تكرّرت هذه الفاصلة تسع عشرة (19) مرّة في سورة الجنّ، وإنّ تمّ إبدال (رقيبا) بها، لاختلّ أسلوب النّظم الصّوتيّ، ولاهتّر النّظام العدديّ لكتاب الله العزيز-وحاشا أن يعرض لشيء من هذا- وفي سورة الجنّ خاصّة، بل إنّ ذلك يسيء إلى توازن الحساب المتعلّق بعدد الباءات فيها أيضا، وهوسّ ثلاثون (36) تكرارًا، ومعلوم أنّ الرّقم (36) من مضاعفات السّبعة (07) وكلّ من (19) و (07) يمثّل مظهرًا حسابيًا عجيبًا* في الذّكر الحكيم.

وكما خضعت سورة الجنّ لهذا الوجه العجيب من أسرار الحساب، فقد خصّت أيضا بشحنة قويّة من التّوجيه الإلهيّ الصّارم والقاطع لكلّ ما يمكن أن يخطر للمشركين وأتباع الكهنة عبّاد الجنّ » أنّ من الغيب ما ليس لهم ولا لغيرهم مطمع في الاطّلاع عليه، وأنّهم في ترصّدهم ومقاعدهم للسمع ممنوعون هم ومن سواهم عمّا انفرد بعلمه-سبحانه- وحكم أن لا يطّلع عليه أحد من خلقه، فهذا وجه ورود هذه الآية هنا¹؛ وجه يسنده البناء العامّ والسّياق الأوسع، لما قبل وما بعد الآية-محلّ المقاربة ها هنا-، إذ سُبقت بآية صُرح فيها بامتلاء السّماء «حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا»، وحلّت الصّفة (رصدا) في هذه الآية الموالية تلك الشّدة بدءًا من ترصّد المستمع، حدثان في السّماء، لا يعلم الجنّ

*تمّ حساب تكرار هذين الحرفين اجتهدا، فإذا بموقع الدّكتور "عبد الدّائم لكحيل" ينشر مقالًا يتناول فيه سرّ حرف الباء في هذه السّورة، ولم يُشر إلى ما يتعلّق بفاصلة الدّال، بل أورد تكراره فيها عامّة دون تحديد للفاصلة، وهو أربع وخمسون (54) مرّة مضافا إلى تكرار الألف ستّ عشرة ومائتيّ مرّة (216) والعين سبع وثلاثون (37)، والدّال أربع وخمسون (54)، فيكون المجموع واحدا وستّين وثلاثمائة (361) وهو مضاعف (19) أي $19 \times 19 = 361$ ، للمزيد، ينظر فضلا: www.kaheel7.com.

¹-أحمد إبراهيم بن الزبير البقعي الغرناطيّ: ملاك التّأويل، القاطع بذوي الإلحاد و التّعطيل في توجيهه المتشابه اللفظ من أي التّنزيل، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط: 2007، 2002م، بيروت- لبنان ج: 02، ص: 1111.

الحكمة من تدابيرهما - ولا الغاية منهما بأهل الأرض، وهو اعتراف بجهلهم، ذكر في الآية
المالية....

وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا +
وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ ^ص فَمَن يَسْمَعُ ^ط أَلَّا نَحْنُ حَرَسُهَا بَارِئًا

يعكس المخطّط-أعلاه- تقابلاً عجيباً، واجتماعاً أعجب بين لمس السماء بتحرس وحذر مع
العود للسمع، وبين مشهد امتلائها بالحرس الشديد والشهب الرصد؛ إنّه تقابل بين المخطي المذنب
الذي يحاول إتيان الممنوع وهو وجل منه، خائف من عواقبه، وبين جند أشداء ذوي أسلحة شديدة
رصد لإصابة العدو دون رجعة إلّا بنصر (حرقه أو إبعاده)؛ ليخلص الجنّ-وكان قبل ذلك قناة
إرسالية وسيطة- إلى الإيمان بواقع جديد، محير من هذا التدبير الإلهي وانعكاسه على أهل الأهل،
ثمّ ينفذون « أيديهم من كلّ محاولة لا تتفق مع إرادة الله بهذه الرسالة، ومن كلّ ادعاء بمعرفة
الغيب ومن كلّ قدرة على شيء من هذا الأمر(..) وإذا كان المصدر الذي يزعم الكهان أنّهم
يستقون منه معلوماتهم عن الغيب، يقرّر أنّه هو لا يدري عن ذلك شيئاً، فقد انقطع كلّ قول، وبطل
كلّ زعم، وانتهى أمر الكهانة والعرافة، وتمحّض الغيب لله، لا يجترئ أحد على القول بمعرفته ولا
على التنبؤ به..»¹، فقد طرد الجنّ مسترق السمع بشهاب رصد لا يفلته!

لا يزال البحث مؤمناً أنّه لم يقارب الصّفة (رصد) بكلّ ثقلها تحديدها (شهاباً) هو (سبب)
الغاية التي خلق لها، و (رصد) لعدوّ لم يعد له طاقة بلمس السماء بعد بعثة الرسول الأكرم، وقد
انفتحت المقاربة على عجب رقمي جديد من عجائب التسعة عشر (19)، ولعلّه بداية فتح آخر
من فتوحات الفهم القاصر للذكر الحكيم.

¹ - سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج: 06، ج: 29، ص: 3730.

ثاقب

الثَّاقِب

ها هو ذا (شهاب) لا يكتفي بأنّه (مبين) أو (رصد) فحسب، فينال صفة ثالثة هي (ثاقب)، حيث يقول-عز وجل-: «إِلَّا مَخْطَفَ الْحَظْفَةِ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ» الصّافات:10 وهي ذاتها، صفة مفردة ظاهرة يتيمة للنجم في القرآن الكريم، في قوله-سبحانه وتعالى-: «النَّجْمُ الثَّاقِبُ» سورة الطّارق:03؛ وبذلك فإنّها صفة مشتركة يتجاذبها موصوفان ينتميان إلى عالم السّماء.

تعزى (ثاقب) إلى الجذر (ثقب) من « الثَّاء والقاف والباء: كلمة واحدة، وهو أن ينفذ الشَّيء، يقال: ثَقَبْتُ الشَّيْءَ أَثْقَبَهُ ثَقْبًا، والثَّاقِب في قوله تعالى: «النَّجْمُ الثَّاقِبُ» قالوا: هو نجم ينفذ السّماوات كلّها نورُهُ، ويقال: ثَقَبْتُ النَّارَ إِذَا ذَكَّيْتُهَا، وذاك الشَّيء ثَقْبَتَهُ وَذَكَوْتَهُ، وإنّما قيل ذلك لأنّ ضوءها ينفذ..»¹ ومن هذا الباب: « المِثْقَب: ما يثْقَبُ به(..) وَثَقَبَتِ النَّارُ تَتَقَبُّ ثَقُوبًا وَثَقَابَةً إِذَا انْتَقَدَتْ(..) وشهاب ثاقب أي مضيء..»² ذو نفوذ وقدرة على قطع مسافة قلّت أو كثرت وسط حيّز ذي كثافة، هو معنى يقارب القول أنّ « الثَّقَب-بالفتح-: الحَرَقُ النَّافِذ(..)، المعنى المحوريّ: هو اختراق دقيق لعمق شيء متين، تتقب الدّر، والجلد، والسّتر»³؛ أمّا (الأصفهانيّ) فيكتفي بالمحدّد الاشتقاقيّ دالّا على المعنى فـ « الثَّاقِب الَّذِي يَثْقَبُ بِنُورِهِ وَإِصَابَتِهِ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ(..) والمِثْقَب:

¹ - ابن فارس: مقاييس اللّغة، ج: 01، ص: 382.

² - الجوهريّ: تاج اللّغة، ص: 140.

³ - محمّد حسن حسن جبل: المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل لألفاظ القرآن، ص: 244.

الطريق في الجبل الذي كأنه قد ثقب»¹ دون أن يشير إلى كلمة (نفذ) شارحةً أو بديلة لـ (ثقب)، وقد وردت كلّ منهما في كتاب الله-تعالى- وبتكرارات مختلفة، كما يبيده الجدولان-أدناه-:

الجدول رقم(47): مواضع مادة(ثقب) في القرآن الكريم

الرقم	السورة والآية
01	الصافات:10
02	الطارق:03

الجدول رقم(48): مواضع مادة (نفذ) في القرآن الكريم.*

الرقم	السورة والآية
01	الرحمن:33
02	//
03	//

بقراءة تحليلية للجدولين، تقف(ثاقب) صفة مهيمنة تمام الهيمنة على الموصوف (النجم) فلا صفة له غيرها، وهو ما تعبّر عنه نسبة حضورها(100%)، وليس بين صفات "ما في السماء" ما تكرر ذكره إلّاها؛ كما أنّها حين تعلّقت بـ (شهاب) حافظت على تنكيرها وتنوين العظمة فيها، وارتباط (شهاب) بزمرة الشّهب المجنّدة لمطاردة مسترقي السّمع!.

¹ - الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص:85.

* لم يُشفع الجدول هنا بتمثيل نسبي لعدم الحاجة إليه و كذلك مع الأصل (نفذ) لتعلّق كلّ منهما بسياق واحد استغرق حضورهما في القرآن الكريم.

أما المرادف-المقترح لها- في كتب المعاجم (نافذ)، فلم يرد إلّا في آية واحدة من كتاب الله- تعالى:- كما يبيّنه الجدول.

الجدول رقم(49): مواضع (نفذ) في القرآن الكريم.

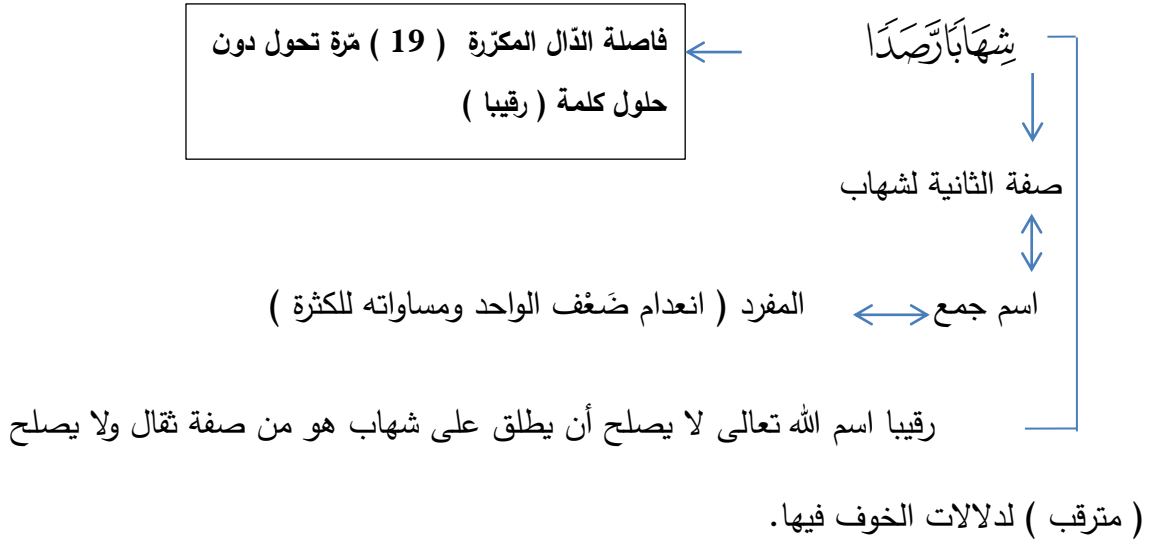
الرقم	السورة والآية
01	الرحمن:33
02	//
03	//

وقد اقترن في الآية الكريمة، ذكر إمكانية "نفوذ" كلّ من المخلوقين المختلفين الإنس والجنّ إن أخذوا بسلطان النفوذ من قطر إلى آخر، أمّا (النّقب) فيكتفي بإحداث الخرق في شيء دون اشتراط المضيّ إلى ما بعده، أي أنّ إمكانية النفوذ-إن سلّم بالتّرادف- لا تتعدّى ضرورة إلى خرق قطر ثان أو ثالث أو أكثر منهما؛ إضافة أنّ مادّة (نفذ) لم يصدر عنها مشتقّ الصّفة أبداً في القرآن الكريم لأيّ موصوف على وجه التّحديد، ولكنّه فعل مشروط بمعطيات يفضي إلى العبور بين أقطار السّماوات والأرض لمن يستطيعه من الجنّ، والإنس.

بهذا لا تجد المقاربة ما تضيفه-إلى حدّ الآن- على المستوى الإفراديّ، من موانع التّبادل الدّلالّي بين (ثاقب) و (نافذ)، أمّا على المستوى التّركيبيّ، فقد احتلّت الصّفة (ثاقب) مكان فاصلة قرآنيّة ذات قلقلّة، متناسبة تماما مع ما سبقها من فواصل بائيّة، تنفجر فيها معاني الخلق العظيم، والتمرد الشّديد، وإحاطة جند السّماء القاذفين شهباً من كلّ جوانب السّماء، والتّهديد بالعذاب المهول، فتكون خاتمة مشهد يعجّ بالحركة القويّة في العالم العلويّ، وتمهيداً صوتيّاً لمشهد خلق الإنسان في العالم

الأرضي من «طِين لَأَرِبٍ» سورة الصّافات:11، يصدر عن مزجه بالماء صوت شبيه بالقلقلة الموحية بالجدل والجعجعة في السّخرية المقيّنة، على نحو ما يوضّحه:

الشّكل رقم (04) : السياق النّظمي للصفة (رصد)



من زاوية أخرى، تتكشف الصّفة (ثاقب) للشّهاب عن أبعاد عقديّة وأخرى مادّية منوطة بالحياة على الأرض!.

فالقول بحفظ العقيدة عن طريق هذا الشّهاب الثّاقب، مردّه تصوّر المؤمن تلك الحركة الانزلاقيّة التي يقوم بها ضمن مجموعة الشّهب التي تدور حول الشّمس بسرعة 25كم/ثا، والتي تحيل إلى الرّبط بينها وبين كلمتي "خطف" و "الخطفة" فيتقرّب بذلك إلى الأفهام المشهد الوارد في مطلع السّورة، وقد تقابل فيه عالمان من عوالم الغيب، عالم الملائكة الصّافات والزّاجرات، وعالم الجنّ والشّياطين المردة ومنهم مسترقو السّمع، حيث لا يمكن لأحدهم « أن يخطف خطفة سريعة ممّا يدور في المأ الأعلى، فيتبعه شهاب يلاحقه في هبوطه فيصيبه ويحرقه(..) وذكر الشّياطين المردة والقذائف التي تلاحقها يكلف الرّسول -ﷺ- أن يسألهم: أهم أشدّ خلقاً أم هذه الخلائق؟ وإذا

كانت هذه الخلائق أشدّ وأقوى، ففيم يدهشون لقضيّة البعث ويسخرون منها ويستبعدون وقوعها..¹، إنّها رسالة إلهية إلى كفّار قريش أولاً-باعتبار سورة الصّافات مكيّة النّزول- ثمّ إلى كلّ إنسان مكذّب بالحياة بعد الموت؛ وإذا كان وجه الدّليل المتوصّل إليه في جلّ كتب التّفسير قائماً على عظمة الموجودات الكونيّة المذكورة في السّورة الكريمة، فمن تبعات ما بلغ الإنسان المعاصر من العلوم المادية أن يؤمن لوجود أدلّة الحكم القرآنيّ في واقع الاكتشافات الفلكيّة القائلة بتناقص المسافة الكائنة بين الشّهب والشّمس-بأمر الله- عندما تهوي إلى الغلاف الجوّي للأرض ذات الجاذبيّة تابعة الجنّ الخاطف أخبار السّماء « وكأنّ هناك جاذبيّة مغناطيسيّة سالبة وموجبة في كلّ من ذرّات الشّهاب والجنّ، فإذا اقترب الجنّ من مناطق استراق السّمع انجذبت ذرّات الشّهاب نحوه، فإذا حاول الفرار بسرّعه الرّهيبه(..) لاحقته جاذبيّة الشّهاب أينما سار، حتّى تقنى ذرّات الجنّ تماماً، وينتج عنها تراب لا يعرف تكوينه إلّا الله»²؛ ولا يقع هذا التّراب الذي قد يكون حجراً في بعض الأحيان إلّا في أرض عليها الكفر، أو غير أهلة بالأبرياء لحكمة ربّانيّة ظهر بعض معطياتها وخفي معظمه.

والى جنس الشّهب تنتمي "النّيّازك" **meteorites فالأولى يتراوح حجم بقاياها بين « حبة الرّمّل إلى حجم حبة الحصى أو الزّلط، تندفع نحو الأرض بسرعة 1400 ميل في الدّقيقة، وترى ليلاً متوهّجة بدرجة عظيمة بسبب احتكاكها بذرّات الغلاف الغازيّ للأرض(..) إنّ هذه الأجرام السّماويّة قد تكون كبيرة الحجم نسبياً وترسل من السّماء عقاباً للخارجين عن طاعة الله من

¹ - سيّد قطب: في ظلال القرآن، مج: 05، ج: 23، ص: 2984.

² - عبد العليم عبد الرّحمن خضر: المنهج الإيمانيّ للدراسات الكونيّة في القرآن الكريم، ص: 198.

** - « هي عبارة عن بقايا نبات وشهب لم تحترق احترقا تاماً أثناء احتكاكها بالغلاف الغازيّ للأرض، لذلك فهي تهوي إلى سطح الأرض محدثة أضراراً بالغة إذا كانت كبيرة الحجم» أنور عبد الغنيّ العقّاد: الجغرافيا الفلكيّة، ص: 95، ومنها ما يبلغ 36 طنّاً فيما يذكره صاحب كتاب المنهج الإيمانيّ: ص: 215.

الإنس والجن»¹؛ بل إنَّ السَّادة المفسِّرين الأوائل رجَّحوا احتمال كون حجارة السَّجِّيل الَّتِي أمطرها الله-سبحانه- على قوم لوط-عليه السَّلام- بارتكابهم « الفاحشة الَّتِي لم يسبقهم بها أحد من العالمين(..) أهلكهم الله هلاكاً لم يهلكه أمة من الأمم، فإنَّه -تعالى- أمر جبريل-عليه السَّلام- فحمل مدائنهم حتَّى وصل بها عنان السَّماء، ثمَّ قلبها عليهم وأرساها، وأتبعَت بحجارة من سَجِّيل منضود، ولهذا قال هنا: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ سورة القمر: ٣٤²؛ كما عوقب جيش أبرهة الذي تجرَّأ على انتهاك حرمة بيت الله العتيق بأن « أرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف(..) مع كلِّ طائر منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، ولا تصيب منهم أحداً إلَّا هلك...»³ حجارة لم يكن وصفها ضرباً من الخيال البشري، إذ « روي أنَّ ابن صالح رأى عند (أم هانئ) عددًا من الحجارة عليها خطوط حمراء...»⁴، مسومة بها، وتحمل في ذاتها أسباب فناء من تقع عليه بطريقة لا تفضي إلَّا إلى التسليم بأنَّها قوَّة من عند قويٍّ، تدمر كلَّ شيء بإذن ربِّها-عزَّ وجلَّ-.

ومما بلغه علم الإنسان في هذا العصر، أنَّ الحجارة النَّاجمة عن سقوط الشَّهب والنَّيازك إنَّما هي « من أصل جرانيتي ذات كثافة متوسطة، وبعضها عظيم الكثافة ومكسوة من حديد محرز بمعادن أخرى ثقيلة...»⁵، فتجتمع مقولات المفسِّرين واجتهادات علماء المادَّة في تحديد معالم هذه الحجارة ذات القوَّة التدميريَّة العجيبة الَّتِي يخلفها (شهاب ثاقب)، حيث يضاف إلى حقيقة ثقبها الغلاق الغازي للأرض، ثقبها للأجسام المستهدفة بها، فحجارة السَّجِّيل-كما ذكر ابن عباس-رحمه

¹ - المرجع ذاته : ص: 199-215-بتصرف-

² - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج: 04، ص: 390 في تناوله سورة القمر: 34 الحاصب عند أهل اللُّغة:

صغار الحجارة، لتقصيل أكثر، ينظر فضلاً: ،: لسان العرب، مج: 02، ج: 03، ص: 185.

³ - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج: 04، ص: 838.

⁴ - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، مج: 10، ج: 20، ص: 122.

⁵ - عبد العليم عبد الرَّحمن خضر: المنهج الإيماني للدراسات الكونيَّة في القرآن، ص: 215.

الله-- « من طين، وقد قال في الآية الأخرى « حجارة من طين» أي مستحجرة قويّة شديدة، وقال بعضهم: مشويّة، وقال بعضهم: مطبوخة قويّة صلبة، وقال البخاري: "سَجِيل": الشّدِيد الكبير..¹ الذي يؤدّي بمن أصابه تهتك بجلده وظهور الماء بينه وبين لحمه، وهي مؤشرات تؤكّد-مبدئيًا وفي حدود الاكتشافات العلميّة- أنّها الشّهب الثّاقبة المكلفة بعقاب العصاة، فيُحَفَظ للمسلم دينه، وتطهّر الأرض منهم بها.

أمّا القول أنّ من حسنات الشّهب الثّاقبة حفظ أسباب الحياة على الأرض، فيبرّره أنّه باختراقها جوّ الأرض « تتحوّل إلى أكاسيد هشة يعتبرها العلماء من أحسن أنواع التّكاثف التي ينمّ عليها تجمع جزيئات بخار الماء(..) وقد لاحظ علماء الأرصاد الجويّة أنّ السّنوات التي يحدث فيها مرور الأرض بمستعمرات الشّهب والنّيّازك(..) أنّ معدّلات المطر تتزايد عن سابقتها ولا حققتها في الفترة التي تشهد ثراء في رصيد الغلاف الجوّي من هذه الشّهب..² وهو ما يخصب المنطقة ويحمي الأحياء فيها بتوفير الخضرة فيها.

وعليه، فإنّ اتّباع (الشّهاب الثّاقب) لمسترق السّمع، ليس مجرّد إحلال عقاب بشيطان مارد، بل هو أيضا آية، يعلو بها إيمان المؤمن حين يسلم بوجود أحداث في السّماء، كما يؤمن بما يراه من أحداث في الأرض، ودليل آية كونيّة من آيات السّماء النّازلة-أحيانًا- إلى الأرض، فاسحة مجال التأمّل في رحمة الله-تعالى- بالخلق حين يكتب لأيّ (شهاب ثاقب) الارتطام ببقعة معيّنة.

¹ - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج: 03 ، ص: 493 في تفسيره سورة هود:82.

² - عبد العليم عبد الرّحمن خضر: المنهج الإيمانيّ، ص: 206.

صفات شهب لا شهاب بكل الصفات

تختم المقاربة صفات (شهاب) وقد ألفت أنه إما (مبيناً) وإما (رصداً) وإما (ثاقباً)، ولئن خالجهما احترام أقوال السلف بأن تكون الصفات الثلاث لشهاب واحد، فإنها تفترض أيضاً إمكانية وجود شهب-ضمن شهب الزينة السماوية- تجمعها وظيفة الدفاع عن أخبار السماء، وهي في ذلك أنواع أيضاً، حيث يحتمل أن يكلف (شهاب مبين) باتّباع مسترق السمع الممنوع-وهو شيطان رجيم- من التّموقع بين بروج السماء وزينتها المبيّنة، أما مسوّغ وصف شهاب ما أنه (شهاب ثاقب) فيتمثّل في أنه لا يتبع إلا من ثبت عنه قيامه بخطف الخطفة من خبر السماء، والصفة (ثاقب) متناسبة مع كلّ من وصف (شيطان مارد) ومع حركة الخطف السريع، وهي كذلك كناية قرآنية عن حقيقة علمية، إذ لا يستهدف هذا الجناح من جند السماء إلا العصاة من الجنّ والشياطين، فيثقب المارد بحرقه، ويترك أثر الثقب أيضاً على الأرض التي ينتهي إليها، تماماً كما يثقب الغلاف الجوي للأرض، أيضاً وبقاعاً منها شهدت مقارفة المعاصي، في حين لا يوصف شهاب بكونه (رصداً) إلا إذا اعتبر في مقام سياق الماضي حيث، تخبر سورة الجنّ على ألسنتهم، أنهم كانوا يقعدون للتسمّع في السماء، فلما بعث الرسول الأكرم ﷺ -جند لكلّ مستمع شهاب رصد، لا يغادر مقعده هو الآخر، وليس من متلازمات المعنى أن يكون كلّ راصد محارباً متابعاً لهدفه بحركة وتنقل.

هذا، ولا تنفي المقاربة الاحتمال الأول، أن يكون كلّ شهاب مبيناً رصداً ثاقباً من باب تعدّد صفات الموصوف الواحد، ولكنّ ورود كلّ واحدة في سياق وعلى خطّ نظميّ خاصّ يرجّح ما تقدّم ذكره-والله أعلم-.

قاسم مشترك آخر بين الشَّهَب الرَّاجِمة، أنَّ صفاتها الثلاث نكرة منوَّنة تتوين عظمة، فأما التَّكْثِير فهو تَكْثِير تَكْثِير، وأما التَّتْوِين فللعظمة الَّتِي جَلَّتْ مِنْهَا عَلَى حِدَةٍ، ممَّا تُحِيلُ إِلَى عِظْمَةِ الْخَالِقِ الْبَدِيعِ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ هَذَا السَّلَاحَ الْجَوِّيَّ وَبَرَمَجَهُ عَلَى الْوِظِيفَةِ الْعِقَابِيَّةِ بَيْنَ شَهَبٍ أُخْرَى كَثِيرَةٍ لَوْجُودِهَا بَعْضُ نَهَائِيَّاتٍ مُدْرَكَةٍ، وَكَثِيرٍ مِنْهَا ذُو غَايَاتٍ مَخْبُوءَةٍ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ.

يُضَافُ إِلَى مَا يَجْمَعُ الصِّفَاتِ الثَّلَاثَ لـ (شَهَابٍ) الْأُسْلُوبِ الْخَبَرِيِّ الَّذِي جَاءَتْ عَلَيْهِ، فَلَا إِنْشَاءَ وَلَا مُحَسَّنَاتٍ بَدِيعِيَّةٍ، وَإِنَّمَا هِيَ تَقَارِيرُ قُرْآنِيَّةٍ عَنْ بَعْضِ الْمُجْرِيَّاتِ وَالْأَحْدَاثِ فِي عَالَمِ السَّمَاءِ، ضَمِنَتْ لِكُلِّ مِنَ الصِّفَاتِ الثَّلَاثِ أَحَقِّيَّتَهَا-دُونَ أَيِّ مُفْرَدَةٍ أُخْرَى- فِي أَنْ تَوْجَدَ ضَمْنَ تَرْكِيبِ وَسِيَاقٍ، هُوَ وَحْدَهُ-عَلَى هَيْئَتِهِ وَتَرْكِيبَتِهِ- يَصْلُحُ لِبَيَانِ الْمَعْنَى الَّذِي تَرْصَدُهُ كُلُّ آيَةٍ لَشَهَابٍ مُبِينٍ، أَوْ رِصْدٍ أَوْ ثَاقِبٍ.

المبحث الثاني: الصّفتان المفردتان الظّاهرتان للنّجم:

أ. الثّاقب.

ب. الجوار الكنّس.

ب . صفات النجوم

النجم الثاقب

من حيث استسلمت المقاربة بين يدي (شهاب ثاقب) تستأنف جهدها-جهد المقلّ دائما- للدّنوّ من زينة سماوية أخرى، ورد ذكرها في قوله-جلّ من قائل:-
 ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۚ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ سورة الطارق: 03.

والموصوف الثاني-كما سلف الإشارة إليه- الصّفة المفردة الظّاهرة (الثاقب) هو (النجم)، الذي لا صفة له غيرها في الذّكر الحكيم، وقبل النّظر في بعض معالم هذه الزّينة الآيّة، تستوجب المنهجية أن يُعَوّجَ المبحث على تعريف النّجم ف: « (نجم): النّون والجيم والميم أصل صحيح يدلّ على طلوع وظهور، و "نَجَمَ" "النَّجْمُ": طلع(..) و "النَّجْمُ": الثّريا اسم لها، قالوا: طلع النّجم فإنّهم يريدونها، وليس لهذا الحديث نجم أي أصل ومطلع، و "النَّجْمُ" من النّبات ما لم يكن له ساق إذا طلع...»¹، وإذا قيل: « "نَجَمَتْ" "ناجِمة" بموضع كذا أي نبغت، وفلان "مَنْجَمٌ" الباطل والظلاله أي معدنه، و "المَنْجَمُ"-بكسر الميم-: الحديدة المعترضة في الميزان التي فيها اللّسان، و "النَّجْمُ": الوقت المضروب ومنه سمّي " المَنْجَمُ" (..) و "النَّجْمُ": الكوكب، و " أَنْجَمَتِ" السّماء: أقشعت...»²؛ وفي اللّسان « "النَّجْمُ" في الأصل: اسم لكلّ واحد من كواكب السّماء، وهو بالثّريا أخصّ...»³ ورغم اجتماع دلالة (نجم) حول بكلّ ما يطلع، فإنّها تفرّقت بين قائل أنّ (النجم): الكوكب، وآخر يراه "الثّريا" المكوّنة من مجموع نجوم، وما دام القرآن العظيم لم يورد ذكر (الثّريا) بين كرائم الكلمات-

¹ - أحمد بن فارس: مقاييس اللّغة، ج: 05، ص: 396.

² - الجوهري: تاج اللّغة وصحاح العربيّة، ص: 1024.

³ - ابن منظور: لسان العرب، ج: 12، ص: 569.

وكلّها كرائم- فإنّ الإحصاء سيتناول مواضع الكريمتين (نجم) و (كوكب) في سياقاته، من خلال
الجدولين الآتيين:

الجدول رقم (50): مواضع (نجم) في القرآن الكريم.

الرقم	السورة و الآية	الرقم	السورة و الآية
01	النحل:16	08	الحج:18
02	النجم: 01	09	الصافات:88
03	الرحمن:06	10	الطور:49
04	الطارق:03	11	الواقعة:75
05	الأنعام:97	12	المرسلات:08
06	الأعراف:54	13	التكوير:02
07	النحل:12		

الجدول رقم(51): مواضع (كوكب) في القرآن الكريم.

الرقم	السورة و الآية	الرقم	السورة و الآية
01	النور:35	04	الصافات:06
02	الأنعام:76	05	الانفطار:02
03	يوسف:04		

يفصح الجدولان عن فارق سياقي بين (النجوم) و (الكواكب) فالأولى وردت في آيات القسم وتعظيم الآية، والثانية خلت من ذلك، وهما معا من زينة السماء الدنيا، وتطراً عليهما تغيرات بقيام الساعة، ووجهة العقل الباحث عن إله يستحق العبادة؛ ولأن عظمة القسم تبعث على خصوصية المقسم به، فليس للمقاربة التسليم، رادفهما الذي قال به العلماء الأوائل؛ واستناداً إلى ما أكدته البحوث العلمية في تعريفها الاصطلاحي للكوكب *planet.

أما بدلية-النجم الثاقب بالطارق- فقد « قيل: إنما سمي النجم طارقاً لأنه يُرى بالليل ويختفي بالنهار، وقوله-تعالى-: «الثاقب» قال ابن عباس: المضيء، وقال السدي: يثقب الشياطين إذا أرسل إليها، وقال عكرمة: هو مضيء وحرق للشيطان»¹، في حين لا يربط (القرطبي)-رحمه الله- بين وظيفة حرق الشيطان، والصفة (الثاقب) للنجم، بل إشارة إلى أنه «عبر عن الطارق أولاً بوصف عام، ثم فسره بما يخصه تفخيماً لشأنه، والمعنى: النجم المضيء في الغاية(..) لأنه يثقب بنوره و إضاءتهما يقع عليه من الظلام والأفلاك وينفذ فيها والمراد الجنس...»²، أما (أبو حيّان الأندلسي)، فيذهب بعيداً في جمعه شتات أقوال رأت (النجم الثاقب) مظاهر سماوية مختلفة الحقائق من كواكب ونجوم وأبراج، حيث يذكر أنه « عند ابن عباس: الجدي، وعند ابن زيد: زحل، وقال هو أيضاً وغيره: الثريا، وهو الذي تطلق عليه العرب اسم النجم، وقال علي: نجم في السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد، وقال الحسن: هو اسم جنس، لأنها كلّها ثواقب، أي ظاهرة الضوء، أي يثقب الظلام بضوئه، وقيل المرتفع العالي، ولذلك قيل: زحل»³؛ وعن هذا التعميم ينأى (الرازي)-رحمه الله-، وينبّه إلى أنّ قوله-سبحانه-: « وَالطَّارِقِ » «مما لا يستغني

*فضلاً ينظر التعريف الاصطلاحي للكوكب في مقدّمة صفات شهاب، ص: 161 من هذا المبحث.

¹- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج: 04، ص: 744.

²- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج: 10 ج: 18، ص: 15.

³- أبو حيّان الأندلسي: البحر المحيط، ج: 08، ص: 448.

سامعه عن معرفة المراد منه، فقال: « وَمَا أَدْرَاكُمَا الطَّارِقُ » (..) ثم قال: «النَّجْمُ الثَّاقِبُ» أي هو طارق عظيم الشأن رفيع القدر، وهو النجم الذي يهتدى به في ظلمات البر والبحر ويوقف به على أوقات الأمطار..¹

بغضّ البصر عن كون (النجم الثاقب) مطارداً للشياطين، لاختصاص الشهب بهذه المهمة، تبقى بقيّة الاحتمالات محلّ مساءلة ومقاربة، تتسورها ملاحظة التعريف في الصفة (الثاقب)، وقد درج في عرف العربية على أنّ التّكثير أصل، والتّعريف فرع؛ وعليه فلا آية الكريمة تقدّم نجما بعينه دون كلّ النجوم، التي تعرّف-اصطلاحاً- بأنّها: « أجسام ملتهبة مشتعلة، شأنها في ذلك شأن الشّمس، وبعبارة أدقّ فإنّها غازات ملتهبة ترى لامعة أثناء ليل الأرض المظلم»² وهي أيضا « أجرام سماوية شديدة الحرارة ملتهبة مشتعلة مضيئة بذاتها، يغلب على تركيبها غاز الأيدروجين، ويليه في الكثرة غاز الهيليوم، والقليل من العناصر الأخرى الأثقل وزناً، وتحتوي مادّة النجم الغازيّة- في أغلبها- بعملية التجاذب الداخليّ إلى مركز النجم الناتجة عن دورانه حول محوره، وتؤدي هذه العملية إلى اتحاد نوى ذرات الأيدروجين مع بعضها البعض بالاندماج والانصهار النوويّ nuclear fusion، وينطلق عن ذلك كمّيات هائلة من الطّاقة على هيئة عدد من الإشعاعات الكهرومغناطيسيّة التي من أهمّها الضّوء والحرارة»³؛ وبما أنّ التعريفين لم يذكر استثناء من النجوم يعوزه ضوء أو حرارة، أو حركة دورانيّة حول محوره بما يترتب عليها من نتائج، فإنّه

¹ - الفخر الزّاريّ: التفسير الكبير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 01، 1981، بيروت- لبنان. مج: 16،

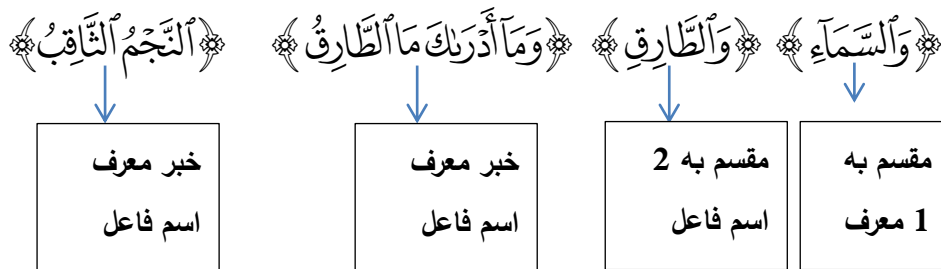
ج: 31، ص: 128.

² - أنور عبد الغنيّ: الجغرافيا الفلكيّة، ص: 163-بتصرّف.

³ - زغلول النّجار: تفسير الآيات الكونيّة، ج: 04، ص: 400-405-بتصرّف.

يبقى قاصراً عن تحديد (النَّجْم) (الثَّاقِب) دون تلك النُّجُوم! وقد أقسم الله- سبحانه- به بعد السَّمَاء ذات الحَبْك، وذات البرُوج، وذات الرُّجْع التي جعلت سقفا محفوظاً!.

نجم يشارك شهاباً من شهب السَّمَاء صفته (ثاقب) ويحملُه (ابن كثير)- رحمه الله- معنى مهمته الدِّفاعيّة عن الوحي وأخبار السَّمَاء ممّا لم يُذكر مع النّجم، ويفرق عنه في الطَّبِيعَة المشتعلة في الأوّل، والطَّارئة على الثَّاني، والميزة الأقوى لهذا النّجم أنّه ورد بدلا من « الطَّارِق » الذي أقسم الله- تعالى- به بعد السَّمَاء بأسلوب التّخيم « ما أدراك »، فقد ذكر (القرطبي) قول « القشيري: والمعظم على أنّ الطَّارِق والثَّاقِب اسم جنس أريد به العموم (..) » ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ تفخيماً لشأن هذا المقسّم به¹ ممّا تتبرّم عنه منطق المقاربة، إذ لا يعزّ على العزيز- جلّ جلاله- أن يورد الجمع في ذلك كلّهُ على نحو الجملة: وما أدراك ما الطَّوارِق النُّجُوم الثَّاقِبَة!، يضاف إلى ذلك أنّ الصّفة المعرّفة (الثَّاقِب) لا ترضى بغير التّعريف كموصوفها، حيث مثّلت معرّفة ب (ال) كونها تابعة لموصوف معرّف وهو الآخر تابع- لأنّه بدل- لمقسّم به ثان معرّف، سبقه مُقسّم به أوّل معرّف أيضاً بالأداة ذاتها، فقد تقلّد صدر سورة الطَّارِق قسماً معرفة ذا معطوفات عليه ظهرت بمظهره من حيث التّعريف، وجميعها على الصيغة الصّرفية اسم فاعل:



وما كلّ سور القرآن العظيم تخضع لهذه النّسقيّة في تراكيب آيات القسم، من أمثلة ذلك:

قوله- تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُورُونَ ١ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ٢﴾ القلم: ١- ٢

¹ - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج: 22، ص: 204.

وقوله أيضا: ﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَهَا ۝ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ۝﴾ الشمس: ١-٢

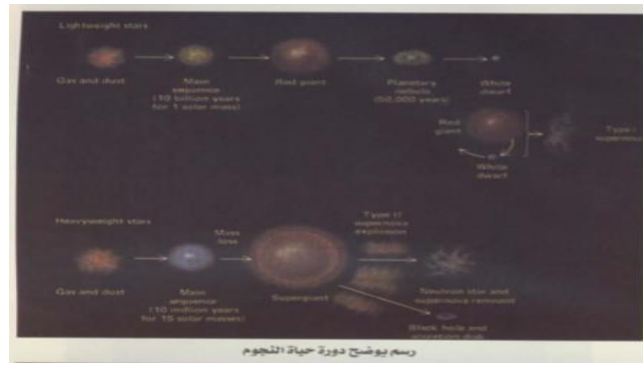
وقوله-تعالى:- ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝﴾ القيامة: ١

يلاحظ على العيّنات الثلاث انعدام النمطية في تركيب أسلوب القسم، إذ المقسمات بها في كلّ آية تختلف عن بعضها إمّا من حيث التعريف والتّكثير، وإمّا من جهة نوع التعريف، وإمّا من حيث نوع الصّفة بين مفردة، وتركيب جمليّ؛ وهو ما يسوّغ القول بأنّ التعريف الذي يأخذ بعضه برقاب بعض في الآية محلّ المباحثة، حتّى يبلغ الصّفة (الثّاقب) ليوحى بأنّ السّماء المعروفة لدى النّاس أي السّماء الدّنيا، فيها طارق معروف، وهو واحد من طوارق عديدة، ولكن مختصّ به نجم معيّن ثاقب بين النّجوم التي لا عادّ يحصيها إلّا الله-سبحانه-.

لم يحفل (النّجم الثّاقب) بكبير اهتمام على وجه التّحديد في الدّراسات الفلكيّة، إلى غاية عام 1965م حين « تمكّنت طالبة الدّكتوراه في الفلك الرّاديويّ (جوسلين بل) من التقاط نبضات منتظمة وقصيرة جدّا ودقيقة قادمة من مناطق معيّنة في السّماء، فلمّا تسابق الفلكيّون في رصدها وجدوا أنّها تقع ضمن بعض السّدم في المجرة، وهي بقايا انفجار النّجوم المستعرة* التي تؤوّل به إلى مخلفات على شكل أنوية ذات كثافة هائلة جدّا تصل إلى حوالي مائة مليون طنّ في كلّ سنتيمتر مكعب، ممّا يجعل مادّته متماسكة، لذلك يدور حول نفسه بسرعة كبيرة جدّا تصل إلى 100 دورة/ثا فتتولّد مجالات مغناطيسيّة قويّة جدّا، وتصدر أمواجاً راديويّة تصل من بُعد كبير في المجرة يبلغ عشرات ومئات السّنين الضّوئيّة، وتتقبّ الفضاء بين النّجوم والغلاف الغازيّ، دون أن يوقفها شيء في طريقها إلى الأرض، حتّى تطرق اللّواقط في التّليسكوبات الرّاديويّة بانتظام لدرجة أنّ علماء

*فضلاً ينظر: زغول النّجّار: تفسير الآيات الكونيّة، ج: 04، ص: 400 إلى 405، لما فيه من تفصيل لحياة النّجوم وتسمية النّجم المستعر.

الفلك اقترحوا ضبط الوقت على نبضاتها بدلا من ساعة جرينيتش»¹، ممّا يعني أنّ مصدرها نجم ذو صفة ثقب بين مجموعته وبين المجرات والسّدم، يصل إصداره الرّاديويّ إلى الأرض نافذا عبر كلّ تلك الأحيزة والمجالات، من جوف السّماء إلى سطح الأرض لا يصدّه سراقق ولا يشوّش نظامه تغيّر الطّقس!!.



الصورة رقم (04) :رسم يوضح دورة حياة النجوم



صورة رقم (05) : لموجات راديوية عملاقة قادمة من مجرة رايوية

¹ - عماد مجاهد: الكون طريقني إلى الله، ص: 164-166-بتصرّف-.

وعليه فإنَّ التعريف بـ(ال) في صفته تقييد له، وإضافة دعوة التعجب من أمره ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا
الطَّارِقُ﴾ إلى حقيقته النجمية التي تزيّن السماء وهي في حدّ ذاتها آية، فكيف وقد عُرف من شأنه
ما عُرف! وليس من التجني الحكم بأنّ تعريفه الصّفة (الثّاقب) يدلّ على أنّه من مشاهدات
الإنسان التي يوجّه إليها-سبحانه- الأبواب للتأمّل في قدرته وبديع صنعه، فإن خطر اعتراض جهل
السّابقين بهذا الكشف العلميّ (للنّجم الثّاقب) أُجيب، بأنّ القرآن الكريم لم يخاطب جيلا بعينه، ولكنّه
خطاب الأجيال على مرّ العصور، وما كان نكرة عند سابق، أصبح معرفة بين المعاصرين، وقد
يكون مجرّد مفتاح تعريف أكثر استغراقا، للاحقين فتصير معرفة اليوم معهودة بالنسبة إليهم،
كعهديّة (ال)!!!.

فارق آخر في (الثّاقب) يميز بين الشّهاب والنّجم ها هنا، فالأوّل إن قدر له الارتطام بالأرض
يقتصر أثره التّدميريّ على المكان المسلّط عليه تطهيرا له من دنس العصاة، أمّا الثّاني فلا صلة له
مادّية بالأرض رغم أنّه من النّجوم التي تدور حول محورها بسرعات فائقة مُطلقة كمّيّات هائلة من
الموجات الرّاديويّة المعروفة باسم radio-pulsars فـ « ترسل نبضات منتظمة في كلّ جزء من
الثّانية أو في كلّ عدد قليل من الثّواني حسب حجمها وسرعة دورانها حول محورها، وقد يصل عدد
نبضات تلك النّجوم إلى ثلاثين نبضة/ ثا ويعتقد أنّ النّابض الرّاديويّ pulsating stars يطلق
نبضة واحدة من موجاته في كلّ دورة كاملة حول محوره(..) ومن رحمة الله بنا أنّ أقرب النّوابض
الرّاديويّة إلينا يبعد عنّا بمسافة خمسة آلاف (5000) من السّنين الصّوئيّة، وإلاّ لكان لنبضاتها
المتسارعة أثر مدمر للحياة»¹ برمتها، وبمن فيها مؤمنها وكافرها! لا بقعة من بقاع الأرض
وحسب!.

¹ - زغلول النّجار: تفسير الآيات الكونيّة، ج: 04، ص: 405-بتصرّف.

الصورة رقم (06): صورة مختلفة للنجم نيوتروني



وبهذا تزيد نسبة تجلي الغاية التعجيبية من النظم القرآني، الذي جاور الصفة (الثاقب) إلى ما بعدها وأتبعها بقوله-جلّ جلاله-: «إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ» سورة الطّارق: 04 بحكم أنّ « هذا النّجم العملاق المتفجّر هو مصدر هائل لمختلف أنواع الأشعة، وبعضها مضرّ بالحياة، إلّا أنّ الغلاف الجوّيّ يعمل كدرع حافظ يقي الأرض وما عليها»¹.

انطلاقاً ممّا ذكر، فقد عمل التّضامّ التركيبيّ بين جُملة المقسمات بها (والسماء) (والطّارق) (والنّجم الثّاقب) برصفه الوحدات الدّلالية وحدة تلو أخرى، ليصل إلى غاية تقرير المراد، وهو أنّ

¹ - عدنان الشّريف: من علم الفلك القرآني، ص: 59.

المقسّم به-النّجم الثّاقب- النّجوم»¹ ونجم جليل القدر، ولولا رحمة الله بعباده لكان وسيلة دمار شامل للحياة، الّتي وُجد فيها إنسان يجحد قدرة الخالق-بارك وتعالى-، ولو لم تشمله العناية الإلهيّة لنسف به وبالأرض الّتي يعيش عليها بموجة راديويّة واحدة من النّجم الثّاقب!!.

وعليه، فقد نفت الصّفة (الثّاقب) للنّجم شراكته مع (شهاب ثاقب)، ورفضت أن ترادفها كلمة بمعناها في محلّها، فليس لأيّ نجم أن يكون عاليًا، ولا مضيئًا، ولا ثاقبًا إلّا واحد هو الطّارق، الّذي ورد-لحكمة إلهيّة صِرفة- على وزن اسم الفاعل لما فيه من إنتاج ذاتي-بأمر الله- لتلك النّبضات والأشعة والضّياء، محفوظة عنه الأنفس، بحفظ الله-سبحانه- لها، ولا يذكر هذا (النّجم الثّاقب) إلّا في مقام التّدليل على ما صنعت يد الباري-عزّ وجلّ- في سياق عظيم كسياق القسم، بالسّماء وما فيها من جنس النّجوم-والله أجلّ وأعلم-!.

¹-الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التّأويل، ج: 30، ص: 258.

الجوار الكنس

غير بعيد عن النجم الثاقب، و في فلكه لا يزال البحث يدور، حيث يحاول الاقتراب من نجوم أخرى أقسم بها الله - ﷻ - و هي ذات صفتين متلازمتين، ذكرتا في قوله - ﷻ - : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ۝ ١٥ أَلْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ سورة التكوير : 15 - 16 ، و قد أجمعت كتب المعاجم على أنّ القصد بـ (الخنُس) النجوم ، رغم التداخل الواقع فيه كثير منهم بينها و بين الكواكب ، ممّا فصل فيه ضمن صفات (الشّهاب) ، ففي (المقاييس) : « (خنس) : الخاء والنون والسين أصل واحد يدلّ على استخفاء و تسترّ، قالوا : " الخنس " : الدّهاب خفية ، يقال " خنست " عنه و " أخنس " عنه حقّه و " الخُنُس " : النجوم تخنس في المغيب، و قال قوم : سمّيت بذلك لأنّها تخفى نهارا و تطلع ليلا »¹ ، و يتوسّع في معانيها (الجوهريّ) بما لها من دلالات متغيّرة بتغيّر السياق الذي تستعمل فيه، من ذلك : « " أخنسه " غيره إذا خلفه و مضى عنه ، (..) و " الخناس " : الشّيطان لأنّه يخنس إذا ذكر الله - ﷻ - و " الخُنُس " : الكواكب كلّها لأنّها تخنس في المغيب ، و لأنّها تخفى بالنّهار، و يقال : هي الكواكب السيّارة منها دون الثّابتة .. »² كما يراها (الأصفهانيّ) أيضا بهذه الرّؤية ذاتها بمعنى أنّها « تخنس في مجراها أي ترجع »³.

وسيرا على نهج الأوائل، وتسليما بالذي أوردته كتب التفسير - ممّا هو آت ذكره - بإذن الله - - يدنو البحث من الصّفتين المفردتين لهذه النجوم الخنس؛ فالصفة الأولى : (الجوار) من (جري) : « الجيم و الرّاء و الياء أصل واحد، وهو أنشياح الشّيء (..) فأما السفينة فهي الجارية ، و كذلك الشّمس و هي القياس، و " الجارية " من النّساء من ذلك ، لأنّها تستجرى في الخدمة ..

¹ أحمد بن فارس : مقاييس اللّغة ، ج : 02 ، ص : 223.

² الجوهريّ : تاج اللّغة و صحاح العربيّة ، ص : 720.

³ الأصفهانيّ : المفردات في غريب القرآن ، ص : 99.

«¹ ، ويحدّد (ابن منظور) أكثر قائلًا : « ..و " جرت " الشمس و سائر النّجوم : سارت من المشرق إلى المغرب ، و قوله - تعالى - : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُفِ ۝ ١٥ الْجَوَارِ الْكُنُفِ ﴾ يعني : النّجوم »² . وقد كثر استعمال " جرى " ومشتقاتها في القرآن الكريم و هو ما يحصيه الجدول :

الجدول رقم (52) :مواضع (جرى) في القرآن الكريم

الرقم	السورة و الآية	الرقم	السورة و الآية
01	البقرة :25	15	الأعراف : 43
02	البقرة: 164	16	التّوبة : 72
03	البقرة : 266	17	التّوبة : 89
04	آل عمران :15	18	التّوبة :100
05	آل عمران : 136	19	يونس :09
06	آل عمران : 195	20	هود : 41
07	آل عمران : 198	21	هود : 42
08	النّساء : 13	22	الرّعد : 02
09	النّساء :57	23	الرّعد : 35
10	النّساء :122	24	إبراهيم : 23
11	المائدة : 12	25	إبراهيم : 32
12	المائدة : 85	26	النّحل : 31
13	المائدة : 119	27	الكهف :31
14	الأنعام : 06	28	طه :76

¹أحمد بن فارس : مقاييس اللّغة ، ج : 05 ، ص : 142.

²ابن منظور : لسان العرب ،مج: 02، ج: 02، ص: 245..

الفتح : 05	47	الأنبياء : 81	29
الفتح : 17	48	الحجّ: 14	30
الذّاريات : 03	49	الحجّ : 23	31
القمر : 14	50	الحجّ: 65	32
الرّحمن : 24	51	الفرقان : 10	33
الرّحمن : 50	52	العنكبوت : 58	34
الحديد : 12	53	الرّوم : 46	35
المجادلة: 22	54	لقمان : 29	36
الصّفّ : 12	55	لقمان : 31	37
التّغابن : 09	56	فاطر : 13	38
البروج : 11	61	يس : 38	39
الغاشية : 12	62	ص : 36	40
البيّنة : 08	63	الرّمز : 05	41
		الرّمز : 20	42
		الشّورى : 32	43
		الرّزخرف : 51	44
		الجاثية : 12	45
		محمّد : 12	46

الجدول رقم (53) : سياقات (جري) في القرآن الكريم

الرقم	السياق	التكرار
01	عيون الجنة و أنهارها	39
02	السفن	13
03	الشمس و القمر	05
04	أنهار الدنيا	03
05	النجوم	01

الجدول رقم (54) : موصوفات (جري) في القرآن الكريم

الرقم	الموصوف	التكرار
01	الخنس	01
02	عيون الجنة	01

يقدم الجدول نسبة (62.90 %) لتسعة و ثلاثين (39) تكرارا تعلق فيه (جري) بأنهار الجنة الخالدة ، تليها (20.96 %) بثلاثة عشر تكرارا متعلقة فيه بالسفن، ثم نسبة (07.93 %) بخمس (05) تكرارات لجري الشمس والقمر، تلتها نسبة (04.83 %) لجري أنهار الدنيا بثلاث تكرارات ثم نسبة (03.32 %) بتكرارين للريح التي سخرت لسليمان - عليه السلام - ، لترد النسبة (01.61 %) بتكرار واحد متعلقة بجري النجوم في الآية محل المقاربة، والتي وردت صفة لمقسم به عظيم القدر هو النجوم الخنس، فتتقلب نسبة القلة إلى القوة بعد أن دلت على الضعف بترتيبها هذا.

أما الصِّفة الثَّانية (الكُنْس) فمن (كنس) حيث : « الكاف والنون والسين أصلان صحيحان، أحدهما يدلّ على سَفَر شيء عن وجه شيء آخر وهو كشفه، والأصل الآخر يدلّ على استخفاء، فالأوّل "كنس" البيت وهو سفر التراب عنه (..) و الأصل الآخر : " الكناس " : بيت الطّبي (..) و " الكُنْس " : الكواكب تكنس في بروجها كما تدخل الطّباء في كناسها ، قال أبو عبيدة : تكنس في المغيب ¹ ، ويبحث (الجوهريّ) في مشتقّات (كنس) ومنها : « " المكنسة " : ما يُكنس به، و : "الكناسة" : القمامة ، و " الكُنْس " : الكواكب (..) و يقال : هي الخنّس السيّارة .»²؛ و بذلك فأنته لم ترد مادة " كنس " في القرآن الكريم سوى في الآية محلّ المقاربة.

الجدول رقم : (55) : مواضع (كنس) في القرآن الكريم

الرقم	السورة و الآية
01	التكوير:16

و قد مثّل حضور الصِّفة المفردة الظّاهرة (كُنْس) بين صفات النّجوم نسبة (33.33%) ، و تركيباً وصفيّاً ثنائيّ الوصف مُقسماً به وحيداً في موصوفات الطّبيعة وهو دليل عظمة الموصوف الذي يدلّ على عظمة خالقه - وَجَدَ - .

و بما أنّ المفردة الشّارحة لها هي (سَفَر) ، فالجدول الآتي يحصي موادّها الواردة في القرآن

الكريم..

¹أحمد بن فارس : المعقاييس ، ج : 05 ، ص : 142.

²الجوهريّ : تاج اللّغة و صحاح العربيّة ، ص: 925.

الجدول رقم (56) : مواضع (سفر) في القرآن الكريم

الرقم	السورة و الآية	الرقم	السورة و الآية
01	البقرة : 184	07	الكهف : 62
02	البقرة : 185	08	سبا : 19
03	البقرة : 283	09	الجمعة : 05
04	النساء : 43	10	المدثر : 34
05	المائدة: 06	11	عبس : 15
06	التوبة : 42	12	عبس : 38.

الجدول رقم (57) : سياقات (سفر) في القرآن الكريم

الرقم	السياق	التكرار
01	الرحلة و التنقل من مكان إلى آخر	09
02	الملائكة	01
03	وجوه المؤمنين يوم القيامة	02
04	الصيح	03

يظهر من الجدول تعلق (سفر) إما بالسفر أي الرحلة من مكان إلى آخر ﷺ - في ثمانية

(08) مواضع من كتاب الله - بنسبة (66,66%) ، أوفي واحد من السياقات الأربع (04) الدالة

على كل من على السفور بمعنى الوضوح في المواضع الأربعة (04) لكل الصبح و الأسفار من

السِّفَر أي الكتب، ووجوه المؤمنين يوم القيامة، والملائكة الكرام بتكرار واحد (01) بنسبة (08,33%) والوجهان تأباهما (كنس) لأنها نجوم إن تغيرت حركتها في موقعها فهي لا تبرح الفلك الذي يحتويها ، وليست بمسفرة - بمعنى الظهور و الجمال البين -

والأ ما سميت - تجوزا علميا - بالتقوب السوداء* !هذا، و قد توجهت المقاربة إلى حساب «الجوار الكنس». متلازمة وصفية** لم يرد لها مثل في الموضوع برمته، و أدرجها البحث بين صفات النجوم معتقدا أغلب ما ذهب إليه السادة العلماء من أقوال في تفسير الآية الكريمة، منها أن «الجوار الكنس»: النجوم كلها، لأنها تخنس في جريها وتكس بالنهار، سكنها في كناسها¹ ، و يقول (السيوطي) - رحمه الله - : « وأخرج ابن أبي حاتم : وأبو الشيخ في العظمة عن طريق عكرمة عن ابن عباس : قال : الخنس : نجوم تجري يقطعن المجرة في البعث عن علي : «الجوار الكنس» : قال : هي الكواكب ، و أخرج عبد بن حميد عن قتادة : «الجوار الكنس» : قال : هي النجوم تبدو بالليل و تخفى بالنهار تكنس. »².

فالجري و دخول الكناس فعلاان متصلان ببعضهما البعض إلى درجة عدم وجود حرف العطف بينهما، أو قبول المرادفين " المازات المرّ السريع " و " السافرات " لأنّ المرّ السريع أنواع ، منه : الجري و الهرولة و الرّكض و الشّد ؛ والسّفور لا يعني الكنس الذي هو عمل ينتج عنه

* مصطلح علمي مواز للتعبير القرآني «الجوار الكنس» .

** المتلازمات الوصفية : مقترح اجتهادي تسمية متفرعة عن المصطلح اللساني " المتلازمات اللفظية " .

¹ محمد بن أحمد بن جزي الكلبي أبو قاسم : التسهيل في علوم التنزيل ، دار الكتب العلمية 1415-

1995، مج:02 ج : 04 ، ص:24.

²السيوطي : الدّر المنثور في التفسير بالمأثور ، ج : 06 ، ص : 320، و ذكر أيضا إمكانية أن يراد بها البقر و

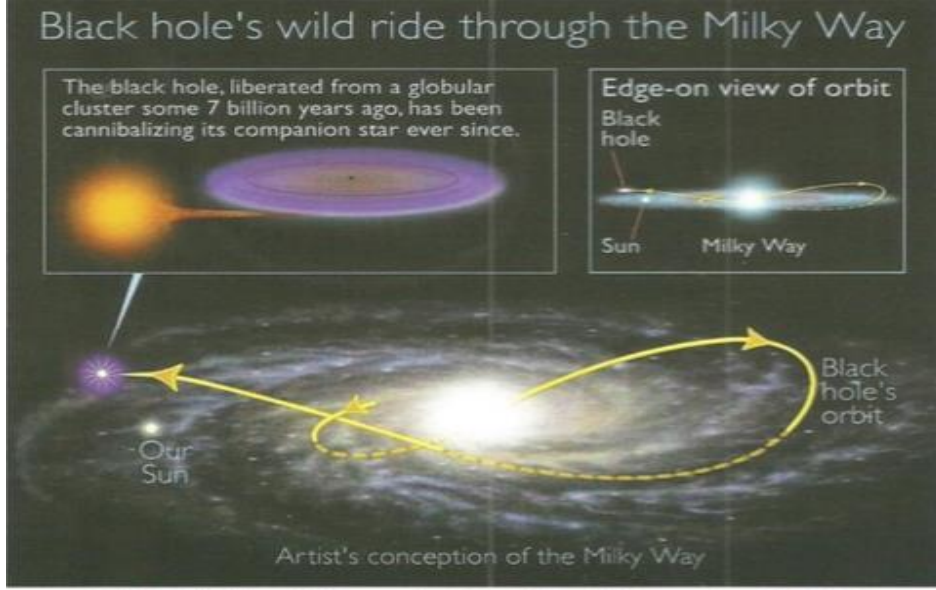
الوحش ، و معه في ذلك : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج : 04 ، ص : 714- 715 ، و القاسمي :

محاسن التأويل ، مج : 07 ، ج : 17 ، ص : 271 ، و الطبري : مفاتيح الغيب ، مج : 12 ، ج : 30 ، ص :

سفور يختص بإزالة ما لا حاجة إليه أو ما يجب تخلص شيء آخر منه ، أما السُّفر فقد يحصل بطرح ما هو مهمّ في موقف و يُتراجع عنه في آخر، و ما كلّ جارية كائنة ممّا يوحي به تلازم الصّفتين، بصيغة جمع اسم الفاعل التي لم ترد بهذا الشّكل إلّا في هاتين الصّفتين من صفات الآفاق في القرآن الكريم ؛ يرخص القول أنّ «الْجَوَارِ الْكُنُسِ» كثيرة تفوق العدّ، كما أكّده الكشف العلميّة عام 1971 م، من ملاحظة العلماء « أنبعض النّجوم العاديّة تصدر وابلا من الأشعّة السّنيّة ولم يجدوا تفسيراً علمياً لذلك إلّا وقوعها تحت تأثير أجرام سماويّة غير مرئيّة ذات كثافات خارقة للعادة، و مجالات جاذبيّة عالية الشّدّة ، و ذلك أنّ النّجوم العاديّة ليس لها إصدار تلك الأشعّة من ذاتها ، و قد سمّيت تلك النّجوم الخفيّة باسم الثّقوب السّوداء Black Holes لقدرتها الفائقة على ابتلاع كلّ ما تمرّ به أو يدخل في نطاق جاذبيّتها(..) من مثل الغبار الكونيّ و الغازات و الأجرام السّماويّة المختلفة، و وصفت بالسّواد لأنّها معتمة تماما لعدم قدرة الصّوء على الإفلات من مجال جاذبيّتها (..) و قد اعتبرت الثّقوب السّوداء مرحلة الشّيوخوخة في حياة النّجوم، وهي المرحلة التي تسبق انفجارها وعودة مادّتها إلى دخان السّدم، دون أن يستطيع العلماء حتّى هذه اللّحظة معرفة كيفيّة حدوث ذلك. »¹ .

¹ زغلول النّجار : تفسير الآيات الكونيّة ، ج : 04 ، ص : 351 - بتصرّف - .

الصورة رقم (07): حركة نجم خانس كانس في مجرتنا (مجرة الطريق اللبني)



شكل (61) يوضح حركة نجم خانس كانس في مجرتنا (مجرة الطريق اللبني)

فإنَّ أَجْرَامَ نَجْمِيَّةٍ عَظِيمَةَ الْقُوَّةِ إِذْ لَا تَهْدَأُ تَنْظِيفُ الْفَلَكِ مِنَ الدَّخَانِ الَّذِي تَسْوِقُهُ إِلَى مَكَانٍ أَدْخَلَ مَا يَكُونُ وَأَعَمَّقُ، تَسْتَدْرِجُهُ إِلَيْهِ هَذِهِ النُّجُومُ الْخَنَسُ، غَيْرَ مَهْرُولَةٍ وَ لَا مَارَّةً بِأَيِّ سُرْعَةٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ حِينٍ إِلَى آخَرٍ، وَلَكِنَّهَا جَارِيَةٌ أَمْرَ رَبِّهَا كَانَسَةٌ دُونَ تَوَقُّفٍ بِقُدْرَتِهِ الْقَادِرَةِ ، لِنَظَلَّ السَّمَاءُ مَشْهُدَ الزَّيْنَةِ بِنُجُومٍ مُكْتَمِلَةِ الْهَيْئَةِ وَ عَلَى قَدَرٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْإِنَارَةِ وَ الْحَرَكَةِ مَا دَامَتْ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ!

وإِرجاع البصر إلى أسلوب الآية الكريمة يتبدَّى القسم العظيم بأسلوب النقي * الذي تفيد فيه " لا " « التوكيد، وأصلها نافية تدلّ على أنّ القائل لا يُقدِّم على القسم خشية سوء عاقبة الكذب فيه، وبمعنى أنّه غير محتاج إليه، لأنّ الأمر واضح الثبوت، ثمّ كثر هذا الاستعمال فصار مراداً تأكيد

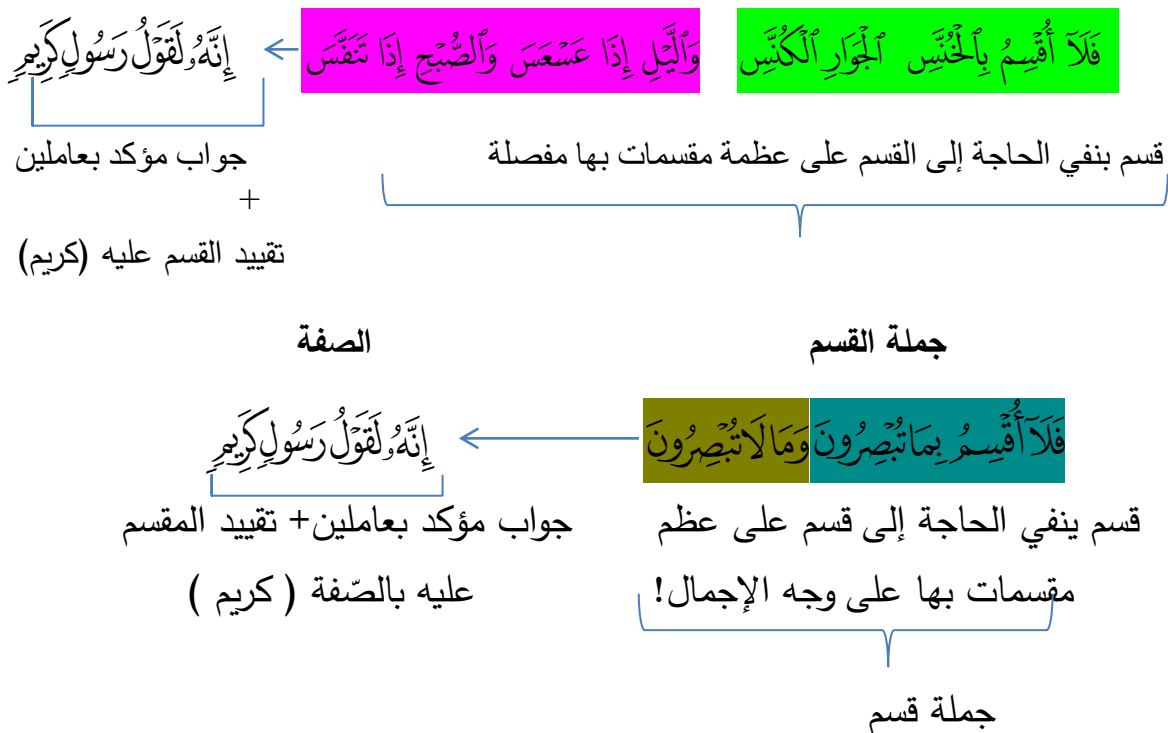
* هذا قسم ورد بصيغة النقي للإثبات ، و قيل أنّ " لا " : زائدة – مع التّحفظ على مفهوم الزيادة في القرآن الكريم ، و لكن للنحو مصطلحاته – كما ذكر الكلبيّ و السيوطيّ و الطبريّ في تفاسيرهم.

الخبر فساوى القسم»¹ وقد ظهر في آيات كثيرة من الذكر الحكيم، كقوله - تعالى - : «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْعِدِ النُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّتَوَعَّلَمُونَ عَظِيمٌ» سورة الواقعة : 75 - 76 ، و قوله :

«فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» سورة الحاقة : 38 - 40 ، و بإرجاع البصر كرتين في الآية الكريمة قيد البحث و الآيات من سورة الحاقة يمثل التكامل و تفسير القرآن بالقرآن .

الشكل رقم : (05) : إيضاح التناسب و التكامل بين الآيات : التكوين : 16 و الحاقة : 38 -

40



¹ ابن عاشور : التحرير و التتوير ، ج : 27 ، ص : 301 في تفسيره سورة الفاتحة.

في الخطاطة - أعلاه - يمثل النقي في جملتي القسم من كل آية، ويتميز جوابه فيهما
 باجتماع عاملَي التوكيد "إن" و "اللام"، والسورتان مكّيتان وما ورد على جهة التفصيل في الأولى -
 لأنها نزلت قبل الحاقّة و ترتيبها هو السابع (07) في القرآن الكريم في حين ترتيب التكوير هو
 السابع والسبعون (77) - أجملته الثانية ، و إذا كانت النجوم على صنفين ، ظاهر للعين كالنجم الثاقب
 - سواء أكانت هذه العين بيولوجيّة أم تليسكوبيّة- وآخر جارٍ كانس لا تطاله الأبصار، فإنّ التناصب
 البادي عجب من أعاجيب القرآن الكريم، يثبت به توكيدا أنّ ما ينطق به الرّسول - ﷺ - مكن قول
 فإنّما هو ﴿وَحْيٍ يُوحَى ۚ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ النجم : 04 - 05، ثمّ إنّ جواب القسم فيهما لا يكتفي
 بمجرد التوكيد بالعاملين، بل يصف الرّسول - إمّا هو جبريل - عليه السلام - أو محمّد - ﷺ - بـ (كريم) !!
 أليس من حقّ البحث أن يدرج معنى الآية الأولى في الثانية بحقّ الخاصّ المندرج في العامّ والسابق
 المقدمّ للأحق من أدلّة وحدانيّة الله - ﷻ - وصدق نبوّه رسولّه الكريم ؟ أليس له أن يجعل الخنس
 الجوّاري الكنس ضمن دائرة ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ سورة الحاقّة : 39 ؛ لئن لم يجرؤ على الجزم بذلك فإنّه
 يحتمله على نحو يراوده فيه الاعتقاد واليقين!.

بهذا الإباء المعجميّ للمتلازمة الوصفية (الجوار الكنس) للموصوف (الخنس) فإنّه يظنّ
 الأنسب لتقديم النجوم الخنس التي تهوي في مواقعها كائنة صفحة السماء من نجوم أخرى انتهت مدّة
 صلاحيتها كعلامات اعتداء للناس وزينة متألّفة وصارت دخانا كونيا، لتتشكّل منها في تلك المخانس
 نجوم جديدة، وتبدأ منها حياة بعد موت، وتكون دليل صدق ما كذب به الكافرون، وبرهان نبوّه الرّسول
 الأكرم - وباتّساقها مع بقية مكوّنات النظم القرآنيّ الموسوم بأسلوب القسم من جهة ومن جهة أخرى
 بقصر الآيات المشحونة بالدلالات - وهو ما ألجم القرشيّين بجزالته اللّسانيّة، الجامعة بين قوّة المعنى
 والقصد في المبنى - كما تخيّر لهما الوحي الشّريف أن تكون فاصلة الصّفة الثانية منهما سينية،
 بصغيريّة مهموسة تخاطب الأرواح بلطف، عن ألطف رسول - جبريل أو النّبيّ الخاتم - لتؤكد لهم

استغراقه معاني الكرم ، فوصفه بكلمة منتهية بالميم المهموسة أيضا، والمنونة تتوين العظمة المطلقة إطلاق الألف بعدها وإن خيل إلى الذهن أنها تنكير وإبهام..

هكذا يمتن - ﷺ - ﴿بِالْخُنُسِ ١٥ الْجَوَارِ الْكُنُسِ﴾ التي أقسم بها كما يمتن على الناس بإرساله رسولا إليهم، يُجري فيهم أمر الله - ﷻ - ويكنس عنهم ليل الاستعباد، فيخرجون من مكانس الجهل و قد أدركوا أنّ من آيات السماء نجوما خائسة جوارى كنسا، لا فصل بين الموصوف وصفته، وهو ملمح عجيب في تخير الكلمة وموقعها وما يجاورها ممّا يؤدّي إلى أنّ الوحي يوحه لأنصار والبصائر إلى آية كونية أعجب و هي وفق الاصطلاح القاصر " ثقب سوداء " ، صانعة بهجة الأعين منتظرة بعد إعادة تكوين لا يقدر عليه إلا فاطر الوجود - ﷻ - في مكانسها فلا تضيع منها ذرة دخان كوني ، ممّا يحتمل ضياعه لو كان في ثقب ما !! والله أعلم..

صفات ثلاث لرجوم ومثلها لنجوم!

(خلاصة المبحث الثاني)

في معراجهِ إلى السَّماء، وقد استوقفته موصوفات ثلاثة، يسجِّل البحث عجبهُ من صفات عبَّر بها القرآن عن أدلّة مرجعيّة إلى الله-تعالى-، وإن كان في الأصل القول أنّها موصوفات لا ثلاثة، فالأوّل شهاب، مبین، أو رصدًا، أو ثاقب، بأيدي ملائكة تحرس أمانة الوحي وأسرار الغيب-إلا ما شاء الله-عزّ وجلّ--، تُنهي بها حياة المتجسّسين من الجنّ والشّياطين ويُهلك بها-سبحانه- كفّار الأرض المجاهرين فيها بالفساد رجُمًا؛ وهي ذات منافع، فالعين تقع على ما يسرّها من ضوئها وعجيب سرعتها، وللنّفس برؤيتها بهجة بزينتها، والصفات الثلاث نكرات تكثرًا يفضي إلى لا محدوديّة قوّتها ومطلق شدّتها-شهبًا ونيازك- في عرف العلم المادّي-، ومنونة تتوين عظمة لها وللعظيم-جلّ جلاله- الذي خلقها وأودعها من أسرار القوّة ما يشير إلى بعض قوّته؛ ضمّتها سياقات خبريّة تثبت الحقيقة، وتقرّر الحياة المليئة بالأحداث في عالم الجنّ والملائكة، يؤمن بها القلب الذي صدق بالقرآن جملة وتفصيلاً، سواء أكانت الشّهب المرئيّة زينة وظاهرة فلكيّة، أم سلاحاً تحمله الملائكة الكرام في مطاردتها مسترقي السّمع ممّن لا تراهم العين، ولكن يؤمن بها من آمن!.

والنّجوم، موصوفان، أحدهما مفرد، والثّاني جمع، للأوّل صفة واحدة، فهو الثّاقب لما في السّماء من مجرّات وأفلاك، وما في الغلاف الجوّي للأرض، بل وللأرض في حدّ ذاتها، لو سلّطه عليها-سبحانه- لأبادها بنبضة واحدة، وطريقة منه لا تالية لها، فتحيلها خبرًا لكان، لولا حفظ الله-تعالى-، والثّاني الخنّس بصفتيها المتلازمتين (الجوار الكنّس)، نجوم تخنس في كناسها بعد جري أبديّ عندما يحين موعد انفجارها المؤذن بنهايتها، معرّفة (الخنّس) وصفاتها، كتعريف النّجم

الثَّاقِب، والثَّلَاثَة، مُقَسَّمٌ بِهَا، عَظِيمَة، دَالَّةٌ عَلَى عَجِيبٍ مَا صَنَعَتْ يَدُ اللَّهِ-سُبْحَانَهُ- مِمَّا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ
رَأْيَ الْعَيْنِ.

فَصَفَاتُ شَهَابٍ-وَهُوَ بِصِفَاتِهِ شَهَبٌ فَوْقَ الْعَدِّ وَالْحِسَابِ- مُؤَدِّهَا الْإِيمَانُ بِعَالَمِ الْغَيْبِ،
وَصَفَاتُ النُّجُومِ-مُفْرَدَةٌ وَجَمْعًا خَنَسًا- حُجَجُ الْإِيمَانِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ!!!.

وَاللَّهُ-تَعَالَى- أَجَلٌ وَأَعْلَمُ!.

الفصل الثالث: الصّفتان المفردتان الظّاهرتان للسّراج والقمر:

أ. وهّاجا.

ب. منيرا.

توطئة:

هما النّيران، متلازمان قرآنيّان إلّا فيما ندر من الآيات الّتي توهّجت فيها الشّمس بمفردها، أو أنار فيها القمر بعيدا عنها، وهو ما جعل البحث يجنح إلى الجمع بينهما ، كما قدّر لهما الخالق - ﷻ - أن يجتمعا في أي كتابه الكريم، و في السّماء، و يوم القيامة .

وتعريفا بهما، يستهلّ بالأكبر حجما والأكثر وضوحا والأغلب حضورا في القرآن الكريم ، و هو الشّمس..

أ - معجميّاً : « (شمس) : الشّين والميم والسّين أصل يدلّ على تلوّن وقلة استقرار، فالشّمس معروفة، وسمّيت بذلك لأنّها غير مستقرّة، هي أبدا متحرّكة (..) و يقال " شمس " يومنا و " أشمس " : اشتدّت شمسها، ورجل " شمس " إذا كان لا يستقرّ على خلق، ، ويقال : " شمس " لي فلان إذا أبدى لك عداوته «¹، وما كلّ موادّ " شمس " تدلّ على التّحوّل والعداوة، إذ تطلق " الشّمس " أيضا على « ضرب من القلائد «² فهي زينة بارزة على الجيد، وقريب قال منها القول : « يوم " شامس " : واضح (..) ، اللّيث : " الشّمس " : عين الصّحّ (..) أراد : أنّ " الشّمس " هو* العين الّتي في السّماء تجري في الفلك وأنّ الصّحّ ضوءه الّذي يشرق على وجه الأرض «³ ، فعدم الاستقرار والحركة الدّوّوب، مع الجمال الّذي يسوّغ تسمية القلائد شموسا، هو كلّ مجتمع في الآية الكونيّة الّتي خلقها الله - ﷻ - : «اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

¹احمد بن فارس : مقاييس اللّغة ، ج : 03 ، ص : 212 - 213 .

* هكذا وردت ، و الأصحّ : هي.

²ابن منظور : لسان العرب ، مج: 04، ج: 07، ص : 174.

فَأَخْرَجِبِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿سورة إبراهيم : 31- 32﴾.

وبما أنها جعلت (سراجا وهاجا)، لا مناص أيضا من مقاربة (سراج)، حيث : « السّين والراء والجيم أصل صحيح يدلّ على الحُسن والزّينة والجمال، من ذلك " السّراج " سمّي لضيائه وحسنه، ومنه " السّرج " للدّابة، هو زينته*، و يقال : " سرج وجهه : حسنه «¹.

و من هذا الأصل « قال الأصمعيّ: السّريجيات : سيوف منسوبة إلى قَيْن يقال له سريج² ، و تعرف السيوف الجيدة بلمعانها و طولها في مضاء وقوة، والمشتقّ (سراج) هو « المصباح الزّاهر الذي يسرج بالليل والجمع " سُرُج " ، و " المسرجة " : التي فيها الفتيل (..) و " السّراج " : الشّمس، و في التّنزيل : ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ النبأ : 13 ، و قوله : ﴿وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ- وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ سورة الأحزاب : 46 إنّما يريد مثل السّراج الذي يستضاء به، أو مثل الشّمس في النّور والظّهور (..) و " أسرج السّراج " : لأوقده، و جبين " سارج " : واضح كالسّراج «³ ، و بهذا يقوم الدّليل بأنّ العرب استعملت (السراج) بديلا بالشّمس في سياقات معيّنة.

ب - اصطلاحا : الشّمس The Sun : « عبارة عن كرة ضخمة من الموادّ الملتهبة، تنبعث منها طاقة إشعاعيّة متباينة، بعضها مرئيّ مثل الأشعة الصّوئيّة، و بعضها غير مرئيّ كالأشعة الحراريّة، تقدّر درجة الحرارة على سطحها بنحو 6000°م تزيد في مركزها عن مليون درجة مئويّة، وتتطلق من سطحها نافورات ملتهبة متباينة الأشكال تعرف باسم النّتوءات Prominences تصل

* هكذا وردت ، و الأصحّ : زينتها.

¹أحمد بن فارس : مقاييس اللّغة ، ج : 03 ، ص : 156

²أحمد بن فارس : مقاييس اللّغة ، ج : 03 ، ص : 156.

³ابن منظور : لسان العرب ، ج : 02 ، ص : 298.

مسافتها في الفضاء أكثر من 83 كم ، و يبلغ قطر الشمس حوالي 1.382.000 كم ، (..) أما وزنها فيقدّر بألف مليون مليون طن¹ ، هذه الكتلة الملتهبة في السماء « تعتبر فرنا نوويًا حراريًا هائلًا تتم فيه عملية الاندماج النوويّ مولّدة طاقة تقدّر بحوالي 15 مليون درجة مطلقّة، تحت ضغط يقدر الأربعمائة مليار ضغط جوّيّ، ممّا يؤدي إلى تزايد كثافة المادّة في نوار الشمس حتّى تصل إلى ما بين التّسعين و المائتي جرام / سم³، ولذلك يتركّز نحو 60% من كتلة الشمس في نواتها التي لا تشغل سوى 2% فقط من حجمها²، و هي بهذه الخصائص « تسير في الفضاء صاحبة معها المنظومة الكونيّة بسرعة قدرها 19 ميلا / ثا، و تدور حول نفسها كلّ 27 يومًا، بينما تدور حول مجرّة سكّة التّبانة بسرعة 220 / ثا و تكمل دورتها حول قرص المجرّة في 240 مليون سنة³».

ممّا تقدّم من حقائق فلكيّة و فيزيائيّة عن الشمس، فإنّها جارية حول نفسها وحول المجرّة ، فلا استقرار لها ولا كمون، و فيها من الغازات القابلة للاشتعال ما يجعلها سراجًا كبيرًا * ذا فتيل لا ينطفئ إلّا بأمر الله ، و يضيء من العالم ما لا يعلم حدوده إلّا خالقه - ﷻ - .

أما القمر ، فمن : « (قمر) : القاف والميم و الرّاء : أصل صحيح يدلّ على بياض في شيء، ثم يفرغ منه ، من ذلك " القمر " : قمر السماء ، سمّي " قمرًا " لبياضه، و " قمر " القوم الطيّر إذا تمشّوها ليلاً فصادوها (..) و من الباب " قمر " الرّجل إذا لم يبصر في الثلج (..) فأما

¹ محمد صالح ربيع العجيلي : معجم المصطلحات و المفاهيم الجغرافيّة ، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط:01، 2015، الأردن- عمان ، ص : 106.

² زغلول النّجار : السماء في القرآن الكريم ، ص : 437.

³ أسامة عليّ الخضر : القرآن و الكون من الانفجار العظيم إلى الانسحاق العظيم ، المكتبة المصرية، ط: 01، 2007 من ص : 589 - بتصرّف - .

* و ليست أكبر سراج لوجود شمس أكبر و أكثر في السماء ، للمزيد ، ينظر : فضلا : هشام طالب ، بناء الكون و مصير الإنسان ، ص : 352.

قولهم " قَمَرٌ " " يَقْمِرُ " " قَمْرًا " و " القمار " من " المقامرة " ، فقال قوم : هو شاذٌّ عن الأصل الذي ذكرناه، و قال آخرون : بل هو منه، و ذلك أنَّ " المقامر " يزيد ماله و ينقص ولا يبقى على حال «¹ فإذا قيل : « ليلة " قمرء " أي مضيئة »² و (القمر) أيضا : « لون إلى الخضرة ، و قيل : بياض فيه كدرة ، (..) قال ابن قتيبة : " الأقمر " : الأبيض الشديد البياض، و الأنثى : " قمرء " ، و " القمران " : الشمس و القمر »³ ؛ و إن غلب على (قمر) شدة البياض فإنه لم يسلم من أخلاط الألوان --الخضرة و الكدرة - ، ممَّا يحيل إلى ما بعث به النبي ﷺ -﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ - وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ سورة الأحزاب : 45-46 من ضوء كالذي ينبثق من السراج و نور خالص لأنه لم يكن من قمر - و الله أعلم - .

ب - اصطلاحا : القمر The Moone : « تابع للأرض (..) يلعب * دورا هامًا في حركات المدّ و الجزر المحيطيّة، و في الوقت نفسه في الحركات غير المنتظمة للدّورة الأرضيّة »⁴، و يعرفه (زغلول النّجار) بدقّة أكبر أنّه : « تابع صغير للأرض يبعد عنها بمسافة تقدّر في المتوسط بحوالي 384.000 كم، و هو على هيئة شبه كرة من الصّخر غير كاملة الاستدارة (..) و تقدّر كتلته بحوالي 735 مليون مليون طنّ ، و قطره بحوالي 3474 كم ، (..) و يدور حول الأرض في مدار شبه دائريّ بسرعة متوسطة تقدّر بحوالي 1 كم / ثا، و يدور حول محوره بنفس السرعة ليتّم دورته حول الأرض في حوالي 29.5 يوم من أيامها (..) و تتراوح درجة حرارته سطحه

¹ أحمد بن فارس : مقاييس اللّغة ، ج : 05 ، ص : 26.

² الجوهريّ : تاج اللّغة و صحاح العربيّة ، ص : 883.

³ الفيروز آباديّ : القاموس المحيط ، ص : 1089.

* يُتَحَفَّظ على هذه اللفظة لعدم صحّتها و قصورها عن إيفاء المعنى المراد ، لقوله - ﷺ - : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمُوتَ الْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمُ الْعِبِينَ ۚ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة الدخان : 38 - 39.05

⁴ بيار جورج : معجم المصطلحات الفلكيّة ، ترجمة: محمد الطفيلي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط: 02، 2002، بيروت- لبنان، ص : 645.

في نصفه المواجه للشمس بين 1100° نهاراً و 120°م تحت الصّفر ليلاً، و سطحه معتم بصفة عامّة، وعلى الرّغم من ذلك فإنّ الله - تعالى - جعل له القدرة على عكس ما قيمته 7.3% من أشعة الشّمس¹، و كما تنبّج به المعلومات الفلكيّة، فإنّ القمر لا غنية له عن الشّمس، وهما معا ضروريّان لحياة الإنسان، وقد وردا معا في أغلب الآيات البيّنات، وظهر أحدهما دون الآخر في قلة منها، بما يتناسب والحكمة الإلهيّة في النّظم القرآنيّ، والجدول الآتي يبين هذا..

الجدول رقم (58) : مواضع الشّمس و القمر في القرآن الكريم

الرّقم	السّورة و الآية	الشّمس	القمر
01	البقرة : 258	+	
02	الأنعام : 77		+
03	الأنعام : 78	+	
04	الأنعام : 96	+	+
05	الأعراف : 54	+	+
06	يونس : 05	+	+
07	يوسف : 04	+	+
08	الرّعد : 02	+	+
09	إبراهيم : 33	+	+

¹ زغلول النّجار : السّماء في القرآن ، ص : 455 - بتصرّف - .

+	+	التَّحَلُّل : 12	10
	+	الإِسْرَاء : 78	11
	+	الكهف : 17	12
	+	الكهف : 86	13
	+	الكهف : 90	14
	+	طه : 130	15
+	+	الأنبياء : 33	16
+	+	الحجّ : 18	17
	+	الفرقان : 45	18
+	+	الفرقان : 61	19
	+	النَّمْل : 24	20
+	+	العنكبوت : 61	21
+	+	لقمان : 29	22
	+	الأحزاب : 46	23
+	+	فاطر : 13	24
	+	يس : 38	25

+		يس : 39	26
+	+	يس : 40	27
+	+	الزّمر : 05	28
+	+	فصّلت : 37	29
+	+	فصّلت : 37	30
+	+	ق : 39	31
+		القمر : 01	32
+	+	الرّحمن : 05	33
+	+	نوح : 16	34
+		المدّثر : 32	35
+		القيامة : 08	36
+	+	القيامة : 09	37
	+	الإنسان : 13	38
	+	النّبأ : 13	39
	+	التّكوير : 01	40
+		الانشقاق : 18	41

	+	الشمس : 01	42
+		الشمس : 02	43

يعرب الجدول عن ثلاثة و أربعين (43) موضعا ذكر فيه النيران - مع احتساب "سراج " دليلا على الشمس - ، و التأمل في تكرارات حضور كل منهما مع الآخر أو من دونه يفصح عن الآتي:

- 1- آيات المنّة بخلقهما ضمن الكثير ممّا سخر الله - ﷻ - للناس انتان وعشرون (22) آية، وهي من مضاعفات العدد احد عشر (11) الذي اكتشفت بعض عجائبه في القرآن الكريم.
- 2- وردت الشمس دون القمر في أربعة عشر (14) موضعا، وهو المضاعف الأول للرقم سبعة (07) ذي العجائب أيضا في كتاب الله - ﷻ -
- 3- ورد ذكر القمر من دون الشمس سبع (07) مرّات أي بنصف عدد الآيات التي ذكرت فيها الشمس، وكأنّ في ذلك اقتسام للمهام بينهما ليلا

و نهارا، و في الوقت ذاته، يدلّ على قلة حجم القمر مقابل كبر حجم الشمس !

فإذا حذفت الكلمة (سراجا) - كما فعل عبد الدائم الكحيل في برنامجه الإحصائيّ لكلمات القرآن - ترتسم الملاحظات الآتية :

- 1- عدد مواطن اجتماع الشمس و القمر في القرآن سيكون تسعة عشر

(19) ، و قد اكتشف علماء الفلك أنَّهما يجتمعان حقًا كلَّ تسعة عشر (19) عاما،

فيتحقّق الاقتضاء اللّسانيّ باقتضاء نواميس الكون.

2- وردت شمس - بهذا الاعتبار - في القرآن الكريم ثلاثا و ثلاثين (33)

3- مرّة، تقابلها سبع وعشرون (27) مرّة لورود كلمة قمر، وفي هذا نكتة إحصائيّة متعلّقة

بالرّقم (27) الذي هو من مضاعفات التّسعة (09)، لم يذكرها الباحث (الكحيل) على

موقعه الإلكتروني*.

بعد هذه التّوطئة، يقترب البحث من ضياء الشّمس، وقد ألقى لها صفة مفردة ظاهرة واحدة، ولم يرد لها مشتقّ في ثنايا كتاب الله العزيز، هي (وهّاجا)، فتستولي بذلك على النّسبة الكاملة (100%) لصفات الشّمس، ونسبة (50%) في مبحثها (الشّمس و القمر) ونسبة (5.88%) في صفات آفاق السّماء و(1.40%) بين صفات الآفاق ؛ نسب توحى بانعدام التّكرارات لعدم الحاجة إليها فليس أوضح من الشّمس بين مرثيات السّماء، والواحد يغني عن الكثير إن كان بخصائصها التي أدرك منها القليل !

ينفذ البحث إلى (وهّاجا) من معانيها في مصادر اللّسان العربيّ ، حيث تعود إلى « (وهج) : الواو والهاء والجيم كلمة واحدة وهي " الوهج " : حرّ النّار وتوقّدها، و يستعار ذلك فيقال : " توهّج " الجوهر: تألّأ، و" توهّجت " رائحة الطّيب و " توهّج " الطّيب : أرجه و رائحته، و " سراج وهّاج " : وقّاد، وكذلك نجم وهّاج»¹ وعند (الجوهريّ) : « " الوهّج " - بالتّحريك - حرّ النّار، و " الوهّج " بالنّسكين : مصدر " وهجت " النّار " تهج " وهجا " و " وهجانا " إذا انقّدت (..) و "

* على الشّابكة موقعه : www.kaheei7.com

¹أحمد بن فارس : مقاييس اللّغة ، ج : 06 ، ص : 384.

توهّجت " رائحة الطيب " أي توقّدت¹ و في اللسان : « يومٌ "وهج" و " وهجان " : شديد الحرّ (..) و " الوهج" و " الوهجان" و " التوهّج " : حرارة الشّمس والنّار من بعيد، و " وهجان " الجمر : اضطرّام توهّجه، و قد توقّدت النّار و " وهّجت " ²؛ فجميع ما ذكر يؤول بـ (الوهج) إلى الحرارة و الاشتعال مع ملاحظة الإضافة المتمثّلة في الحرارة المحسوسة عن بُعد في كلام (ابن منظور)، ولم يضيف (الأصفهاني) إلى ما جاء به المعجميون الأوائل شيئاً³، ممّا يحيل إلى كلمة (وقّادا) التي وردت مرادفا لـ (وهّاج) المسجور من الفصل الأوّل لهذا البحث ومع ذلك فإنّه لا مناص من تتبّع دلالات هذا المشتقّ الذي ورد في القرآن الكريم و ربطها بالصفة (وهّاجا) حيث اختصّت تكرارات خمس (05) بدلالة النّار الموقدة على جهنّم، العذاب الأبديّ للكافرين، وتتفرّق الخمسة الباقية على نار استوقدت واننظرت حتّى أضاءت ما حول موقدها، وهنا تحضر إمكانيّة عدم الإضاءة لأتّيار على إطلاقها (سورة البقرة : 17)، وفي سورة الرّعد ورد فعل الإيقاد الماديّ المعروف عن النّار لصهر المعادن، غير بعيد عنه إيقادها بطلب من فرعون إلى هامان تهيئةً للطين وبناء الصّرح في سورة القصص، كذلك إيقادها في سياق المنّة الإلهيّة على النّاس من الشّجر الأخضر كما ذكرته سورة يس، ، و يبقى " المشتقّ " يوقد " المتعلّق بالكوكب الدّريّ الذي شُبّهت به الرّجاجة في مثل سورة النّور ولله المثل الأعلى؛ ولكلّ موضع من هذه المواضع المتفرّقة طرف من الوهج، لكنّه لا يحتوي كلّ مكوّاته الدّلاليّة (الحرّ والضّوء، والمنفعة، والبعد والحسن)، وهو ما يجعل الصّفة (وهّاجا) معتصمة بموقعها و أهليّتها وحدها أن تكون من عوامل تعريف السراج .

¹ الجوهريّ: تاج اللّغة وصحاح العربيّة، ص: 1163.

² ابن منظور : لسان العرب ، ج : 02 ، ص : 401.

³فضلا : ينظر : الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، ص : 549.

يعزّز هذه الأهلّة نهائية (وهج) بصوت الجيم الجامع بين صفتي الاحتكاك والشدة في انفجارية مع قلقة ظاهرة إن وقف عليه، والدالة على التكرار والقوة، شأنه شأن كثير من الكلمات المنتهية به من حيث دلالة كل كلمة على واحدة من هذه الصفات، نحو :الأجج : تلهب النار - البرج : كل ظاهر مرتفع -البهج : من البهجة : الحُسن - السَّهج : هبوب دائم للريح - الغنج : الدلّ -التَّجج : الصَّبّ الكثير - الزَّبرج : الزينة - السراج : المصباح الزَّاهر -الصَّيهج : الصخرة العظيمة - الفيج : الانتشار - الهيج : الريح الشديدة و الحركة.*

و من براعة النظم القرآني، أن تنتهي الصفة والموصوف بهذا الجيم، فيحصل التناصب صوتا خطأ و دلالة، وهو ما لا يسمح لـ (لشمس) أن تكون محلّ (السراج) لما في السين من همس و رخاوة و اختفاء ! في حين حوت بطون الكثير من كتب التفسير إمكانية التبادل بينهما ، منها قول (الطبري) في الآية : «وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا» سورة النبأ : 13 يعني بالسراج الشّمس ، و قوله «وَهَّاجًا» يعني وقادا مضيئا (..) وعن ابن عباس : : «وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا» يقول : سراجا منيرا ¹ «¹ و يُقصد بـ «وَهَّاجًا» حارًا مضطربم الاتقاد ²»، أما (الرازي) - رحمه الله - فيخلص إلى نتيجة بعد ملاحظته أن «كلام أهل اللغة مضطرب في تفسير " الوهاج " فمنهم من قال "الوهج " : مجمع النور والحرارة ، فبين الله - تعالى - أن الشّمس بالغة إلى أقصى الغايات من هذين

* جمعت هذه الكلمات و شروحها اعتمادا على معجم (لسان العرب لابن منظور) ، ج : 08، ج:15 ، ص : 351-352.

¹الطبري : جامع البيان ، دار المعرفة، ط: 01، 1329 هـ، بيروت، لبنان، مج: 12، ج: 30، ص : 04 ، و يتقاطع معه في هذه الرؤية السادة المفسرون : السيوطي : الدر المنثور ، ج : 06 ، ص : 306 ، و القاسمي : محاسن التأويل ، مج : 07 ، ج : 17 ، ص : 244 ، محمد بن هود بن محكم الجزائري : تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق : بالحاج بن سعيد شريقي ، دار البصائر للنشر و التوزيع ، ط: 01، 2005م، الجزائر- الجزائر. مج : 04، ص: 448 .

هود بن محكم الهواري : تفسير كتاب الله العزيز ، مج : 04 ، ص : 415.

² أبو حيّان الأندلسي : النهر الماد من البحر المحيط ، مج : 05 ، ص ، 495.

الوصفين، وهو المراد بكونها "وهّاجاً"، و روى الكلبي : عن ابن عباس أنّ "الوهّاج " مبالغة في النّور فقط، يقال للجوهر إذا تألّأ توهّج، وهذا يدلّ على أنّ " الوهّاج " يفيد الكمال في النّور (..) و في كتاب الخليل : " الوهّج " : حرّ النّار والشمس، وهذا يقتضي أنّ " الوهّاج " هو البالغ في الحرّ.¹ فليست الشمس الجرم المضيء نهراً موصوفة بالوجع وإنما كونها سراجاً هو شرط الوصف ولازمة كما أرخ.

هذا المبلغ الكبير من الحرّ والنّور والاضطراب فيما يتّقد به ينشر شيئاً من لفحه ووضحه الوزن الصّرفيّ الذي قدّم به الوحي الكريم الصّفة " وهّاجاً" أي صيغة المبالغة " فعّالاً"، و قد صور حركة التّوهّج المتكرّرة وصورة غير المنقطعة المتصلة أوقاتها فلا يتبادر الأذهان أن الحرارة تزول حين أو ترتفع حين آخر، كذلك شأن الضوء والحسن فيه مما الحسن لا نحو لا يحده حدّ ، تماماً ما يتناسب وتتكبر الجملة الوصفة الوصفية في الآية الكريمة «سراجاً وهّاجاً» تنكير يؤكد محدودية الإمام بمعنى " وهّاجاً " ولكنه لا يمتنع محاولات النظر تأملاً وإعجاباً وعجب لما فيه من تنبيه المستبصر إلى عدم قدرته الإمام بكلّ أوجه التّوهّج في سراج الشمس .

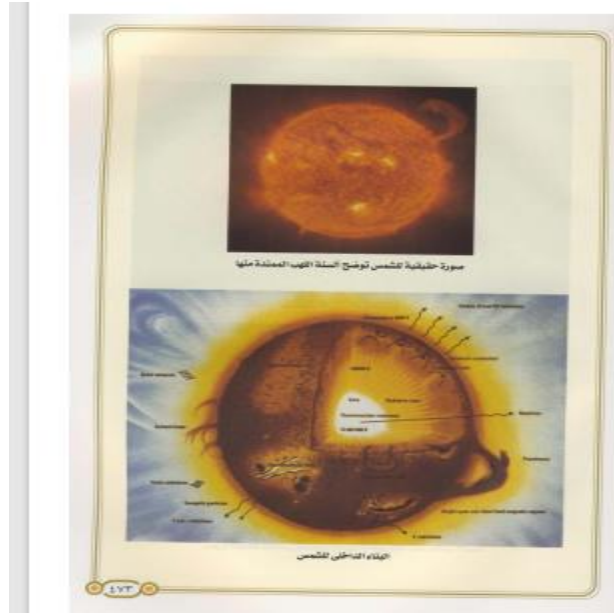
إنّ بيان فريد عجيب، يمنع بقدر ما يمنح، ليبقى مساحة مفتوحة يدّكر في أيها كلّ النّاس على اختلاف مستوياتهم الإدراكية و وسائلهم الاستبصارية.

¹الفخر الرازي : التفسير الكبير، مج: 16، ج : 31 ، ص : 09.

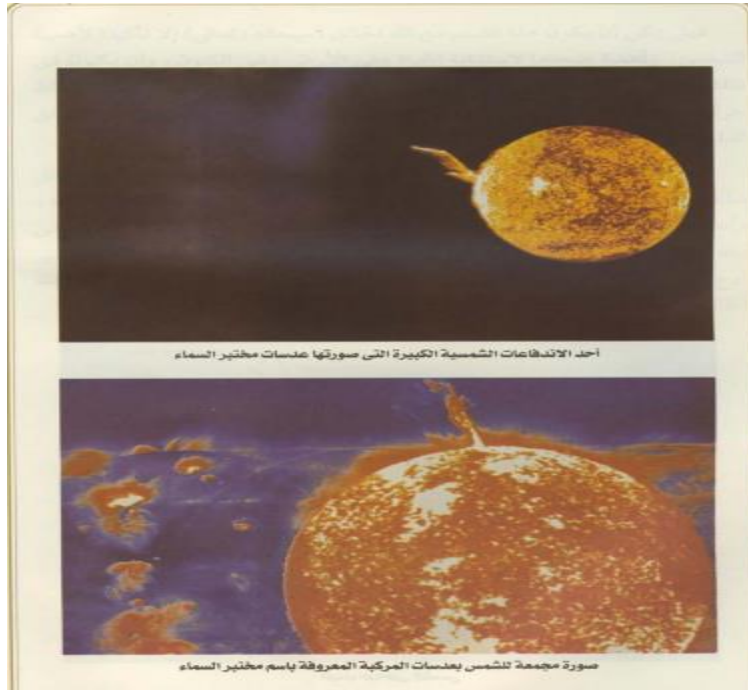
وها هو ذا العلم يمدّ تليسكوباته إلى السراج الوهاج، ليلفيه كونا عظيما يتكوّن من عدّة نُطُق وأجزاء* أجلاها نطاق هالة " إكليل " الشمس The Solar corona التي « لا حدّ أعلى لها، إذ تنتشر مادّتها لتتداخل مع مادّة الكون، ولأسباب لم تُعرف بعد ترتفع درجة حرارتها إلى أكثر من مليون درجة مئويّة، وتمتدّ ألسنة من نطاق الألوان الشمسيّة فتصل إلى هالتها، وتعرف باسم ألسنة اللّهب أو البروزات الشمسيّة Solar Prominences التي ترتفع إلى مسافات تتراوح بين عشرة آلاف و أربعين ألف كيلومتر فوق هالة الشمس، وتتعدّى ذلك في أوقات الانفجارات فتصل السبعمئة ألف كيلومتر (..) و تتراوح درجة حرارتها بين ستّة آلاف وثمانية آلاف درجة مطلقة . ومن الظواهر الشمسيّة الهامّة : ما يعرف باسم الومض أو الوهج الشمسيّ The Solar Flares و يحدث نتيجة للزيادة المفاجئة في انبعاث نوى ذرات الأيدروجين من مناطق البقع الشمسيّة لفترات تتراوح بين ثوان قليلة و عشر دقائق ، يصاحبها انطلاق كمّيّات هائلة من الطّاقة، والشمس محوطة بسحابة من الجسيمات المشحونة بالطّاقة التي تندفع في كلّ الاتجاهات مكوّنة ما يسمّى بالريّاح الشمسيّة The Solar Winds بسرعات تصل إلى 720 كم / ثا¹

* هذه النُطُق : 1- النواة The Solar Core ، 2- نطاق الإشعاع الشمسيّ The Solar Radiation Zone ، 3- نطاق تيارات الحمل في الشمس the Solar Convective Zone ، 4- نطاق الصّوء الشمسيّ The Solar Photosphere ، 5- نطاق الألوان الشمسيّة The Solar Cromosphere ، 6- نطاق الأشواك الشمسيّة The Solar Spicules Zone ، - لتفصيل حولها أكثر ، ينظر فضلا : زغلول النّجّار : السّماء في القرآن ، ص : 437- 440 .
¹ زغلول النّجّار : السّماء في القرآن ، ص : 439 - 440 - بتصرّف .

الصورة رقم (08): صورة حقيقية للشمس.



تفسير الآيات الكونية، ج: 4، ص: 474



الصورة رقم (09): صورة مجمعة للشمس بعدسات الحركية.

تفسير الآيات الكونية ج: 3، ص: 476

وبذلك يجد المعجمي في السراج الوهاج إكليلا يشبه في لمعانه فتنة الحلي وحسن القلادة، و يجد فيه العالم مكونات مصطلح فلكي يقترب تارة و يبتعد أخرى عن ألفاظ العرب، ولكن التركيب الوصفي القرآني وحده يجمعها في «سراجا وهاجا!»¹ إن كل معطى في المقتطف - أعلاه - وإن طال - يمثل طرفا من مادة (وهج)، فشدة الحرارة مما لا يدرك سببه إلا خالق هذا السراج - ﷻ - وطول السنة اللهب بما يفوق معرفة العرب بالسوف السريجية، يمدّها الوهج الشمسي المندفع من الهالة بسرعة فائقة، تكتنفه الرياح العجيبة ..كلها متضمنة في هذا المعطى القرآني المتسم بالجزالة الباهرة وصفا..(وهاجا)!

وإذا كانت الكلمة الواحدة (وهاجا) و الكلمتان الاثنتان «سراجا وهاجا» ترتقيان بفهم المتلقي إن على المستوى الإفرادي أو التركيبي وتمنحانه مجالا أوسع كلما ارتقى في السماء، فإنهما تقبلان المعاني الإفرادية والجامعة، ثم يحل السياق ليمضي بالصفة (وهاجا) بين عالمين : سماوي مزهر بالزينة فيه أسباب النعم، وأرضي مزدهر بالحياة فيه مشباها، فبين - تعالى - في الآيات 12 - 14 بعض منته بالسقف المحفوظ « و ما يحويه من القناديل الزاهرة و المنافع الظاهرة لإحياء المهاد و من فيه من العباد «فتبدو بذلك رحمته - ﷻ - بعباده ، وهو القادر على عذابهم بهذا السراج الوهاج ذاته ! ذلك « أن الحياة على الأرض تتوقف على حرارة الشمس ولحكمة الخالق العظيم وضع كل منهما على مسافة معينة من الآخر تقدر بحوالي 93 مليون ميل، فلا يصل منها إلا (2.000.000.000) من طاقتها، وهو القدر الأمثل الذي يتلاءم مع قانون الحياة على الأرض بدقة مطلقة، وكل نار توقد على الأرض، وكل مادة تأكلها الكائنات الحية مصدرها طاقة

¹البقاعي : نظم الدرر ، ج : 21 ، ص : 197. فتبدو بذلك رحمته - ﷻ

الشمس «¹، ثم يوجّه - ﷻ - الأبصار التي ارتفعت نحو السماء إلى ما بين يديها من موجودات الأرض مستهلاً « بما يطفئ الحرارة برطوبته و برودته فينشأ عنه المأكّل و المشرب الذي به تمام الحياة»².

ويبرز التركيب الوصفي العجيب «سراجاً وهّاجاً» حلقة متألّئة ذات مشدّين، أحدهما معلق في السماء و آخر نازل إلى الأرض، أكثر منظورة تراها العين، كما وصفها الآية الكريمة، تقوم بها حجة الله - تعال - على كلّ متسائل - كما تساءل كفّار مكة - عن صدق نزول الوحي المنزل من الله على رسوله الأمين - ﷺ - وقد لبس عليهم الشيطان ما يلبسون، فعَمِيَ على أبصارهم وبصائرهم ؛ هذه الآية الكونية الموصوفة - بتجليها الصوّي هي الحراري والجمالي المتوهّج - دالّ لساني وعلى وزن صرفيّ معيّن وتركيب صوتيّ خاصّ، و دليل على وجود إله يخلق ويسير ويوحى أمره إلى رسوله كما أوحى أمره في كلّ سماء، وما السراج الوهّاج إلّا بعض تجلّي عظّمته التي أشارت إليها " نا " العظمة المتصرّفة في كلّ ما خلّقه و جعلته مسخّراً للعباد..

واستطرادا في معالجة نظم الآية الكريمة، واستجلاء دلالاتها من مختلف الزوايا، يُذكر رأي (ابن عاشور) - رحمه الله - في تضمّنها تشبيها بليغا، وهو ما ينأى عنه البحث، لأنّ خصوصيّة أوصاف السراج (الشمس) تستدعي الوهج، سواء أكان هذا اعتبارا للتكوين الصوتيّ للكلمتين أو مدلوليهما، باعتبار دلالة (السراج) أو (الوهج) أم باعتبار حقيقة فض أن يعتبر الوهج مشبّها به، ما دام من لوازم السراج، ومقام الإخبار بكلمة أريد بها لازم معناها يرجّح الكناية، ويخصّ قيدها بالعلميّة، لما وصل إليه الكشف الفلكيّ و من دلالاتها التي لا حصر لها في علم الله وحده.

¹ عبد العليم عبد الرحمن خضر : المنهج الإيمانّي للدراسات الكونيّة في القرآن الكريم ، الدار السعودية للنشر و التوزيع، ط: 01، 1984، جدة-المملكة العربية السعودية ، ص : 15.

² برهان الدين البقاعي، نظم الدرر ، ج: 21، ص: 198.

وحمادى القول : إِنَّ الصِّفَةَ المفردة الظَّاهرة (وهَجَا) لا تصحّ إلّا لـ (سراجا) ، ولا يصحّ غيرها - مهما اقترب من دلالاتها الهامشيّة - أن يوضع مكانها ، والشَّمْسُ لم توصف في القرآن الكريم إلّا بهذه الحقيقة التي جُعِلت عليها ، فتكون برهانا بصريّا تستهدي به البصائر - و الله أعلم -

قمرا منيرا

إلى الصِّفَةِ المفردة الظَّاهرة للنَّير الثاني من نيرات السَّماء وهو القمر الذي لم يوصف بغير (منيرا) في قوله - ﷺ - : «تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرْجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا» سورة الفرقان : 61 وهي من : (نور) حيث « النُّون والواو والراء أصل صحيح يدلّ على إضاءة و اضطراب و قلة ثبات، منه " النُّور " و " النّار " ، سَميًا بذلك من طريقة الإضاءة ، ولأنّ ذلك يكون مضطربا سريع الحركة ، و " تنوّرتُ " النّار : تبصّرتها (..) و منه " النُّور " : نور الشّجر و نواره (..) و " المنارة " مفعلة من الاستتارة والأصل " مَنْوَرَة " ، و منه : " منار " الأرض : حدودها وأعلامها، سمّيت لبيانها وظهورها، (..) وامرأة " نَوَار " أي عفيفة " تنور " أي تنفر من القبيح «¹ والكلمة الأقرب عند (الجوهريّ) إلى (نور) هي ذاتها : « الضّياء " والجمع أنوار، و " التّنوير " الإسفار «² و كسابقيّه، يرى (الفيروز آباديّ) أنّ « " النُّور : الضّوء أيّا كان أو شعاعه (..) و "استتار " : استمدّ شعاعه «³ ، و هو كذلك عند (ابن منظور) « الضّياء ، ، و "النُّور " ضدّ الظلمة (..) و قيل : هو شعاعه و سطوعه «⁴ ؛ هذه الغلبة لمعنى (الضّوء) لكلمة (نور) وردت أيضا عند (الأصفهانيّ) حيث ذكر أنّ « النُّور : الضّوء المنتشر الذي يعين على

¹ - أحمد بن فارس : مقاييس اللّغة ، ج : 05 ، ص : 368.

² - الجوهريّ : تاج اللّغة و صحاح العربيّة ، ص : 1076.

³ - الفيروز آباديّ : القاموس المحيط ، ص : 1323.

⁴ - ابن منظور : لسان العرب ، مج : 08، ج : 14، ص : 308.

الإبصار، وذلك ضربان : دنيوي وأخروي، فالدنيوي ضربان معقول بعين البصيرة كنور العقل و نور القرآن، ومحسوس بعين البصر، وهو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمرين والنجوم والنيرات. ¹ « كذاك شأن (الدامغاني) الذي صنّف (نور) إلى عشرة أوجه من بينها » ضوء النهار و ضوء القمر. ² .

فإن استند إلى ظلال الأصوات المنبئية منها (نور) فإنه يتصدّرها النون المجهور الأغن، و يتوسّطها الواو المدّي الهوائيّ الضعيف، و يختتمها الرّاء الدّلق ذي الطّرقات المتكرّرة، ليتفياً الكلمة معنى الدّليل الواضح الجاهر بقدرة الله - ﷻ - الممتدّ لكلّ ذي بصيرة و بصر، عساه يطرق عقله بعدد تكرارات تعاقب اللّيل ذي القمر المنير ! .

يعزّز هذه المعاني الحقل المعجميّ للكلمات الثلاثية المنتهية بـ (الرّاء) من جهة نحو : أبر: أصلح ، أثر : بقيّة الشّيء، أصر : عطف، والآصرة : الرّحم، بدر : أسرع ، برر : البرّ : الصّدق والطّاعة، والبشر: الطّلاقة والحسن، وبصر : أشرف بالنّظر من بعيد، والتّبر : الذهب و الفضة وجميع جواهر الأرض،

والجبر : خلاف الكسر ³، وكلّها ذات طاقات دلالية مفعمة بالجمال واللّطافة، كذلك تقليبا (نور) فمنها " نرو" : حجر ابيض رقيق ⁴ و أيضا : " رنو" : " الرّنوّ" : إدامة النّظر مع سكون الطّرف و

¹ - الأصفهانيّ : المفردات في غريب القرآن ص:510.

² - الدامغانيّ : الوجوه و النّظائر : ص : 466 ، و بقيّة الأوجه الّتي ذكرها للنور : دين الإسلام ، الإيمان ، الهادي ، النّبيّ - ﷺ - ضوء المؤمنين على الصّراط ، بيان الحلال و الحرام في التّوّرة ، بيانهما في القرآن ، العدل.

³ ابن منظور: لسان العرب، مج: 02، ج: 02، ص: 10.

⁴ المصدر ذاته، مج: 08، ج: 14، ص: 97.

الإعجاب¹ و " رون " : " ران " : الأمر " رونا " أي أشتدّ و " رونة " الشيء غايته في حرّ أو برد

أو غيره² و شدة اللطف و البرد قد تكون أدعى للإعجاب و العجب من شدة العكس أحياناً.

و قد حظيت (نور) و مشتقاتها في القرآن الكريم في مواضع يحصيها الجدول - أدناه - .

الجدول رقم (59) : مواضع (نور) في القرآن الكريم

الرقم	السورة و الآية	الرقم	السورة و الآية
01	البقرة : 17	11	الأنعام: 122
02	البقرة : 257	12	الأعراف: 157
03	البقرة : 257	13	التوبة: 32
04	النساء : 174	14	التوبة: 32
05	المائدة : 15	15	يونس: 05
06	المائدة : 16	16	الرعد: 16
07	المائدة : 44	17	إبراهيم: 01
08	المائدة : 46	18	إبراهيم: 05
09	الأنعام : 01	19	النور : 35
10	الأنعام : 91	20	النور : 35

¹ المصدر ذاته، مج: 03، ج: 05، ص: 232.

² المصدر ذاته، مج: 03، ج: 05، ص: 366-365.

الحديد: 28	36	الأنعام: 122	11
الصَّفّ: 08	37	الأعراف: 157	12
الصَّفّ: 08	38	التوبة: 32	13
التَّغَابِن: 08	39	فاطر: 20	27
الطَّلَاق: 11	40	الزمر: 22	28
التَّحْرِيم: 08	41	الزمر: 69	29
التَّحْرِيم: 08	42	الشورى: 52	30
نوح: 16	43	الحديد: 09	31
		الحديد: 12	32
		الحديد: 13	33
		الحديد: 13	34
		الحديد: 19	35

الجدول رقم (60) : سياقات (نور) في القرآن الكريم

الرّقم	السّياق	التّكرار
01	الإسلام و الهداية و الإيمان في الدّنيا و الآخرة	21
02	الكتب السّماوية	07

03	الله - ﷻ -	06
04	نور الآفاق و القمر	06
05	الرّسول - ﷺ -	02

الجدول رقم (61) : موصوفات (منيرا) في القرآن الكريم

الرقم	الموصوف	التكرار
01	الكتاب	04
02	قمرا	01
03	سراجا	01

على سبيل الأدب مع الله- تعالى - ولأنّ (النّور) من أسمائه الحسنی فقد فصلت المقاربة بين هذا الاسم واسم (النّار) إحصاء وهذا تمييزا بين الخالق و ما خلق فكانت المعطيات كما يأتي:

للمشتقّ (نور) اثنان و أربعون (42) تكرارا في التنزيل العزيز حظي منها سياق الهداية و الإيمان بنصيب الأسد في واحد وعشرين (21) موضعا بنسبة (50%) ثمّ سياق الكتب السماوية بسبع (07) تكرارات ونسبة (14,28%) يليه عدّا سياق النّور الأعظم نور الله - ﷻ - بستّ (06) تكرارات و نسبة (14,28%) و مثله نور الآفاق و القمر ، ثمّ سياق نور الله المرسل إلى البشريّة و الذي ملأ الآفاق ذكره المصطفى - ﷺ - بتكرارين اثنتين (02) و نسبة (04,76%) ليكتفى بتكرار واحد (01) للنّور المشعّ من النّار المعروفة .

الجدول رقم (62): مواضع " نار " في القرآن الكريم

الرقم	السورة و الآية	الرقم	السورة و الآية
01	البقرة: 17	18	آل عمران: 75
02	البقرة: 24	19	آل عمران: 103
03	البقرة: 39	20	آل عمران: 116
04	البقرة: 80	21	آل عمران: 131
05	البقرة: 81	22	آل عمران: 183
06	البقرة: 126	23	آل عمران: 183
07	البقرة: 167	24	آل عمران: 185
08	البقرة: 174	25	آل عمران: 191
09	البقرة: 175	26	آل عمران: 192
10	البقرة: 201	27	النساء: 10
11	البقرة: 217	28	النساء: 14
12	البقرة: 221	29	النساء: 30
13	البقرة: 257	30	النساء: 56
14	البقرة: 266	31	آل عمران: 16
15	البقرة: 275	32	المائدة: 29
16	آل عمران: 10	33	المائدة: 37
17	آل عمران: 24	34	المائدة: 64

هود:16	54	المائدة:72	35
هود:17	55	الأنعام:27	36
هود:98	56	الأنعام:128	37
هود:106	57	الأعراف:12	38
هود:113	58	الأعراف:36	39
الرعد:05	59	الأعراف:38	40
الرعد:17	60	الأعراف:38	41
الرعد:35	61	الأعراف:44	42
إبراهيم:30	62	الأعراف:47	43
إبراهيم:50	63	الأعراف:50	44
الحجر:27	64	الأنفال:14	45
النحل:62	65	التوبة:17	46
الكهف:29	66	التوبة:35	47
الكهف:53	67	التوبة:63	48
الكهف:96	68	التوبة:68	49
طه:10	69	النساء:145	50
طه:10	70	التوبة:81	51
طه:10	71	يونس:08	52
التوبة:109	72	يونس:27	53

سبأ: 42	93	الأنبياء: 69	73
الأنبياء: 39	94	الحج: 19	74
ص: 61	95	الحج: 72	75
ص: 64	96	المؤمنون: 104	76
ص: 76	97	النور: 35	77
الزمر: 08	98	النور: 57	79
الزمر: 16	99	النمل: 07	80
الزمر: 19	100	النمل: 90	81
غافر: 06	101	القصص: 29	82
غافر: 41	102	القصص: 29	83
غافر: 43	103	القصص: 29	84
غافر: 46	104	القصص: 41	85
غافر: 47	105	العنكبوت: 24	86
غافر: 47	106	العنكبوت: 25	87
المجادلة: 17	107	غافر: 49	88
الحشر: 03	108	طه: 10	89
فصلت: 19	109	السجدة: 20	90
فصلت: 24	110	السجدة: 20	91
فصلت: 28	111	الأحزاب: 66	92

الحشر: 20	130	فاطر: 36	112
التَّغَابُن: 10	131	يس: 80	113
فَصَّلَتْ: 40	132	ص: 27	114
الجاثية: 34	133	الأحقاف: 34	115
الأحقاف: 20	134	محمّد: 12	116
المدّثر: 31	135	محمّد: 15	117
البروج: 05	136	الذّاريات: 13	118
نوح: 25	137	الطّور: 13	119
الأعلى: 12	138	الطّور: 14	120
الغاشية: 04	139	القمر: 48	121
البلد: 20	140	الرّحمن: 15	122
اللّيل: 14	141	الرّحمن: 35	123
الجنّ: 23	142	الواقعة: 71	124
البينة: 06	143	المجادلة: 17	125
القارعة: 11	144	الحديد: 15	126
الهمزة: 06	145	التّحريم: 06	127
المسد: 03	146	الحشر: 03	128
		الحشر: 17	129

بالجمع بين الجدولين و ما احتوايه من سياقات قرآنية ورد فيها (نور) يكون عددها مائة و ثمانية و ثمانين (188) موضعا منها مائة وستة وأربعون (146) تكرارا بنسبة (77,65%).

والنظر في هذه المعطيات الإحصائية يكشف عما تمتاز به مادة (نور) من أبعاد روحية بما غلب عليها من دوال على سبيل الهداية و وسائلها - الرسول الأكرم والكتب السماوية)، وكونها أحد أسماء الحسنى الله - ﷻ - يرقى بها مدارج القداسة والصفاء، أما (النور) المادّي المنتشر في الفضاء ونور القمر فما هما إلا سبيلان إلى معرفة النور الحقيقي الله - ﷻ -.

واقترح كلمة (الضياء) - كما ورد في المعاجم العربية و كتب التفسير - مرادفا لها، يُختبر صوابه انطلاقا من استعمالاتها القرآنية ثم بشروحها في المصادر ذاتها بعد ملاحظة مواضعها في السياقات القرآنية ..

الجدول رقم (63) مواضع (ضوء) في القرآن الكريم

الرقم	السورة و الآية	الرقم	السورة و الآية
01	البقرة: 17	04	الأنبياء: 48
02	البقرة: 20	05	القصص: 71
03	يونس : 05	06	القصص: 71

الجدول رقم (64) : سياقات (ضوء) في القرآن الكريم

الرقم	السياق	التكرار
01	الشَّمس	02
02	النَّار	01
03	زيت المشكاة مضرب المثل للنور	01
04	التَّوراة	01
05	البرق	01

يتجلى من الجدول تعلّق (الضياء) مرتّين (02) أي في ثلثي المواضع القرآنية بالشَّمس، وما يشعّ منها، وذلك في الآيتين من سورتي يونس والقصص في حين مثل (الضياء) في الآية من سورة الأنبياء كناية عن الوحي المنزل على موسى وهارون - عليهما السّلام - ، فتغلب دلالة الضّوء المادّي على ضياء الكناية عن الوحي في التّوراة ، وبهذا يغلق باب الشّواهد القرآنية المتعلّقة بـ (الضياء) دون أن يكون له مورد في سياق القمر أبداً.

وفي المعاجم تنسب (الضياء) إلى « (ضواً) : الضّاد و الواو والهمزة أصل صحيح يدلّ على نور، من ذلك "الضّوء" و "الضّوء" بمعنى، وهو الضياء والنور»¹ ، و لا يزيد عن هذا المعنى (الجوهري) عن هذا المعنى إلّا بذكر المشتقات، إذ « (الضّوء) : الضياء، و كذلك "الضّوء" بالضّم، يقال : "ضاءت" النار "تضوء" "ضوءاً" و "ضوءاً" و "أضاءت" مثله، و "أضاءته" أيضاً»² كما لم يغدُ (ابن منظور) سابقه بإيرادها مع استعمالها³.

¹أحمد بن فارس : مقاييس اللّغة ، ج : 03 ، ص : 375 - 376.

²الجوهري : تاج اللّغة و صحاح العربيّة ، ص: 628

³ابن منظور : لسان العرب ، مج: 05، ج: 08، ص: 96-97.

ولكن لعلم الفلك موقفه من الاسمين (الضياء) و (النور)، حيث اكتشف أنّ طاقة الشّمس ذات (الضياء) ، هي نتيجة الاندماج النوويّ الحاصل في لبّها، وهي متوهّجة برمتها * ، أمّا ضوءها الذي يبدو أبيضاً في النّهار، فحقيقته أنّ « ضوء الشّمس عند مروره في الطبّقات الدّنيا من الغلاف الغازيّ للأرض فإنّه يتعرّض للعديد من عمليّات الاقتصاص والنّشّت والانعكاس على كلّ من هباءات الغبار، وقطيرات الماء وبخاره، وجزيئات الهواء الموجودة بتركيز عالٍ في هذا الجزء الغازيّ للأرض، فيظهر بهذا النّور الأبيض المبهج الذي يميّز فترة النّهار، فإذا سقط ضوءها على سطح القمر المكسوّ بالعديد من الطبّقات الرّجائية الرّقيقة و النّاتجة عن ارتطام النيازك به ،أمكّنه عكس أشعتها فتبدو منيرة بالليل (..) فنور القمر ناتج عن تشتيت ضوء على سطحه بواسطة القوى الّتي يحدثها الحقل الكهرومغناطيسيّ على الشّحنات الكهربائيّة الّتي تحتويها كلّ صور المادّة ¹، وبهذا يُدرأ التّرادف بين الصّفتين (منيرا) و (مضيئاً) لتختصّ الأولى بالقمر، ولا تتعدّى الثّانية نجم الشّمس المتوقّد الوهاج.

*فضلاً : ينظر ما تعلق بالصّفة (وهاجا) للشّمس في المبحث السّابق.

¹زغلول النّجار : السّماء في القرآن الكريم ، ص : 504 - 505 - بتصرّف.

وهنا تتراءى في تفاسير الآية الكريمة الحاملة تأملات عميقة، مشوبة بالتخبط في القول بالمساواة بين الكلمتين ووجود فوارق لم يفصل فيها لعدم توفر الوسيلة المؤكدة عندهم ف (ابن كثير) يقدم « (منيرا) : أي مشرقا مضيئا بنور آخر من غير نور الشمس »¹ ، و (القاسمي) و (الحداد) يخصصانه بالإضاءة ليلا² . ولئن أكدت البحوث الفلكية أن المصدر واحد وهو الشمس، فقد أكدت أيضا أن الحرارة الفائقة للضياء ولطافة الإنارة للنور، إنما نقل (الشعراوي) - رحمه الله - رأي القائلين « عن ضوء القمر: الضوء الحليم، لأنه ضوء بلا حرارة »³ مستطاب في الدنيا متنعم به في الآخرة، و ليس للضوء مكان في الجنة حسب القرآن الكريم وإنما فيها النور .

¹ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج : 03 ، ص : 473.

² القاسمي : محاسن التأويل ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح الشيخ هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث

العربي، مج : 05 ، ج : 12 ، ص : 349، و الحداد : كشف التنزيل ، مج : 05 ، ص : 120. ط: 01،

2010م، بيروت- لبنان ، مج : 05 ، ج : 12 ، ص : 349، و الحداد : كشف التنزيل ، مج : 05 ، ص :

120.

³ متولي الشعراوي محمد : خواطر إيمانية ، دار النول للطبع و النشر و التوزيع ط : 01 ، 2010 ، ج : 12 ، ،

القاهرة- مصر ، ص : 736.



الصورة رقم (10): صورة لكل من الأرض والقمر توضح رقعة طبقة نور القمر وسط ظلمة الكون

تفسير الآيات الكونية: ج: 4، ص: 487

وللصفة المفردة الظاهرة (منيرا) خاصية أخرى لا تتوقّر في (مضيئاً) في القرآن الكريم، تقدمها في الصيغة الصرفية التي جاءت عليها (اسم الفاعل) بدلالته على إتيان الحدث، فبينما (الشمس ضياء) جعل فيها (القمر نورا) ووصف بـ (منيرا)، واسم الفاعل يضيف على (منيرا) دلالات السعي العاقل لكلّ ناظر إلى القمر بعين الهدى، حتّى يتحوّل القمر المنير آلة طبيعية تسعى في الرّوح المنقّصة الحقّ متتبّعة نوافذ الخير فيها فتطلّ عليه و تنهل منه، وتدّلّها على نور الهدى و رضوان الله النور - ﷻ - ، وما (القمر المنير) إلّا آية يُكاد يُشهد لها بالعقل ! « الدّقة والنّظام اللّذان يشاهدان في سير هذه الكواكب والظواهر الكونية خليق أن يأتي من حكماء العاقلين لا من أجرام و ظواهر¹ خرساء بليدة.

¹ عبد العظيم المطعني : خصائص التّعبير القرآني ، وسماته البلاغية، رسالة دكتوراه مطبوعة، مكتبة وهبة، ط: 01، 1992، القاهرة - مصر ، ج : 01 ، ص : 480.



شكل (163) صورة حقيقية للقمر

الصورة رقم (11): صورة حقيقية للقمر.

السّماء في القرآن، ص: 461

كأنه مغطى بطبقة زجاجية رقيقة

وليس (القمر المنير) منها مستثنى؛ هذه الحركة التّوراتية، ملمح المكافأة الرّبّانية للمؤمنين يوم القيامة، فليس معهم "نور" ثابت الوضعيّة، ولكنّ ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ هُمْ هُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة التّحريم : 08، وهو، إن كان للمؤمنين والكافرين في الدّنيا رحمة عامّة من المولى - ﷻ -، فإن في الآخرة رحمة خاصّة بالمؤمنين* يشدّ عضد هذا التّخريج السّياق الرّحماتيّ الذي ضمّ رحمة جعلت قمرا (منيرا) في السّماء.

أولاً : رحمة الخالق أن خلق السماوات والأرض و ما بينهما ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَبِيرًا﴾ سورة الفرقان : 59.

ثانياً : رحمة العبادة بالسجود: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَ هُمْ نُفُورًا﴾ سورة الفرقان : 60.

ثالثاً : رحمة التأدب بأدب العبودية للرحمن - ﷻ - : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ سورة الفرقان : 60.

رحمات تؤدي إلى « تمجيد الله - ﷻ - وتكبيره والتحدث ببركته وعظمته، وعظمة خلقه و آلائه »¹ و (القمر المنير) خص بالوصف بينها إسهادا بعظمة نوره.

مما علا من اجتهادات ، يتبين أن الصفة المفردة الظاهرة (منيرا) تتأبى عن المرادف (مضيئا) ولا تقبل غيرها في موضعها من التركيب أو الآية أو المقطع، و لا أدل منها على الرحمة في سياقها - والله أعلم - .

¹ سيد قطب : في ظلال القرآن ، مج : 05 ، ج : 19 ، ص : 2576.

خاتمة

كما حُمد الله - ﷻ - في الأولى يحمد في الآخرة ، فالحمد لله حمد الشّاكرين و شكر الحامدي ،
أما بعد..

فها هي ذي سفينة البحث برفقة أريج الوحي و مسك ختام كتب السّماء ترسو على جوديها ، و قد
لازمت الكلمة الخالدة في هذه المرحلة الدّراسيّة فاقتاتت من عمر صاحبتة أربع حجج ، قضت كلّ
يوم من أيّامها معه ، بل مع كلّ نفس تُكتب له الحياة فيها ترشف من صفاء كلماته العربيّة المبينة
، فلا تزداد إلّا لهفة إلى مائه المبارك الطّهور و لا يزداد البحث إلّا متعة بالبحث !!

و مع ذلك ، فإنّه مجبر على استراحة مؤقتة يقنّد فيها ما جدّ عليه من آثار الصّحبة لكتاب

الله - ﷻ - و قد استحال بياض وريقاته إلى سواد فرضته سيادة الكلمة القرآنيّة المعربة صفة

ظاهرة في القرآن الكريم ، و هذه بعض نتائجه..

أ - نتائج كليّة

• إجابة عن إشكاليّته ، فقد أحصى البحث (2632) صفة مفردة ظاهرة في القرآن الكريم

من بين سبعة وسبعين ألف كلمة وأربعمئة وتسع وثلاثون (77439) بنسبة

(03.39%) تعلّقت بموصوفات الدّنيا ، منها مائة و ستّ (106) صفات للآفاق الدّنيا

- الأرض و السّماء - بينها اثنتان و عشرون (22) صفة لموضوعات آفاق السّماء ،

منها أربعة عشرة (14) تمّ تناولها في هذه المقاربة ، وهو ما يرخص له القطع بأنّ

إنجاز معجم مختصّ بالصفة المفردة الظّاهرة في القرآن الكريم أمر يدعو إليه هذا

الحضور الكبير لها في كتاب الله - ﷻ - يمكن ترتيبها حسب الكلمات أو المعاني

لوفرة الصّفات و الموصوفات معا.

- قدّم القرآن الكريم بلسانه العربيّ المبين صفات أفق السّماء و هي حقائق مرئيّة و عقليّة ، بأعلى فنّيات البلاغة ، ممّا ضاعف العجب من الآيات ذات التّراكيب الوصفية.
- بالمستوى المعجميّ حاجته الماسّة إلى بقيّة مستويات الدّرس اللّسانيّ في سبيل تحصيل المعنى و تقصّي الدّلالة.
- لا غنية للمعاجم النّحويّة ذات الصّلة بالقرآن الكريم عن معطيات علوم القرآن و تفاسير العلماء في مقارنة الدّلالات و ملامسة المعاني.
- يكون المعجم القرآنيّ المتّخذ من آيات أفق السّماء موضوعاً أكثر فاعليّة و عمليّة إن أيدّته الصّور العلميّة ، إذ يقدّم للمتلقّي ما لم تقع عليه عيناه في الحقيقة ﴿سُنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَو لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ سورة فصلت : 53

- مقترح نواة معجم للصفة المفردة الظاهرة في القرآن الكريم سيكون - حال إنجازه - من عوامل إعادة الدّرس النّحويّ إلى معينه الرّبانيّ - القرآن الكريم - و من ثمّ سببا في ترقية اللّسان العربيّ لدى المتعلّمين ، وتعزيده بالصّور - في مظانّها - يعمّق الدّلالة و يمنحه المتعة مع المنفعة.

ب - نتائج جزئية

- لا تنفك الصّفة القرآنيّة المفردة الظاهرة عن الالتحام بالتّركيب الذي ضمّها و لا تتكشف دلالاتها دون مراعاة السّياق الذي وردت فيه.
- تتواشج في بعض الصّفات القرآنيّة المفردة الظاهرة الدّلالات البلاغيّة و العلميّة و النّفسيّة و الاجتماعيّة.

- عملت الصّفة المفردة الظّاهرة في القرآن الكريم - على تنوّع هيئاتها- على التعريف بالموصوفات و وفق ما يتناسب مع خصائصها المهيمنة .
- تتمتع الصّفة المفردة الظّاهرة في القرآن الكريم بخاصيّة الاتّساع و التّغيّر الدّلاليّ معا ، بما يتناسب و موضعها من النّظم.
- يمكن للصّفة المفردة الظّاهرة في القرآن الكريم أن تدلّ على معنى حقيقيّ أو تخرج من مقولة أنّ الكلمة القرآنيّة " حمالة أوجه " إلى " جمّاعة أوجه".
- قد تمتدّ الدّلالة المجازيّة للصّفة المفردة الظّاهرة في القرآن الكريم إلى الدّلالة العلميّة البرهانيّة على نبوّ محمّد - ﷺ - .
- للصّفة المفردة الظّاهرة في القرآن الكريم أكثر من هيئة ، فقد ترد اسما صريحا أو موصولا ، أو اسم إشارة ، مضافة أو غير مضافة ، كما تكون اسم فاعل أو مفعول ، و صفة مشبّهة أو صيغة مبالغة .
- للصّفة المفردة الظّاهرة في القرآن الكريم - ككلّ كلمات القرآن المبين - خاصيّة نفى التّرادف عنها ، فلا تصلح بديلا بغيرها في مظانّها .
- الصّفة المفردة الظّاهرة في القرآن الكريم لموصوفات أفق السّماء دليل على أنّ القرآن الكريم لم ينزل ليمثّل " إعجازا " و لكنّه آية و برهان له سلطانه الذي يأخذ بالباب أولي النّهي إلى الحقّ ، و خشية الله - ﷻ - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ۚ ۲٧ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلَّا نَعْمَ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ سورة فاطر : 27 - 28.

كانت هذه خلاصة المقاربة ، و ها هي ذي لا تبرح دفتي المنجز قبل أن تدلي ببعض

المقترحات :

*. الإذن بتغيير عنوانه من : " الصّفة المفردة الظاهرة في القرآن الكريم - مقارنة معجميّة

- نحويّة - دلاليّة " إلى : الصّفة المفردة الظاهرة في القرآن الكريم - مقارنة معجميّة -

نحويّة - دلاليّة لبعض موصوفات أفق السّماء .

- الحرص على توجيه الدّراسات الأكاديميّة إلى الحث في رحاب اللّسان العربيّ المبين من معين القرآن العظيم.
 - عقد دورات و ندوات تكوينيّة في المعجم القرآنيّ المختصّ .
 - إنشاء حلقات و جمعيات معجميّة تنهض بالدّرس المعجميّ القرآنيّ.
 - ربط الأشغال المعجميّة القرآنيّة الأكاديميّة بالهيئات و المؤسّسات المهتمة بالبحث فيما يسمّى بالإعجاز العلميّ و البلاغيّ في القرآن الكريم.
- و عند طواف الإفاضة من السيّاحة في أفق السّماء ، ينقلب البصر خاسئاً و هو حسير ، ،
- وقد دمعت عيناه من نور القرآن و مقرّاً بعظمة الكون المقروء و جلال الكون القرآن
- المنظور ، و قد ألقى الدّرس اللّسانيّ الحديث بقوانينه الوضعيّة تواضعا أمام اللّسان العربيّ المبين لكتاب الله المبين ، و مؤكّدا أنّ أيّ محاولة معجميّة تبتغي فصاحة اللّسان العربيّ فإنّما ملاذها الأمن القرآن العربيّ المبين ، راجيا من المولى - ﷺ - أن يكون إضافة إلى
- المكتبة الجامعيّة المتخصصة في المعجم القرآنيّ ، دون أن يدّعي في ذلك إماما بالموضوع
- و لا كمال قدرة على حيازة المطلوب ، و لكنّه جهد المقلّ لا يقوى مصاحبة غير كتاب الله
- المجيد ، و إن قصّرت همّته و آلتة ، و حسبته من ثمار هذه الصّحبة قول الشّاعر :

إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ فِي أَكْوَانِهِ وَ سَمِعْتُ صَوْتَ الْحَقِّ فِي قُرْآنِهِ

و الله وحده المسؤول أن يؤتي هذه الكلمات السداد و التوفيق ، ويتكرم على صاحبها فلا
يحرمها أجر الاجتهاد ، فهو نعم المأمول و أكرم مسؤول ..

فحسبي ربّي أن أفوز بنظرة و حسبي ربّي أن تكوننّ راضيا

فيا ليت شعري غير ودّك غصة و يا ليت شعري من ودادك صافيا

و الحمد لله أولا و آخرا..

الملاحق

1. فهرس الآيات محلّ المقاربة:

الرقم	السورة	الآية ورقمها
01	الحجر	{إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ}[الحجر:18]
02	الأنبياء	{وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ}[الأنبياء:32]
03	الفرقان	{تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا} {إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ}[الصافات:6] {مُنِيرًا}[الفرقان:61]
04	الصافات	{إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ}[الصافات:10]
05	الذاريات	{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْخُبُكِ}[الذاريات:7]
06	الملك	{الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ}[الملك:3]
07	الجن	{وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا}[الجن:9]
08	النبأ	{وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا}[النبأ:12]{وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا}[النبأ:13]
09	التكوير	{قُلْ أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ}[التكوير:15]{الْجَوَارِ الْكُنُوسِ}[التكوير:16]
10	الطارق	{النَّجْمِ الثَّاقِبِ}[الطارق:3]{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ}[الطارق:11]

2. فهرس الجداول:

الرقم	التسمية	الصفحة
01	مواضع صفات القرآن الكريم فيه	12
02	مواضع " كلمة " و " كلمات " في القرآن الكريم	14
03	مواضع كلمة " لغو " في القرآن الكريم	18
04	مواضع (وصف) في القرآن الكريم	26
05	مواضع (عجز) في القرآن الكريم	30
06	سياقات (عجز) في القرآن الكريم	32
07	مواضع صفات السماء / السماوات في القرآن الكريم	45
08	صفات السماء / السماوات في القرآن الكريم	47
09	مواضع ذكر (حفظ) في القرآن الكريم	50
10	سياقات (حفظ) في القرآن الكريم	51
11	موصوفات (حفظ) في القرآن الكريم	52
12	مواضع مادة (رعى) في القرآن الكريم	53
13	سياقات (رعي) في القرآن الكريم	53
14	مواضع مادة (حرس) في القرآن الكريم	54
15	مواضع (رقب) في القرآن الكريم	54
16	سياقات رقب في القرآن الكريم	55
17	مواضع ذكر (دنا) ومشتقاتها غير المتعلقة بالحياة الدنيا في القرآن الكريم	63
18	مواضع مادة (قرب) في القرآن الكريم	64
19	سياقات (قرب) في القرآن الكريم	66

67	موصوفات (قرب) في القرآن الكريم	20
74	مواضع مائة (حبك) في القرآن الكريم	21
74	مواضع مائة (طرق) في القرآن الكريم	22
74	سياقات (طرق) في القرآن الكريم	23
85	مواضع رجع في القرآن الكريم	24
87	سياقات (رجع) في القرآن الكريم	25
89	مواضع (عود) في القرآن الكريم	26
71	سياقات (عود) في القرآن الكريم	27
101	مواضع (طبق) ومشتقاتها وما تعلقت به في القرآن الكريم	28
101	سياقات (طبق) في القرآن الكريم	29
103	مواضع (غطو) في القرآن الكريم	30
103	سياقات (غطو) في القرآن الكريم	31
104	مواضع (سوي) في القرآن الكريم	32
106	سياقات (سوي) في القرآن الكريم	33
107	موصوفات (سوي) في القرآن الكريم	34
113	مواضع مائة (برج) في القرآن الكريم	35
113	سياقات (برج) في القرآن الكريم	36
114	مواضع مائة (برز) في القرآن الكريم	37
114	سياقات (برز) في القرآن الكريم	38
117	مواضع (قصر) في القرآن الكريم	39
117	سياقات (قصر) في القرآن الكريم	40
129	مواضع ذكر (شهاب) وصفتها في القرآن الكريم	41
131	مواضع (بين) في القرآن الكريم	42
137	سياقات (مبين) في القرآن الكريم	43
138	موصوفات (مبين) في القرآن الكريم	44
148	مواضع (رصد) في القرآن الكريم	45
149	مواضع (رقب) في القرآن الكريم	46
155	مواضع مائة (ثقب) في القرآن الكريم	47

155	مواضع مادّة (نفذ) في القرآن الكريم	48
156	مواضع (نفذ) في القرآن الكريم	49
165	مواضع (نجم) في القرآن الكريم	50
165	مواضع (كوكب) في القرآن الكريم	51
175	مواضع (جرى) في القرآن الكريم	52
177	سياقات (جري) في القرآن الكريم	53
177	موصوفات (جري) في القرآن الكريم	54
178	مواضع (كنس) في القرآن الكريم	55
179	مواضع (سفر) في القرآن الكريم	56
179	سياقات (سفر) في القرآن الكريم	57
193	مواضع الشّمس و القمر في القرآن الكريم	58
207	مواضع (نور) في القرآن الكريم	59
207	سياقات (نور) في القرآن الكريم	60
208	موصوفات (منيرا) في القرآن الكريم	61
209	مواضع " نار " في القرآن الكريم	62
214	مواضع (ضوء) في القرآن الكريم	63
215	سياقات (ضوء) في القرآن الكريم	64

3..فهرس الصور

الرقم	التسمية	الصفحة
01	صورة للسحب، وهي مصدر من مصادر رجع السماء	96
02	صورة لتجمع نجمى من المجرة	108
03	توضح بروج السماء كما ترى من نصف الأرض الشمالي	119
04	رسم يوضح دورة حياة النجوم	170
05	لموجات راديوية عملاقة قادمة من مجرة رايوية	170
06	صورة مختلفة للنجم نيوتروني	172
07	حركة نجم خانس كانس في مجرتنا (مجرة الطريق اللبنى)	182
08	صورة حقيقية للشمس	201
09	صورة مجمعة للشمس بعدسات الحركية	202
10	صورة لكل من الأرض والقمر توضح رقة طبقة نور القمر وسط ظلمة الكون	218
11	صورة حقيقية للقمر	219

4. فهرس الأشكال:

الرقم	التسمية	الصفحة
01	تحليل ما ذكره (بن كثير) - رحمه الله- في معاني (ذات الحبك)	76
02	مخطّط لأبرز دلالات مادّة (برز) في القرآن الكريم	115
03	الأبعاد السياقية للجملة الوصفية (شهاب مبین) في القرآن الكريم	146
04	السياق النظمي للصفة (رصدا)	157
05	إيضاح التّناسب و التّكامل بين الآيات : التّكوير : 16 و الحاقة : 38 - 40	183

- فهرس الخطاطات:

الرقم	التسمية	الصفحة
01	السياق النظمي للصفة محفوذاً	59
02	السياق النظمي للصفة ذات الحبك	79
03	السياق النظمي للصفة ذات الحبك	80
04	السياق النظمي للصفة ذات الرجوع	98
05	الأبعاد الدلالية للصفة (ذات البروج) في القرآن الكريم	122
06	تدرج الدلالات في الآيات المتعلقة بها ذات البروج	123
07	السياق النظمي للصفة مبین	141

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

المعاجم:

ابن فارس أحمد: 1-مقاييس العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 02، 1972، القاهرة،

مصر. 2. -الصاحبي في فقه اللغة وسرّ العربية ، تحقيق: مصطفى الشويحي، مؤسسة بدران،

ط: 01، 1963، بيروت- لبنان.

3. ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم ،: لسان العرب، اعتناء: خالد رشيد القاضي، دار

الأبحاث، ط: 01، 2008، الجزائر- الجزائر.

4. الأصفهانيّ أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب: المفردات في غريب القرآن، تحقيق وضبط: محمد

خليل عيتاني، دار المعرفة: ط: 06، 2010، بيروت- لبنان

5. جبل محمد حسن حسن: المعجم الاشتقاقيّ المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، ط: 01،

2010، القاهرة- مصر.

6. الجرجانيّ عليّ بن محمد السيّد الشّريف: معجم التّعريفات، تحقيق محمد صدّيق المنشاوي، دار

الفضيلة للنشر والتّوزيع والتّصدير، ط: 01، 2004، الجزائر- الجزائر.

7. جورج بيار : معجم المصطلحات الفلكيّة ، ترجمة: محمد الطفيلي ، المؤسسة الجامعية للدراسات

والنشر والتوزيع، ط: 02، 2002، بيروت- لبنان.

8. الجوهريّ إسماعيل بن محمد ،: تاج اللغة وصحاح العربيّة، دار المعرفة، ط: 04، 2012،

بيروت، لبنان.

9. الحلبي أحمد بن يوسف بن عبد بداع المعروف السّمين: عمدة الحفّاظ، في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط: 01، 1996، بيروت - لبنان
10. الدّامغانيّ الحسين بن محمد: إصلاح الوجوه و النظائر في القرآن الكريم، تحقيق وترتيب : عبد العزيز سيد الأهل دار العلم للملايين، ط: 02، 1977م، بيروت- لبنان إصلاح
11. العجيليّ محمّد صالح ربيع : معجم المصطلحات و المفاهيم الجغرافيّة ، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط:01، 2015، الأردن- عمان .
12. الفراهيديّ الخليل بن أحمد: العين، تحقيق: مهدي المخزوميّ وإبراهيم السّامرائيّ، دار ومكتبة الهلال، (د- ط) ، بيروت- لبنان.
13. الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، المكتبة العلمية ، ط: 01، 1979، القاهرة- مصر
14. الهابط فوزي يوسف: المعاجم العربيّة موضوعات وألفاظا، الولاء للطّبع والتّوزيع، ط: 01، 1992، المتوفّية، مصر.

التفاسير:

15. ابن كثير الدّمشقيّ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، دار الإمام مالك، ط:02 (د-س-ن) ، 2009، الجزائر- الجزائر.
16. الأندلسيّ أبو حيّان: النّهر المادّ من ابحر المحيط تحقيق: عمر الأسعد، دار الجيل ، ط: 01، 1995، بيروت- لبنان.
17. البغداديّ الألوّسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، تصحيح : محمد حسين العرب، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ط: 01، 1994، بيروت، لبنان.

- 18.البقاعي بن عمر برهان الدين أبو حسن إبراهيم: نظم الدرر في تناسب الآيات و السور، تحقيق: محمد عمران الأعظمي، دار الكتاب الإسلامي، ط: 1984، 01، القاهرة- مصر .
- 19.بن عاشور محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، ط: 01، 2000 م، بيروت - لبنان .
- 20.البضاوي ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر ابن محمد الشيرازي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، إعداد محمد عبد الرحمن المرعشلي دار إحياء التراث العربي، ط: 01
- 21.الجزائري محمد بن هود بن محكم : تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق : بالحاج بن سعيد شريفي، دار البصائر للنشر و التوزيع ،ط: 01، 2005م، الجزائر - الجزائر .
- 22.الزاري فخر: التفسير الكبير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 01، 1981، بيروت- لبنان.
- 23.الزركشي محمد بن بهادر: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد متولي منصور، مكتبة دار التراث، ط 01، 1957، مصر.
- 24.الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود : تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم القرآن، تحقيق محمد متولي منصور، مكتبة دار التراث، ط 01، 1957، مصر.
- 25.السعدي عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، اعتناء: سعيد بن فوزان الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية، ط: 01
- 26.سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، ط: 32، 2003، بيروت- لبنان.
- 27.السيوطي جلال الدين: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة ، ط: 01، 2004، بيروت - لبنان.

28. الشَّعْرَاوِيُّ متولِّي محمَّد : خواطر إيمانيَّة ، دار النّول للطّبع و النّشر و التّوزيع ط : 01 ، 2010 ، مصر ، القاهرة.
29. الشّوكانيّ محمد بن علي بن محمّد: فتح القدير جمع بين فن الرواية و الدّراية ، من علم التفسير راجعة وعلق عليه: الشيخ هشام البخاري ، مكتبة المصرية ، ط: 01، 1995، بيروت- لبنان.
30. الطّبريّ بن جرير أبو جعفر: جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، ط: 01، 1329 هـ، بيروت، لبنان.
31. طنطاويّ الشّيخ جوهرّي: تفسير الجواهر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: 1350، 02هـ، القاهرة.
32. الغرناطيّ أحمد إبراهيم بن الزبير البقعي: ملاك التّأويل، القاطع بذوي الإلحاد و التّعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التّنزيل، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، ط: 2007، 02م، بيروت- لبنان
33. الغنيّ أنور عبد: الجغرافيا الفلكيّة، دار مريخ للنشر، ط: 01، 1983، الرياض- المملكة العربيّة السّعوديّة.
34. القاسميّ محمد جمال الدين: محاسن التّأويل تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح الشيخ هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي، ط: 01، 2010م، بيروت- لبنان .
35. القرطبيّ: الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، ط: 04، 2011، بيروت -لبنان.
36. الكلبيّ محمد بن أحمد بن جزي أبو قاسم : التّسهيل في علوم التّنزيل ، دار الكتب العلميّة 1415-1995.
37. النّسفيّ عبد الله بن أحمد بن محمود: تفسير النّسفيّ، دار الكتاب المصريّ، ط: 01، (د-س-) القاهرة، مصر -

علوم القرآن:

38. ابن جزيّ محمد بن أحمد: التّسهيل في علوم التّنزيل دار الكتاب العربي ، ط:04، 1983، بيروت - لبنان .

39. الزّركشيّ: محمد بن بهادر البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد متولي منصور، مكتبة دار التراث، ط:1957،01م، القاهرة، مصر.

40. السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، دار المعرفة، ط:2004،01، بيروت- لبنان.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

41. الحمصيّ نعيم: فكرة إعجاز القرآن من البعثة النّبويّة إلى عصرنا الحاضر، مؤسّسة الرّسالة، ط: 02، 1980، دمشق - سورّيّة،

42. الخضر أسامة عليّ : القرآن و الكون من الانفجار العظيم إلى الانسحاق العظيم ،المكتبة المصرية، ط: 01، 2007م.

43. خضر عبد العليم عبد الرّحمن: المنهج الإيمانيّ للدراسات الكونيّة في القرآن الكريم، الدّار السّعوديّة للنّشر والتّوزيع، ط:1984،01، جدة- المملكة العربيّة السّعوديّة.

44. الرّحمن عبد العليم عبد : المنهج الإيمانيّ للدراسات الكونيّة في القرآن الكريم ، الدار السّعوديّة للنّشر و التّوزيع، ط: 01، 1984، جدة-المملكة العربيّة السّعوديّة.

- زغلول النّجار.: 45. 1- السّماء في القرآن الكريم، دار المعرفة، للطباعة والنّشر والتّوزيع ، ط: 05، 2010م، بيروت - لبنان. 46. 2- تفسير الآيات الكونيّة ، مكتبة الشّروق الدوليّة، ط: 01، 2007.
47. الشّريف عدنان: من علم الفلك القرآنيّ، دار العلم للملايين، ط: 01، 1991، بيروت- لبنان.
48. الصّاوي عبد الله بن عبد العزيز المصلح وعبد الجواد: الإعجاز العلميّ في القرآن والسّنّة، مؤسّسة العالميّة للثقافة والعلوم، ط: 01، 2013، الرياض- المملكة العربيّة السّعوديّة .
49. الصّوفيّ ماهر أحمد: آيات العلوم الكونيّة وفق أحدث الدّراسات الفلكيّة، المكتبة العصريّة، ط: 01، 2007.
50. طالب هشام: بناء الكون ومصير الإنسان، دار المعرفة للطباعة و النّشر والتّوزيع، ط: 01 : 2006 ، لبنان -بيروت.
51. مجاهد عماد: الكون طريقي إلى الله، دروب للنّشر والتّوزيع ط: 01، 2010.
52. مجاهد هشام : الكون طريقي إلى الله، دروب للنّشر و التّوزيع، ط: 01، 2010، عمان- الأردن: 292 - 293 .
- علوم العربيّة والبيان القرآني:**
53. معالي محسن محمّد قطب: المشتقّات ودلالاتها في اللّغة العربيّة، أبو سكّين عبد الحميد محمّد: المعاجم العربيّة مدارسها ومناهجها، الفاروق الحديثة للطباعة والنّشر، ط: 01، 1981، القاهرة.
54. البعقوبي عقيد خالد العزّاويّ و حمّاد بن خليفة : الدّلالة والمعنى - دراسة تطبيقيّة -:، دار العصماء، ط: 01، 2014، دمشق - سوريّة.

55. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، ط: 01، 1423 هـ - بيروت - لبنان.

56. الحمزاوي محمد رشاد: من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً، دار الغرب الإسلامي، ط: 01، 1986، بيروت - لبنان.

57. خضر حمد عبد الله، العدول في الجملة القرآنية، دار القلم، بيروت - لبنان، (د-ط).

58. دراز محمد عبد الله: النبأ العظيم، دار الثقافة، ط: 01، 1985، الدوحة، قطر.

59. الزافعي مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مراجعة واعتناء: نجوى عباس، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط: 01، 2008. مدينة نصر - مصر.

ساسي عمار: 60. 1- قضايا اللسانيات العربية الراهنة من الوصف إلى الفحص، عالم الكتب الحديث، ط: 01، 2017، إربد، الأردن، 61، 2- صناعة المصطلح في اللسان العربي، عالم الكتب الحديث، ط: 01، 2012، إربد-عمان.

62. السامرائي فاضل صالح: معاني النحو، دار إحياء التراث العربي، ط: 01، 2007، بيروت، لبنان.

63. سيبويه ابن قنبر: أبو بشر عمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط: 03، 1988، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر.

64. القاسمي علي: علم اللغة وصناعة المعجم، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض - المملكة العربية السعودية -، ط: 02، 1991.

65. المطعني عبد العظيم: خصائص التعبير القرآني، وسماته البلاغية، رسالة دكتوراه مطبوعة، مكتبة وهبة، ط: 01، 1992، القاهرة - مصر. مؤسسة حورس الدولية، ط: 02، 2010م،

الإسكندرية - مصر.

66. المنجد محمد نور الدين: الترادف في القرآن الكريم، دار الفكر، ط: 01، 1997، دمشق، سورّيّة.

67. نذير حمدان : الظاهرة الجماليّة في القرآن الكريم ، دار المنارة، ط: 01، 1991 م، جدة-السعودية.

الرسائل الجامعية:

68. عبد العزيز السليم ، الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم، دكتوراه مطبوعة دار ابن الجوزي، ط: 01 1427هـ، الدمام - السعودية، ص: 431.

69. مروة عباس حسن علي: اثر السيّاق في دلالة الصيغة الصرفية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير مطبوعة ، جامعة ديالى 2013 بالعراق. ص: 19.

المجلات:

70. سليمان بن علي: المظاهر الصرفية وأثرها في البيان مقاصد التنزيل، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد 08، ص، السنة الرابعة. فريد بن العراق ص 128.

المواقع الإلكترونيّة:

71. عبد الدايم الكحيل: www.kaheei7.com

فهرس المحتويات:

الإهداء	
شكر وعرفان وتقدير	
ملخص	
مقدمة.....أ	
مهاده تأسيسي.....10	
الفصل الأول: السماء والسموات.....	43
المبحث الأول: صفات السماء.....	44
1.سقف محفوظ.....	48
2.الدنيا.....	61
3.ذات الحبك.....	72
4.ذات الرجوع.....	83
المبحث الثاني: السموات.....	99
1.طباقا.....	100
2.شدادا.....	111
الفصل الثاني: الصفات المفردة الظاهرة للشهب والنجوم.....	125
المبحث الأول: صفات الشهب.....	126

أ. مبين.....	130
ب. رصدا.....	147
ج. ثاقب.....	154
المبحث الثاني: الصّفتان المفردتان الظّاهرتان للنّجم 163	
أ. الثاقب.....	164
ب. الجوار الكنس.....	174
الفصل الثالث: الصّفتان المفردتان الظّاهرتان للسّراج والقمر..... 188	
أ. وهّاجا.....	189
ب. منيرا.....	205
خاتمة.....	222
الملاحق.....	227
1. فهرس الآيات محل	
المقاربة.....	228
2. فهرس الجداول.....	229
3. فهرس الصور.....	232
4. فهرس الأشكال وخطاطات	233

المصادر والمراجع.....	234
فهرس المحتويات	243
الملخص بالأجنبية.....	246

Abstract

This lexical research represented the Quranic word which is the core of Quranic and Arabic sciences; the approach dealt with the adjective word with its three demotions (lexical, grammar and inductive) in coherence and cohesion. It has been restricted with some sky horison descriptions; that has formed the chapters of this research. The first chapter was dedicated to the single appeared adjectives to the descriptions of sky and skys. However, the second chapter was devoted to the meteors and stars entrusted. whereas the last chapter focused on the tow single adjectives to (lamp) the sun and moon. The approach dealt with the problem of sementic regeneration of Arabic word as an adjective in the holy Quran and used the descriptive method without neglecting the other methods that help the topic. The results showed respect to previous scientists and add diligences of contemporary ones. It has presented also suggestions that seek to lexical work which is full-fledged linguistics in which it preserves the holiness of Quran word and do not prevent its right of sementic Regeneration in its own concepts over time.